

بیت زینب جلیلہ  
صاحبہ اربعہ ائمه

# التَّحْقِيقُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ

محاضرات في علوم القرآن تبحث عن نزوله وتدوينه  
وجمعها وإيجازها وعن التفسير والمفسرين مع رذائل المستشرقين  
بأسلوب يجمع بين الجدة والتحقيق

للشيخ محمد علي الصابوني حفظه الله

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
بمكة المكرمة (سابقاً)

طبعة جديدة ضخمة مكررة

مكتبة النشر

كرشي - باكستان



# التجويد

في

# علوم القرآن

محاضرات في علوم القرآن تبحث عن نزوله وتدوينه  
وجمعه وإيجازة وعن التفسير والمفسرين . مع رد شبهات المستشرقين  
بأسلوب يجمع بين الجدة والتحقيق

للشيخ محمد علي الضابط حفظه الله

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
بمكة المكرمة (سابقاً)

طبعة مبررة ثانية ملونة



اسم الكتاب : الشبان في علوم القرآن

تأليف : للشيخ محمد علي الصابوني مدني

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الطبعة الجديدة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

عدد الصفحات ٢٣٦

السعر =/150 روبية

مكتبة البشرا

لنطباعها والنشر والتوزيع

## AL-BUSHRA PUBLISHERS

Choudhri Mohammad Ali Chantable  
Trust (Regd.)

Z-3, Overseas Bungalows Guistan-e-Jouhar  
Karachi- Pakistan

تلفون: +92-21-34541738, +92-21-37740738

تفاکس: +92-21-34023013

لنصفح على الانترنت [www.maktaba-tul-bushra.com.pk](http://www.maktaba-tul-bushra.com.pk)

[www.abbasishah.edu.pk](http://www.abbasishah.edu.pk)

لبريد الإلكتروني: [al-bushra@cyber.net.pk](mailto:al-bushra@cyber.net.pk)

بطلب من

مكتبة البشرا، كراچی، پاکستان +92-321-2195170

مكتبة الحرمين، دھوكه، لاھور +92-321-4399313

المصباح، ١٦، اردو بازار، لاھور +92-42 7124856, 7223210

ہک قیضاء سٹی بلازہ کنج روڈ، ڈیپٹی 5557926، +92-51-577334

دار الإعلام، قذافي بازار، پشاور +92-91-2567539

مكتبة وندہ، سرکي روڈ، کراچی +92-333-7825484

وأيضاً يوجد عند جميع المكتبات المشهورة

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلوة والسلام على عبده ورسوله محمد النبيوت هادياً ورحمة للعالمين، فكان نعم المبلغ للرسالة ووجه المؤدى للأمانة، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

وبعد، فالقرآن الكريم هي المعجزة الخالدة وأخر الكتب السماوية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فقد اعتنى به العلماء اعتناء خاصاً منذ الرعييل الأول للمسلمين، وتناولوه قراءة وحفظاً وتعليماً وتحسيناً وإبرازاً لعناضله وما عني من المعاني، وإظهاراً لجمود بيانه، ومعرفة لأسباب نزوله، وناسخه ومنسوخه، ودرسه، وتأريخ نزوله وتنبؤه إل أن مضحت العلوم والفنون، وتقدم موكب الحضارة والتدين، فتسحت العلوم والمصود، فأصبح كل فرع متشعب ينصب في مصبه.

وسدة علوم القرآن أيضاً ونبذة هذا التطور العلمي والتشعب الثمني، رأفت مئات الكتب في هذا الموضع فديماً وحديثاً، والكتاب هذا أي "التبيان في علوم القرآن" في الحقيقة مجموعة محاضراته التي ألقينها على طلاب الجامعة، تم رتب هذه المحاضرات وطبعت لعموم الفائدة، وقد منحها الله سبحانه وتعالى قبولاً حسناً فانتشرت في تمام. وبدأ الناس بطبعوها في بلاد أخرى أيضاً بعد انملككة العربية السعودية، والتفت إليها بعض الناس في باكستان أيضاً فطبعوها، فوجدتها لعلماء والطلاب نافعة ومعيدة، ورأوها سطر الإحجاب.

ولما أن أصحاب مكتبة الشري تمكّنوا على عوائدهم مسؤولية إخراج الكتب الدينية في ثياب جديدة وحسن طباعة، فالتفتوا إلى طباعة هذا الكتاب أيضاً، فأخرجوه في طبعته الرابعة مع بعض التعديلات التي رأها حص العلماء عبيدة ونافعة للقراء، واستشاروني في هذا الأمر أيضاً.

وكانوا معي دائم الاتصال عبر الهاتف، فالتعديلات التي تم إنجازها في هذا الكتاب كالتالي:

- الترتيب الجديد لفصول.
- تعديل بسيط في علامات الترقيم.
- توضيح الكلمات الغريبة في الهوامش.
- تخريج أحاديث الكتاب.
- ذكر عناوين رئيسية وفرعية على رأس كل صفحة.

وتم يتم أي تغيير بعد في هذا الكتاب على ما كان عليه في الطبعة الثالثة.

وأخيراً أشكر لفضيلة رئيس وفاق المدارس العربية بباكستان ومسؤوليه بأنهم اختاروا هذا الكتاب لمنهجهم في مادة علوم القرآن، وأشكر لأصحاب مكتبة المنرى أيضاً على طباعته بثوبه الجديد وبورق ثمين، وأعتنو به اعتناء كبيراً يستحقه، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم بحسب الجزاء على هذا العمل الجميل، والله ولي التوفيق.

د. إبراهيم بن عبد الله  
م. بن عبد الله بن عبد الله  
١٤٣٠ هـ

الشيخ محمد علي انصاري

١٤٣٠/١٢/٢٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله أنزل كتابه المبين، نبياً لكل شيء، وهدى ورحة للمؤمنين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، ليهبوا رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه، شمس طهنية، ونجوم للعرفان، واتباعهم ضم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فإن القرآن العظيم معجزة "محمد" ﷺ الخالدة، وحجته الدائمة، الناطقة بصدق رسالته، وهو البرهان على أنه الوحي الإلهي، المتمثل على هذا النبي الأمي، الذي لم يتلقَ علماً على يد إنسان، ولا عرف له صلة بأحد من علماء أهل الكتاب، وهو مع ذلك لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وجاء لهذا الكتاب المعجز، كرهان ساطع، ودليل فاضح، على أنه وحي من عند رب العالمين: ﴿هَؤُلَاءِ كُنتُمْ تَقُولُونَ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمْ رَبُّهُمْ إِنْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (النجم: ١٨-٢٠) "أَبَاطُ كَيْفَاتُ فِي سُورِ الَّذِينَ أَوْفُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْعَدُ يَأْتِينَا إِلَّا الْقَالِبُونَ" (تعبير: ٤٩، ٤٨).

وقد حوى هذا القرآن العظيم علوماً ومعارف، وجاء بأحكام ونشريات في معالجة الأمراض الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، نُحْيِرُ الألباب، ويحجر عن محالفتها وممارفتها فطاحل<sup>(١)</sup> النفاق والعلماء، وفيه من الوحيه البيانية والبلاغية ما لا يستطيعه فرسان البلاغة، وفحول الأدباء، وأهل الكلام، ولهذا كان من الجدير بالمشتغلين بالدراسات القرآنية أن يبتنوا للناس ما حواه هذا القرآن المجد من أصول العلوم والمعارف، وأن يوضحوا وجوه الإعجاز في سورته وآياته، ونصحه وأخباره، وفي أسلوبه وبيانه، وسائر ما حواه من كنوز ودقائق.

هذا وقد تناولت في هذا الكتاب "التيان في علوم القرآن" بعض هذه الخصائص والمزايا، وفصلت فيه شيئاً من أسرار هذا الكتاب المعجز في دراسي لعلوم القرآن، وأخرجه في فصول

<sup>(١)</sup> فطاحل جمع فطاحل: السيد العظيم وقصصه المثلن الجسم والفرير العلم. (النسبة: ٦٩٤).

عشرة، هي كما يراه القارئ:

الفصل الأول: التعريف بعلوم القرآن، وبين فضائل القرآن، وآداب حملته وحفظه.

الفصل الثاني: معرفة أسباب النزول، وفوائد معرفة الأسباب في فهم آيات الكتاب، وأمثلة ذلك.

الفصل الثالث: في حكمة نزول القرآن المجيد مفرقاً، وأخباره عن الكتب السماوية السابقة المبترزة جملة.

الفصل الرابع: جمع القرآن العظيم في عصر النبوة، وجمعه في مصاحف متعددة في زمن أبي بكر رضي الله عنه،

ثم في مصحف واحد زمن عثمان رضي الله عنه.

الفصل الخامس: النسخ في القرآن الكريم، ومعنى النسخ، والحكمة التشريعية من نسخ الأحكام.

الفصل السادس: التفسير والمفسرون، وأنواع التفسير بالرؤية والذرية، وشروط المفسر

لكتاب الله الجليل.

الفصل السابع: في التفسير الإشاري، وموقف العلماء منه، والفرق بين الإشاري والتفسير

الباطني، وغرائب التفسير.

الفصل الثامن: في أشهر كتب التفسير "بالرؤية والتسوية والإشارة"، والتعريف بآداب كتب التفسير.

الفصل التاسع: بحث حول ترجمة القرآن العظيم، وما يحل منها، وما يحرم، وشروط الترجمة.

الفصل العاشر: نزول القرآن على سبعة أحرف، والقراءات السبع المتواترة، وأشهر القراء من

الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

والله أعلم أن يجمعنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يفتح به إخواننا المؤمنين، ويرزقنا العمل الصالح

بكتابه المبين؛ ليكون لنا ذخراً يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب

سليم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مكة المكرمة / غرة رجب الفرد سنة (١٤٠٨) هـ

وكتبه عادم الكتاب والسنة

لشيخ محمد علي الصابري

الأستاذ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

## الفصل الأول:

## علوم القرآن

تعريف :

يقصدنا علم التفسير أن نعلم الباطنة موجزة بـ "علوم القرآن" ، وأن نعرف ما رافق هذا الكتاب المجد من غناية دائمة، وجهود واسعة، واتحاد مستقبصة، بُذلت كلها في سبيل خدمة هذا الكتاب العزيز على أيدي أساتذة أعلام، وعلماء فطاحل، أنفوا أعمارهم في سبيل الحفاظ على هذا التراث الكريم. والكثير النصف من ذلك عصر نزول القرآن إلى يومنا هذا، ثم انتقلوا إلى جوار الله. وقد حلَّعوا لنا نورة علمية هائلة، لا ينضب معينها، ولا تنتهي ثمرها على كثر الدهور ومز الأزمان، ومع كل هدد الجهود المبدونة - في التقدم والحديث - فمن القرآن يبقى بحراً داخراً يحتاج إلى من يغوص في أعماقه؛ ليستخرج منه الآتي والسرور.

ولقد تسمين المصحف، والبيان، والحكماء والشعراء في وصف هذا القرآن، وسرد محاسنه وفضائله؛ ولكننا لا نجد أبلغ ولا أسمى من وصف صاحب الرسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول:

"كتاب الله فيه نيا من قبلكم، وعبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل، ليس بالمرسل، من تركه من حبار فضله الله، ومن اتقى الهدى في غيره أضلَّه الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الأئسفة، ولا يشبع منه العلوس، ولا يخبث<sup>١</sup> على كثرة الرد، ولا تنقض عجائبه، وهو الذي لم تنته الحرف إذ سمعته حتى قالوا: إنا نسمعنا قرأنا عجباً يهدي إلى الرشاد، ما من شيء زله ولا يرد، من قال به صدق، ومن عمل به أحر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُتِيت إلى صراط مستقيم". (رواه محمد بن أبي نعيم في مسند أبي هريرة).

<sup>١</sup> يخبث: لا يعلو ولا يذهب عنه شيء كثرة القراءة والبرادة.



### ما المقصود بعلوم القرآن؟

يقصد بعلوم القرآن الأبحاث التي تتعلق بهذا الكتاب المجيد اخلافاً من حيث النزول والجمع والترتيب والتدوين، ومعرفة أسباب النزول، والمكي منه والمدني، ومعرفة التاميم والمنسوخ، والتحكم والمنشأ، وغير ذلك من الأبحاث الكثيرة التي تتعلق بالقرآن العظيم، أو ما صمد به. والعرض من هذه الدراسة فهم كلام الله عز وجل، على ضوء ما جاء عن الرسول ﷺ من توضيح وبيان، وما نقل عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم حول تفسيرهم آيات القرآن، ومعرفة طريقة المفسرين، وأساليبهم في التفسير مع بيان مشاهيرهم، ومعرفة اختصاص كل من المفسرين، وشروط التفسير، وغير ذلك من دقائق هذا العلم.

### تعريف القرآن:

"هو كلام الله المعبر، المنزل على حاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بكتواتر، المتعبد تلاوته، ابتداء بسورة الفاتحة، المنتهية بسورة الناس". وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين.

أنزله الله تبارك وتعالى؛ ليكون دستوراً للأمة، وهداية للخلق، وليكون دليلاً على صدق الرسول ﷺ، وبرهانا مادعياً على نبوته ورسالته، وحجة قائمة إلى يوم الدين، تشهد بأنه ترسل الحكيم الخبير، بل هو المعجزة الحادثة، التي تتحدى الأجيال والأمم على كثر الأزمان ومز السهور، وقد در "شوقي" حيث يقول:

جاء النبؤون بالآيات<sup>١</sup> فانصرفت<sup>٢</sup> وحشاً بحساب غير منصرم  
آياته كلما طال المدى<sup>٣</sup> حلد<sup>٤</sup> برؤيهم حذر لعنق وانفرد

<sup>١</sup> أنزل بالآيات هنا: المعجزات التي أيد الله بها رسله الكرام.

<sup>٢</sup> انصرفت: أي ذهبت شهاباً وانقضت بوقتها، مع بعد ما وجود.

<sup>٣</sup> المدى: الزمان الطويل.

## فضائل القرآن:

وقد وردت آثار كثيرة في فضائل القرآن وعلومه، منها ما هو متعلق بفضله العام والتعليم، ومنها ما هو متعلق بالقراءة والتثليل، ومنها ما له علاقة بحفظه وترجيحه. كما وردت آيات عديدة في كتاب الله عز وجل، تدعو المؤمنين إلى تدبره وتطبيق أحكامه، وإلى الاستماع والإنصات عند تلاوته، نذكر بعض هذه الآيات الشريفة، والأحاديث الشريفة.

## الآيات الشريفة:

أولاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبْوَءَ﴾ (معر: ٢٩).

ثانياً: وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنَا قَرِئَ الْقُرْآنُ فَأَسْمِعُوا آلَهُ وَابْتَئُوا لَكُمْ كِتَابًا مِّنْ ذِكْرِهِ﴾ (الأنعام: ١٠٢).

ثالثاً: وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قَلْبٍ قَلْبٍ أَتَمَّهَا﴾ (عد: ١٢).

## الأحاديث الشريفة:

أولاً: وقال ﷺ: "خيركم من تعام القرآن وعلمه" (رواه البخاري). ثانياً: وقال ﷺ: "الماهر بالقرآن مع السقرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتبع فيه - أي تصعب فرائده عليه يعني نساؤه - وهو عليه شاق له اجران". (رواه البخاري مسلم). ثالثاً: وقال أيضاً: "أشراف أمي حمله القرآن". (رواه ترمذي). رابعاً: وقال أيضاً: "افروا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه". (رواه ترمذي). خامساً: وقال أيضاً: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، كمثل الأترجة<sup>(١)</sup>، ريحها طيب، وطعمها طيب". (متفق عليه).

سادساً: وقال أيضاً: "إن هذا القرآن مادة الله، فتعلموا من مادته ما استطعتم..." (بخاري). وينبغي للدارس لعلوم القرآن أن يتأدب بأداب القرآن، ويتحلى بأخلاقه، ويكون غرضه من

<sup>(١)</sup> الأترج: شجر يثمر، ناعم اللمعان والورق وفنصر، ولحمه كثيبون مكبر، وهو نوع من التوت، ذكي ترابحة، حامض المذاق. (تفصيح الوسيط: ٤).

وراء القسم رضوان الله والدار الآخرة، لا حطام الدنيا، وإن يعمل بما فيه؛ ليكون حجة به يوم القيامة، فقد صحح في اخذ ذلك الشريف: "القرآن حجة لك أو عيبت"<sup>(١)</sup>

فإن شيع الإسلام من تسمية الله: "من لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره، ومن قرأه وتدبره ولم يعمل بما فيه فقد هجره". يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْلُغُ الْأَبْصَارَ بِأَرْبَعٍ يَوْمَئِذٍ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ الْمُبَشِّرُ أَتُحْذَرُونَ هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٢٠)

أسماء القرآن:

للقرآن الكريم أسماء عديدة، كلها تدل على رفعة شأنه وعُلو مكانته، وعلى أنه أشرف كتاب سماوي على الإطلاق، فيسمى: "القرآن" و"الفرقان" و"التنزيل" و"الذكر" و"الكتاب"... إلخ، كما وصفه الله تعالى وتعالى بوصف جليل عذب.

منها: "نور" و"هدى" و"رحمة" و"شفاء" و"موعظة" و"عزیز" و"مبارك" و"نسيم" و"ندى"... إلخ عز ذلك من الأوصاف التي تشعر بمحضته وقديسيته.

وجه التسمية:

أما تسميته — "القرآن" فقد جاء في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَقُودُ وَالْقُرْآنِ الْعَجِيدِ﴾ (١٠٥)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْبَيْتِ هِيَ الْقَوْمِ﴾ (١٠٥)

ب- أما تسميته — "الفرقان" فقد جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِالنُّورِ وَالْهُدَىٰ لِقَوْمٍ يُفَرِّقُونَ﴾ (١٠٥)

ج- وأما تسميته — "التنزيل" ففي قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ نُنَزِّلُ الْقُرْآنَ عَلَى رُوحِ الْقُدُّوسِ الَّذِي فِيهِ الْوَحْيُ الْأَوَّلُ﴾ (الشورى: ١٠٦، ١٠٧)

د- وأما تسميته بـ "الذكر" ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ حَافِظُونَ﴾

المحرم: ٢٠

هـ- وأما تسميته بـ "الكتاب" ففي قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ الْكُتُبُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

تفسيره: ٢٠-٢١

وأما الأوصاف فقد ورد فيها أيات عديدة، وفلن نلخص سورة من سور القرآن من وصف رتبة

محمد هذا الكتاب الذي أنزله رب العزة ليكون معجزة حجة على الأديان، ما ذكر منها:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَذُكِّرُوا بِالْكِتَابِ وَمَا يُؤْتِيهِمْ يَوْمَ تَكُونُ الْوُجُوهُ مُنْتَثِرَةً﴾ (البقرة: ١٧٨)

ثانياً: وقوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُتُورِ مَا هُوَ جَمْعٌ وَرُحْمَةٌ يُنْفَخُ مِنَهَا وَلَا يَرُدُّهَا الْعَالَمِينَ إِلَّا

حساراً﴾ (الأنعام: ٨١)

ثالثاً: وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ يَسِّرُ السُّبُلَ وَيُعْظِمُ الْكَلِمَةَ﴾ (الأنعام: ٨١)

رابعاً: وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْكِتَابُ فَذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (البقرة: ١٢٩)

وآخره: ﴿لَا تُكْفِرُوا بِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥)

والقرآن كالتقارير، مصدر: قرأ، قرأه، قرأنا، هكذا يرى بعض العلماء ويستدلون بقوله تعالى:

﴿إِنْ عَلَيْنَا لُعُفٌ أَوْ فَرَحٌ فَلَذَاقُوا أَثْمَارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) أي: قرأته. فالقرآن على هذا

الرأي يكون مشتقاً.

ويرى بعض العلماء أنه ليس مشتقاً من قرأ، وإنما هو "اسم علم" لهذا الكتاب الجيد، فهو مثل

"التوراة"، ومثل اسم الإنجيل، وهذا رأي الإمام الشافعي رحمه الله. انظر كتاب "مباحث القرآن"

للأستاذ مناع العطار.

متى ابتدأ نزول القرآن؟

كان بدء نزول القرآن الكريم في السابع عشر من رمضان لأربعين سنة عند من حياة النبي

أسمى محمد ﷺ، فيسما كان رسول الله ﷺ يتحج - أي يتعب - في غير حراره إلا يزل

عليه الوحي - حبريل الأمين - بأنات اذكر احكيم، بضمة إلى صدره ثم قلته - فعل ذلك به ثلاث مرات - وهو يقول له في كل مرة: ﴿قُرْأَنُكَ﴾، والرسول الكريم ﷺ يصيح: 'ما أنا بقارئ' أي: لست أعرف القراءة، وفي المرة الثالثة قال له: ﴿قُرْأَنُكَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَاقٍ، قُرْأَنُكَ الْكَرِيمِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (الفصل ١-٥). فكان ذلك بدء الوحي، وبه نزول القرآن، ولقد سبق فروله بعض الإشارات - أي الإشارات والدلائل - التي تدل على قرب الوحي، وتحقق السورة للرسول الكريم ﷺ. من هذه الدلائل: الرؤيا الصادقة<sup>(١)</sup> في النوم، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا وقعت، كما رآها في منامه. ومنها: "حبه للمعزلة والحلوة"، فكان يحلب بغار حراء، يتعبد ربه فيه.

### رواية البخاري:

وقد أخرج البخاري في صحيحه، في باب 'بدء الوحي' ما يشير إلى هذا، وإلى كيفية نزول القرآن، حيث روى عنه عن عائشة أم المؤمنين رضيها عنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"<sup>(٢)</sup>، ثم حُبِبَ إليه الخلاء؛<sup>(٣)</sup> وكان يحلب بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعمد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع<sup>(٤)</sup> إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فتزود شمه، حتى يحاذي حتى وهو في غار حراء، فتراه المك<sup>(٥)</sup> فقال: اقرأ، قل: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني"<sup>(٦)</sup> حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿قُرْأَنُكَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (الفصل ١)، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجع فؤاده... " (صحيح البخاري الجزء الأول).

<sup>(١)</sup> أي من الصباح ومساءره. <sup>(٢)</sup> الخلاء: أي التعمد. <sup>(٣)</sup> ينزع: أي يرجع.

<sup>(٤)</sup> المك: المراد به حبريل الخلد. <sup>(٥)</sup> مغطي، أي مضي إلى صدره.

ونزل القرآن في شهر رمضان، وفيه نص صريح واضح في كتاب الله عز وجل، حيث يقول عز من قائل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥).

وأما كون الملك الذي نزل به هو "جبرئيل" عليه السلام، فقد ثبت أيضاً نص صريح في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿إِنزِيلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، مَلِيحِينَ غَاسِقًا مُّبِينًا﴾ (الشعراء: ١٩٣-١٩٥).

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنزِلْ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ يَنفُثُ أَلْبَانًا وَمُزَيَّنَاتٍ لِّلْمُتَّبِعِينَ﴾ (النحل: ١٠٢).

والمراد بالروح الأمين أو روح القدس، إنما هو "جبرئيل" عليه السلام باتفاق النصارى، فهو أمين الله على رحيبه، وهو الذي نزل بالوحي على جميع الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.

أول ما نزل، وآخر ما نزل:

أول ما نزل من القرآن الكريم الآيات الأولى من سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ...﴾ (العلق: ١-٥)، كما مر سابقاً في حديث البعالي، وأما آخر ما نزل من القرآن، فهو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١).

هذا هو الصحيح الراجح الذي اختاره العلماء، وعلى رأسهم السيوطي<sup>(١)</sup>، وهو متفقون عن جبر هذه الأمة عبد الله بن عباس عليه السلام، فقد أخرج النسائي عن عكرمة عن ابن عباس عليه السلام أنه قال: "آخر شيء نزل من القرآن: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾" (البقرة: ٢٨١)، وقد حاشى الشيخ رحمه الله هذه الآية تسع لوان، ثم مات ليلة الاثنين في الثالث من ربيع الأول<sup>(٢)</sup>.

وأما قول بعضهم: إن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ (المائدة: ٣)، فهو رأي غير صحيح؛ لأن هذه الآية

<sup>(١)</sup> انظر كتاب "إشفاق في علوم القرآن" للسيوطي: (٨٧/١).

للكريمة نزلت على رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وهو واقف بعرفة، وقد عرش ﷺ بعدها واحداً وثمانين يوماً، وقبل وفاته بسبع ليالٍ نزلت آية البقرة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا...﴾، فنكون هي آخر ما نزل، لا آية المائدة، وهذا هو الرأي الصحيح، ونزول هذه الآية الكريمة انقطع الوحي، فكان ذلك آخر اتصال السماء بالأرض، وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد نزول عظام القرآن، بعد أن أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وهدى للناس إلى دين الله.

### آية المائدة متأخرة في النزول:

ومما يدل على أن آية المائدة نزلت في حجة الوداع ما ورد في "صحيح البخاري" أن يهودياً جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم، لو علينا - معشر اليهود - نزلت، لا غشنا ذلك اليوم عبداً، فقال عمر: وأي آية نعني؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَبَشَرْتُ عَلَيْكُمْ بُعْثِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾، فقال له عمر: "والله إني لأعلم المكان الذي نزلت فيه، والساعة التي نزلت فيها، نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ بعرفة في يوم الجمعة بعد العصر"<sup>(١)</sup>، أي إنما نزلت في يوم، هو من أعظم الأعياد الإسلامية، فهو عيد على عيد.

تنبيه:

أورد العلامة السبوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بعض الإشكالات على أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل، وأجاب عنها بأجوبة صديدة، فلخصها فيما يلي:<sup>(٢)</sup>

١ - الإشكال الأول: أنه روي في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سئل: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (التنزيل)، فقبل له: بل ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (المعلقات)، فقال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "لبي جاورت

<sup>(١)</sup> انظر صحيح البخاري، باب التفسير.

<sup>(٢)</sup> انظر "الإتقان في علوم القرآن" للسبوطي: (١/٧٥).

بحراء، فلما قضيت جوارى، نزلت، فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمال، ثم نظرت إلى السماء، فإذا جبريل، فأخذتني رجفة، فأثيت حديجة، فأمرغهم، فذروني، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾<sup>(١)</sup>. فهذا الحديث يدل على أن سورة المدثر هي أول ما نزل من القرآن، وقد أحاطت بذلك السيوطي بقوله:

ويحاطب عن هذا الحديث بأجوبة:

أحدها: أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة، فينبغي أن "سورة المدثر" نزلت مكملها قبل نزول غمام سورة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؛ فإنما أول ما نزل منها صدرها، ويؤيد هذا ما في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ - وهو يحدث عن فترة الوحي - فقال في حديثه: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ" فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرجعت، فقلت: زملوني، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾<sup>(٢)</sup>.<sup>(٣)</sup> فقله: الملك الذي جاءني بحراء، يدل على أن هذه القصة متاعرة عن قصة حراء التي نزل فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، ثم سرد أجوبة أخرى، لا حاجة إلى ذكرها.

٢- وأما الإشكال الثاني: فهو أن آية المائدة وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ يدل على أن الدين قد اكتمل ونجم، فكيف تنزل بعد ذلك آيات، ونقول: إنها ختام للقرآن؟

والجواب عن ذلك أن الله عز وجل قد أكمل الدين ببيان الفرائض والأحكام، وبيان الحلال والحرام، لما تحتاج إليه الأمة قد بينه الله عز وجل وفصل أحكامه، حتى أصبحوا على "الشفقة البيضاء"، وهذا لا ينافي أن تنزل بعض الآيات الكريمة التي فيها التذكير والتحذير من عذاب الله، وفيها تذكير الناس بالوقفة الكبرى بين يدي أحكم الحاكمين في ذلك اليوم الرهيب، والذي لا يتفجع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وقد صرح بهذا جماعة من العلماء حتى قال السدي: "لم ينزل بعدها حلال، ولا حرام"<sup>(٤)</sup>.

<sup>(١)</sup> انظر صحيح البخاري، باب الضمير. <sup>(٢)</sup> انظر "الإيمان" (١/١٦٧).



## أول ما نزل في القتال، والخمر، والأطعمة:

أولاً: نزلت في القتال آيات عديدة، ولكن هذه الآيات التي نزلت في شأن القتال كلها مدنية؛ لأن المسلمين - في مكة - كانوا في حالة ضعف، فكان جهادهم للأعداء باللسان لا بالسان، ولم يسمح لهم بقتال الأعداء إلا بعد الهجرة بعد أن تقوى أسلحتهم وكرروا، وأصبح هم دونه في المدينة المنورة، فنزل عند ذلك الإذن بالقتال، وأول آية نزلت في القتال: هي قول الله تبارك وتعالى في سورة الحج: ﴿أَنَّ لِلَّذِينَ يُبْتَاعُونَ بَأْسَهُمْ ظُهُورًا أَنَّهُمْ قَاتِلُونَ﴾، أي: نفيهم لقبيل، الذين أغروا من دينهم بغير حق، إلا أن يقولوا ربنا الله، يقول الله: لا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ففعلت صنائعهم، ونفعهم، ومنعهم، فبئس ما كرمهم الله، كرم الله من ينصرف الله من ينصرفه، أن الله تعزى عز وجل ﴿الفتح ٢٩-٣٠﴾.

فأنت ترى في هذا النص الكريم ما يوضح الحكمة من مشروعية الإذن بالقتال، فهم يكرهون القتال إلا دفاعاً للظلم، ودفعاً للعدوان، ولم يشرع إلا دفاعاً عن المظلومين، وردعاً للمستعدين كما هو صريح النص الكريم.

ثانياً: وأما الخمر، فقد نزلت فيها آيات عديدة، وكان أول ما نزل فيها: قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا...﴾ (البقرة: ٢١٩). وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: نزل في الخمر ثلاث آيات، فأول شيء: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ...﴾ (الحج: ١٥).

ثالثاً: وأما أول ما نزل من الأطعمة في مكة، فقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ لَا أُجِدُّ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مِثْلَهُ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِشٌّ أَوْ نَسَاءٌ أَوْ لَحْمُ بَيْتِ اللَّهِ بِهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)، التي نزلت بها أحكام القرآن، وهي مما ينبغي وهذه أوائل خصوصية بعض الأحكام الشرعية معرفة؛ ليعرف الإنسان على سبيل التشريع الإسلامي الدقيق، الذي راعى حاجات الناس ومصالحهم، والتي معرفة هي أحد الأسس الحكيمة التي سنكتها الإسلام في معاملة الأوضاع الاجتماعية، والأمراض الخلعية التي كان عليها الناس في الجاهلية، كما سيوضح ذلك في بحث آخر إن شاء الله.

## الفصل الثاني:

### حكمة نزول القرآن مفرداً

#### نزول القرآن الكريم:

شرف الله هذه الأمة المحمدية، فأنزل عليه كتابه المعجز - بحالفة الكتب السماوية - ليكون دستوراً لحياة، وعلاجاً لمشاكلها، ونسماً<sup>١</sup> شافياً لعللها وأمراتها. وأية معجز وفخار على اصضاء هذه الأمة، واختيارها حمل أقدم الرسالات السماوية، حيث أكرمها الله بنزال أشرف كتاب، وخصها بالانسحاب إلى أشرف عتري محمد بن عبد الله ﷺ.

وينزل هذا القرآن أكمل عقد الرسالات السماوية، فتشع نور على العالم، ويطع الصياء على الكون، ووصلت هداية الله إلى الخلق. وكان هذا النزول واسطة أمين السماء جبريل عليه السلام، بهبط على قلب النبي ﷺ، ليبينه وحى الله، وإلى ذلك يقول الله جل ثناؤه: ﴿نَزَّلْنَاهُ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ ۖ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۚ مَبْلُغًا عَرَبِيًّا مُبِينًا﴾ (النجم: ١٠٢-١٠٥).

#### كيف نزل القرآن الكريم؟

##### للقرآن الكريم نزولان:

الأول: من الفلج المحفوظ إلى السماء الدنيا (حملة واحدة) في ليلة القدر.  
الثاني: من السماء الدنيا إلى الأرض "مفرقاً" في مائة ثلاث وعشرين سنة.  
أما القول الأول: فقد كان في ليلة مباركة من ليالي القدر، هي: "ليلة القدر"، أنزل فيه القرآن كاملاً إلى "بيت البعثة" في السماء الدنيا، ويدل عليه عدة نصوص وهي:

أ- قوله تعالى: ﴿حَمْدُهُ أَكْبَرُ مِنْ ثَمَنِهِ إِذَا أَثَرْنَا فِي ظُلُمَاتٍ مَّا نَكْتُمُ الْمُشْرِكِينَ﴾ (عن ابن جرير، ٣٠٠٠).

ب- وقوله تعالى: ﴿إِذَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۖ وَمَا أَفْكَارُكَ مَا تَقْدِرُ﴾ (القدر: ١).

<sup>١</sup> نسمة: مادة شعية تصد لها الحركات، سبب عتري (بهامية) المسند: ١٨٠.

ج- وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فَهُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [الشورى: ١٨٥].

فقد دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة، توصف بأنها مبركة، وتسمى "ليلة القدر"، وهي من ليالي شهر رمضان، ويتعين أن يكون هذا النزول هو النزول الأول إلى بيت العرة في السماء؛ لأنه لو أريد به النزول الثاني على النبي ﷺ لما صح أن يكون في ليلة واحدة، وفي شهر واحد هو "شهر رمضان"، لأن القرآن إنما نزل في مدة طويلة، هي مدة السبعة "٢٣" سنة، ونزل في غير رمضان في جميع الأشهر، فتعين أن يكون المراد به النزول الأول، وقد جاءت الأخبار الصحيحة تؤيد ذلك، منها:

- أ- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "فصل القرآن من المكة، فوضع في بيت العرة من أسماء الدنياه، فعزل حدريل ينزل به على النبي ﷺ".<sup>(١)</sup>
- ب- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع السجود، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ، بعضه في شهر بعض".<sup>(٢)</sup>
- وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم أنزل مجزأ".<sup>(٣)</sup>

فهذه الروايات الثلاث: رواها السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن"،<sup>(٤)</sup> وبين أنه كلها صحيحة، كما روى السيوطي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سأل عطاء بن الأسود فقال: "وقع في النبي شيء قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وهذا أنزل في شوال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجة، وفي الثور، وحضر، وشهر ربيع، فقال ابن عباس رضي الله عنه: إنه أنزل في رمضان في ليلة القدر جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع السجود رسلا في السجود والأيام.

<sup>(١)</sup> رواه الطحاوي، <sup>(٢)</sup> رواه الخازن، <sup>(٣)</sup> رواه الطبراني، <sup>(٤)</sup> انظر الإتقان، ١/ ١٩٠، ١٩١.

يريد بقوله: "مواقع النجوم" ويقول: "رسلا"، أي أنه أنزل منحصرا مفرقا، يتلو بعضه بعضا على تودة ورفق، وذكر السيوطي أن الغرض من نقل حكاية الإجماع على نزول القرآن جملة من النوح المنقوط إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

ولعل الحكمة في هذا النزول هي تفخيم أمر القرآن، وأمر من نزل عليه، بإعلام سكان السموات السبع: أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، فد قرأه إليهم لنزله عليهم.

قال السيوطي: ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منحصرا بحسب الوفاة، لخط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله سبحانه يأن - أي خالف - بينه وبينها، فجعل له الأمرين: إنزائه جملة، ثم إنزاله مفرقا، تشريفا للمنزول عليه.<sup>(١)</sup>

التنزيل الثاني: وأما التنزيل الثاني فقد كان من السماء الدنيا على قلب النبي ﷺ منحصرا، أي مفرقا في مدة ثلاث وعشرين سنة، وهي من حين البعثة إلى حين وفاته صلوات الله وسلامه عليه. والشذيل على هذا النزول، وأنه نزل منحصرا:

١- قول الله تعالى في سورة الإسراء:

﴿وَقَرَأْنَا الْقُرْآنَ لِتَفْقَهُهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَمٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

٢- وقوله تعالى في سورة الفرقان:

﴿وَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُذَكِّرَ بِهِ مَوَادِّكَ وَرُسُلَهُ نَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ (الفرقان: ٣٢).

روي أن اليهود والمشركين عابوا على النبي ﷺ نزول القرآن مفرقا، واقتروا عليه أن ينزل جملة واحدة، حتى قال اليهود له: يا أبا القاسم! لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزل التوراة على موسى عليه السلام، لأنزل الله هاتين الآيتين ردا عليهم، وهذا الرد - كما يقول الزرقاني -

بدل على أمرين:

أحدهما: أن القرآن نزل مفرقا على النبي ﷺ

والثاني: أن الكتب السماوية فيه مرات حجة، كما ظهر ذلك بين جمهور العلماء، حتى كاد يكون إجماعا. ووجه الدلالة على هذين الأمرين: أن الله تعالى لم يكنهم فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية جملة، بل أجابهم ببيان الحكمة في نزول القرآن مفرقا، ولو كان نزول الكتب السماوية مفرقا كالقرآن، لرد عليهم بالكذب، وإعلان أن «تجيم هو سنة الله فيما أنزل على الأنبياء من قبل، كما رد عليهم حين طعنوا على الرسول وقالوا: ﴿هَذَا نَزْلُ الرَّسُولِ بِكُلِّ طَعَامٍ وَنَسِيءٍ فِي الْأَشْوَاقِ﴾» (البقرة: ١٧٥)، رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قُلُوبَنَا مِنْ شُرَيْبِ إِلَّا أَنْهَ أَنْ يَكُونُ الطَّعَامُ وَأَنْ شِئَاءَ فِي الْأَشْوَاقِ﴾ (الزمر: ١٠).<sup>١١</sup>

حكمة نزول القرآن متجما:

نزول القرآن الكريم متجما، أي مفرقا بحكم حليقة، وأسرار عديدة عرفها العالمون، وغفل عنها الجاهلون، ومسطوع أن نخسبها فيما يأتي، وهي:

أولا: ثبت قلب النبي ﷺ أمام أذى المشركين.

ثانيا: التلطف بالنبي ﷺ عند نزول الوحي

ثالثا: التدرج في تشريع الأحكام السماوية.

رابعا: تسهيل حفظ القرآن وعهده على المسلمين.

خامسا: مسيرة الخوادم والوفاء، والتنبية عليها في حينها.

سادسا: الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه تنزيل الحكيم الخمد.

ولبدأ بشيء من التفصيل عن هذه الحكيم العديدة التي أحياها فيما سبق، فنقول - ومن الله

نستمد العون -

<sup>١١</sup> منقول من فائد، ص: ٤٦.

أولاً: أما الحكمة الأولى وهي: كتبت قلب النبي ﷺ، فقد ذكرتها الآية الكريمة في معرض الرد على المشركين، حين افترحوا أن ينزل القرآن جملة واحدة، كما نزلت الكتب السماوية السابقة، فرد الله عليهم بقوله: ﴿كَذَلِكَ لَنُكَلِّمَنَّكَ بِهِ فَوَادِكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (النحل: ١٠٣)، ونسبت قلب النبي ﷺ إنما هو رعاية من الله، وتأييد لرسوله أمام تكذيب خصومه له، وإيذانهم الشديد له ولأتباعه، فقد كانت الآيات الكريمة تنزل على رسول الله ﷺ تسلياً له، وشجاعة له، وللمؤمنين في طريق الدعوة مهما اعترضه المصاعب والشدائد، وتقوية لقلبه الشريف، فقد تعهد الله سبحانه وتعالى بما يخفف عنه الشدائد والآلام، فكان إذا اشتد الأذى عليه، نزلت الآيات تسلياً له وتخفيفاً عما يلقيه، وكانت التسليية قارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين؛ ليقنديهم في صبرهم وجهادهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ تِلْكَ قَصِيرًا عَلَى مَا كَفَّلُوا وَوُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...﴾ (الأنعام: ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأنعام: ٣٠)، وقوله: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (التور: ٤٨).

وله أوضح الباري - جلّت عظمته - الحكمة من ذكر قصص الأنبياء، فقال - وهو أصدق القائلين - : ﴿وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُكَلِّمُ بِهِ فَوَادِكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هود: ١٢٠).

وتارة كانت التسليية عن طريق الوعد بالصر، والتأييد للنبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ (النح: ٣)، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ سَنَّفَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْعَرَبِ مَسِيلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۖ وَإِنْ جَنَّادُنَا لَهُمُ الْمُغَابِرُونَ﴾ (الصافات: ١٧١-١٧٣).

وأخرى تكون التسليية عن طريق إخبار الرسول باندحار أعدائه وإفrazهم، كما في قوله تعالى: ﴿سَيُؤْثِرُهُمُ الْخَمْعُ رِيًّا لَوْنِ الدُّخَانِ﴾ (الشع: ٤٠)، وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَهْلُكَوْنَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرَبُّنَا الْمُبَاهِدُ﴾ (آل عمران: ١٦٢)، إلى آخر ما هنالك من ألوان في التخفيف عن قلب الرسول، وتطبيب نفسه ومواده.

ولا شك أن في مجئ نزول الوحي، وتكرر هبوط الأمين جبريل بالآيات البينات، التي فيها تسلية للنبي ﷺ، وفيها الوعد بالنصر والحفظ والتأييد، كان لها أعظم الأثر في تثبيت قلب الرسول لمقاومة الدعوة، والمضي في تبليغ الرسالة الإلهية لأن الله معه، وهل يشعر بالخذلان والقنوط من كانت عناية الله شحوطة، وعيته نزعاه؟

ثالثا: أما الحكمة الثانية، وهي "التلطف بالنبي ﷺ عند نزول الوحي، فقد كانت بسبب روعة القرآن وهيئته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (الزمر:٥). فالقرآن - كما هو مفطور به - كلام الله المعجز، الذي له جلال ووقار، ومية وروعة، وهو الكتاب الذي لو نزل على جبل لثقلت وتصدع من هيئته وجلاله، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَائِبًا مِّنْصَدْعًا مِّنْ حُذْبٍ أَهْلٍ﴾ (الحجر:٢١)، فكيف إذا بقلب النبي الرقيق؟ هل يستطيع أن يتلقى جميع القرآن دون أن يتأثر ويضطرب، ويشعر بروعة القرآن وجلاله؟

ولقد أوضحت السيدة عائشة رضيها حالة الرسول حين نزل عليه القرآن، وما يلاقيه من شدة وهول من أثر التنزيل، فقالت - كما رواه البخاري -: "ولقد رأيته حين ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيعصمه عنه - أي بغسل -، وإن جئته لينعصد عرفا، ينفضد: أي: يتعصب عرفا، وذلك من شدة الوحي ووطائه على النبي ﷺ".

ثالثا: وأما الحكمة الثالثة وهي: "التلويح في تشريع الأحكام"، فقد كانت جليلة واضحة، حيث سلك القرآن الكريم مع البشرية - وخاصة منهم العرب - طريق الحكمة، فقطعهم عن الشرك، وأحيا قلوبهم بنور الإيمان، وغرس في نفوسهم حب الله ورسوله، والإيمان بالبعث والجزاء، ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة - مرحلة تثبيت دعائم الإيمان - إلى العبادات، فبدأهم بالصلاة قبل المحرفة، ثم نهي بالصوم، والزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم عثم بالحج في السنة السادسة منها، وكذلك فعل في العادات المتوارثة: زجرهم أولا عن الكيابة، ثم ناههم عن الصغائر في شيء من الرفق، وتدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلا في نفوسهم: الخمر، والزباء، والميسر فتدرجا





فإن العلامة القرطبي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْعُ الْخَمْرِ﴾: أما في الخبر فربح الصحابة، فأنهم كانوا يبيعونها من الشام برُحس، لبيعوها في الحجاز بربح، هذا أصبح ما نيل في منعته.

وبالمقارنة بين هذين الشئين نرى أن الإسلام نفر من الخمر عن طريق بيان أضرارها الجسيمة، ولكنه لم يحرمها، وقد روي في سبب نزول هذه الآية: أن جماعة من المسلمين - فيهم عمر بن الخطاب - جاءوا إلى الرسول الكريم، فقالوا: يا رسول الله! أعيرونا عن الخمر؟ فلما منعه للعقل، مضية للعالم، منهكة للجسم؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ﴾. وفي المرحلة الثالثة: كان التحريم للخمر، ولكنه كان "تحريرا جزئيا" حيث نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (طه: ١٣).

فقد حرم الله عليهم الخمر وقت الصلاة فقط، حتى يصبحوا من سكرهم، فكان المسلمون يشربونها ليلا، وفي غير أوقات الصلاة، وقد روي في سبب نزول هذه الآية: أن عبد الرحمن ابن عوف صنع وليعة، فدعا إليها بعض الصحابة، قال علي بن أبي طالب: فدهانا، وسقانا الخمر، فأخذت الخمر ميتا، وحضرت الصلاة، فقدموني لأصلي بهم إماما، فقرأت: "قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون، وأنا عبد ما عبدتم" إلى آخر ذلك، أي: إنه لسكره غير فيها، فنزلت الآية الكريمة.

وفي المرحلة الرابعة: وهي المرحلة الأخيرة، كان التحريم الكلي، القاطع، المنع، حيث نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْوَاجُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَقْبَلُونَ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْفِتْنَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠، ٩١).

وسبب نزول هذه الآيات الكريمة، على ما ذكره المنسوق هو: أن بعض الصحابة صلوا انمشاء، ثم شربوا الخمر، وجلسوا يتسامرون، فلعبت الخمر في رؤوسهم، وكان فيهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وكانت جارية صغيرة تشبههم وتضيقهم، فقالت ضمن شبيهاها:

ألا يا حمز للشرف النبوي ومن معقلات بالقضاء

فتيح حمزة على النوق الإبل، التي كانت بجوار الدار، فقام حمزة، فجب<sup>(١)</sup> أسنمة نافق على، وقر خاصرنيهما - وهو في حالة السكر - فأخبر على بذلك، فتألم أشد الألم، وذهب إلى النبي ﷺ يشكو إليه ما فعل عمه حمزة، فحاض النبي ﷺ إليه بعاتبه، وبزوجه على صنبه، فحمل حمزة يظر إليه نظرة غريبة، بصوب بصره ويخفضه، ثم تعاطب النبي ﷺ ومن معه، بقوله: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ فعم رسول الله ﷺ أن عمه فعل - أي سكران - فلم يؤاخذه، فقال عمر عندئذ: اللهم بين لنا في الحمر بيانا شافيا، فأنزل الله: ﴿لَنَا الْحَمْرُ وَالْمَيْمِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَزْلَامُ وَحُسْنُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

وهكذا تم غريم الحمر تحريما "بالندرج"، فكان في ذلك أعظم حكمة جليلة، سلكتها الإسلام في معالجة الأمراض الاجتماعية.

وقد جاء في كتاب "مناهل العرفان" للزرقاني ما نصه: "وندرج الإسلام هم في غريم ما كان مستأصلا فيهم، كالحمر نرجا حكيما حقن الغاية. وأقدمهم من كابوسها<sup>(٢)</sup> في النهاية، وكان الإسلام في انتهاج هذه الخطوة الثلثي أبعد نظرا، وأعدى ميلا، وأجمع تشريعا، ونجح سياسة، من نلكم الأمم المتعددة المتحضرة، التي أقبلت في غريم الحمر على شعورها أفضع إقلاص، ومثلت أمر قتل، وما عهد أمريكا في مهزلة تحريمها الحمر يبعد، ليس ذلك بصحارا للإسلام في سياسة الشعوب، وتغذيب أجماعات؟ بلى! والتاريخ من الشاهدين.

رابعاً: أما الحكمة الرابعة: فهي تسهيل حفظ القرآن على المسلمين، وفهمهم وتدريبهم له، فمن المعلوم أن العرب كانوا أميين، أي لا يقرؤون ولا يكتبون، وقد سجل القرآن الكريم عليهم ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (البقرة: ١٢٩)، كما

<sup>(١)</sup> جب: أي قطع. (النجم لوسيط: ١٠٤). <sup>(٢)</sup> الكابوس: ضلع يقع من صدر العالم لا يندر معه أن يتحرك.

قيل: ليس بعربي وهو بالعربية: الجاثوم. (المعجم الوسيط: ٧٧٣).

كان صلوات الله عليه أمياً كذلك ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (المعارف: ١٥٧)، فالتقت حكمة الله أن ينزل كتابه المجيد "منجماً"، ليسهل حفظه على المسلمين؛ لأنهم كانوا يعتمدون على ذاكرتهم، فكانت صدورهم أمانيتهم كما ورد في وصف أمة محمد ﷺ، وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لدى الكاتين منهم على مدرتهم، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، وعجزوا بالتالي عن تدبره وفهمه.

خاصة: أما الحكمة الخامسة: فهي مسامرة الخواص والوقائع في حينها، والتنبيه على الأعطاء في وقتها؛ فإن ذلك أوقع في النفس، وأدعى إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق "الدرس العملي"، فكلمنا حدّ منهم حديد نزل من القرآن ما يناسبه، وكلما حصل منهم حصاً، أو انشراح نزل العرفان بتعريفهم ونسبهم إلى ما ينبغي احتسابه، وطلب عمله، ونبيههم إلى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين، عند مثلاً على ذلك: غزوة حنين، فقد دخل الغرور إلى نفوس المسلمين، وقالوا غزوة الإعجاب والإعتراف، لأن رأوا عددهم يزيد على عدد المشركين أضعافاً مضاعفة، حين ذاك داخلهم العجب، فقالوا: "من قلب اليوم من قلة"، وكانت النتيجة انكسارهم وانقراضهم وتوابعهم الأدماء، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاعَتْ عَلَيْكُمْ أَلُوفُكُمْ بِمَا رَحِبْتُمْ وَلَتَرْجَبُنَّ مُدِيرِينَ﴾ (هود: ١٥).

ولو أن القرآن نزل جملة واحدة لما أمكن اتصيه على الخطأ في حينه؛ إذ كيف يتصور أن تنزل الآيات في شأن المؤمنين وانقراضهم، ولم تحدث بعد تلك الواقعة أو الغزوة؟ وكذلك الحال في أخذ الفداء من الأسرى في "بدر"، حيث نزل التوجيه المساوي لمراجع: ﴿هَٰذَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُلَٰجِئَ فِي الْأَرْضِ...﴾ (الأنعام: ١١٧).

سادساً: أما الحكمة السادسة: فهي الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم، وأنه تنزل الحكيم الحميد، وفي هذه الحكمة الجليلة يحذر بنا أن نتقل نصراً ما كبه العالم الفاضل الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان" حيث جاء برائع البيان؛ فقال رحمه:

"الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ﷺ،

ولا كلام مخلوق سواء، وبين ذلك: أن القرآن الكريم نقرأه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، أخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وحمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبكة<sup>(١)</sup> واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه سبط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، تُطْمَت حروفه وكلماته، وتُسَقَّت حُفَلُه وآياته.... وهنا تسأل: كيف اتسق للقرآن هذا التأليف المعجز؟ وكيف استفاد له هذا التماسك للدهشة؟ على حين أنه لم يتزل جملة واحدة؟ بل تنزل أحادا مفرقة تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عاما؟

الجواب: إننا نلمح هنا سرا جديدا من أسرار الإعجاز، ونشهد مرة فذة<sup>(٢)</sup> لمن سبغات الربوبية، ونقرأ دليلا ساطعا على مصنوع القرآن، وأنه كلام الواحد الدهان: ﴿وَقُلْ كُنْ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَنَجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٦)، وإلا فحشني بربك كيف تستطيع أنت؟ أم كيف يستطيع الخلق جميعا أن يأتوا بكتاب يحكم الاتصال والترابط، متين التسج والسرد، متأنف البدايات والنهايات، مع خضوعه في التأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر، وهي وقائع الزمن وأحداثه التي يجري، كل جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعها، وتتحدث عنها، سب بعد سببه، وداعية إثر داعية، مع اختلاف ما بين هذه الدواعي، وتغاير ما بين تلك الأسباب، ومع تراخي زمان هذا التأليف، وتطاول أمد هذه النجوم إلى أكثر من عشرين عاما؟ لا رب أن هذا الانفصال الزماني، وذلك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدواعي، يستلزمان في مجرى العادة التفكك والانحلال، ولا يدعان مجالاً للارتباط والاتصال بين نجوم هذا الكلام.

أما القرآن الكريم فقد عرق العادة في هذه الناحية أيضا بل مفرقا متجمعا، ولكنه تمّ مترابلا محكما، ليس ذلك برهانا ساطعا على أنه كلام خالق قُورَى والقُلُور، ومالك الأسباب والسيئات،

<sup>(١)</sup> سبكة: من اللعب لو انفضت كتلة من الذهب لو الغصة مصبوبة على صورة مطومة، كالقضبان وغوها، وجميعها سبائك. (المعجم الوسيط: ٤١).

<sup>(٢)</sup> الفذة: مفردة والمفرد في مكانه، أو كذا، والجمع لنداء وفلنود، والفذة: الشاذة. (المعجم الوسيط: ٦٧٨).

ومقدر الخلق والكائنات، وفيوم الأرض والسموات، العليم بما كان وما سيكون، الخبير بالزمان وما يحدث فيه من شؤون؟

لاحظ قولي ما أسبقنا أن رسول الله ﷺ كان إذا أنزلت عليه آية، أو آيات قال: "نصروها في مكان كذا، من سورة كذا"، وهو بشر لا يدري طبعاً ما ستحي به الأيام، ولا يعلم ما سيكون في مستقبل الزمان، ولا يدرك ما سيحدث من التواسمي والأحداث، فضلاً عما سيرى من الله فيها... وهكذا ينضي العمر الطويل، والرسول على هذا العهد، يأتيه الوحي بالقرآن عاماً بعد عام، وإذا بالقرآن كله بعد هذا العمر الطويل يكمل زينت، وينظم ويتأخر، ويأنف وينشأ، ولا يؤخذ عليه أدنى خاد أو تفاوت، بل يُعجز خلق حُرّاً بما فيه من انسجام ووحدة وتوافق: ﴿كَذَٰبٌ أَكْذَبَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (هود: ١٠١).

وإنه ليس كذلك سر هذا الإعجاز إذا ما علمت أن محاولة مثل هذا الانساق والانسجام، لن يمكن أن يأتي على هذا النمط الذي نزل به القرآن، ولا على قريب من هذا النمط، لا في كلام الرسول ﷺ، ولا كلام غيره من التبعا، وغير التبعا، أخذ مثلاً (حديث النبي ﷺ)، وهو ما هو في روعته وبلاغته وظهره وسجوده؛ لقد قاله الرسول ﷺ في مناسبات مختلفة، لتوابع مشابهة في أزمان متطابقة، فهل في مكتنت ومكة البشر معاً أن يظنوا من هذا السرد التشتيت وحده، كذا واحداً، يصفقه الاسترسال والوحدة، من غير أن يقتصروا به، أو يتزبدوا عليه، أو ينصرفوا فيه؟

ذلك ما لن يكون، ولا يمكن أن يكون، ومن حاول ذلك فإفقا إلهول لعبث، ويخرج للناس ضروب مرفعة، وكلام مبغى، بقصص التوافق والانسجام، ويعوزوا الوحدة والاسترسال، وعمدته الاستماع والأفهام. إذن فالقرآن الكريم ينطق بقرآن منجماً بأنه كلام الله وحده، وتلك حكمة وتلك حكمة حليلة المشان، تلك الحق على الحق في مصدر القرآن: ﴿قُلْ أَتُزَكِّيهِ النَّبِيُّ تَعْلَمُ سُبْحَانَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلَوّاً رَاجِعاً﴾ (هراء: ١).

كيف تلقى النبي ﷺ القرآن؟

تلقى النبي ﷺ القرآن بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وجبريل نطقه عن رب نعمة حل جلاله، وليس لجبريل الأمر سوى تبليغ كلام الله وإيمانه برسول الله ﷺ. حيث حكيمته قد أنزل كلامه المفضل على عظام أسيادته بواسطة أمين الوحي جبريل، وعلمه جبريل لرسول الله ﷺ، ولعله الرسول لأنه، وقد وصف جبريل بأنه أمين على الوحي، يصفه كما سمعه عن الله تعالى: ﴿لَهُ نَقُوءٌ وَمُنَاقِبَةٌ أَزِيدُ بِهِ الْقُوَّةَ عِندَ رَبِّ الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾، فطامع ثم أمين ﷺ. الشكوى: ١٠٠-١٠١. وقال تعالى في وصفه أيضا: ﴿يُنَزِّلُ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾، على قلبك لتكون من المنذرين ﷻ (النجم: ١٩٥-١٩٦).

لما حقيقة الكلام وحقيقة النزول، وإنما هو كلام الله، وتزويد رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالْقُرْآنِ مِنْ أُنْدُنْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (النجم: ١٠١). وقد كان صلوات الله عليه - يعاين عند نزول القرآن شدة، وكان يحاول أن يبعد نفسه من أجل حفظ القرآن، فيكدر القرآن مع جبريل حين يقتر عليه القرآن، حيلة أن يساء أو يصيح عابه شيء منه، وأمره الله تعالى بالانصات والسمكوت عند قراءة جبريل عليه السلام، وإطمانه بأنه تعالى سيجعل هذا القرآن محفوظا في صدورهم فلا تمحل في أمره، ولا يبعد نفسه في تلقاه: ﴿وَلَا تَجْعَلِ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا خُفْيًا وَأَنْتَ وَخِيَا وَفُرُشًا﴾، ذئي جلدنا ﷻ (طه: ١٦١).

وأما بكثرة الله تعالى له الحفظ، فقد جاء في قوله سبحانه: ﴿لَا تَحْزَنْ بِهِ السَّادَاتُ لِيَتَجَمَّلَ بِهِ﴾، إن علينا صنعة وفرة ﷻ. فإذا قرأوا ما نوحى لهم، لم يزدوا شيئا ﷻ (صافات: ١٦-١٧).

وهو كان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، فيرسل جبريل على رسول الله ﷺ ويستمع له القرآن، فيقرأ الرسول بين يديه وجبريل يستمع، ويقرأ جبريل النبي يستمع، ويحفظ بما يراه في كل رمضان ما نزل من القرآن مرة واحدة، وغفل عنه ﷻ نزل عليه جبريل مرتين في رمضان، فدارسه القرآن، حتى لقد شعر عليه الصلاة والسلام - من نزول جبريل مرتين عليه بدنو الله، وقال لعائشة رضي الله عنها: "إن جبريل كان ينزل عني فيدارسني القرآن مرة واحدة في رمضان، وقد نزل عني هذا العام مرتين. وما أرى إلا قد اقرب إلي". وقد كان الأمر كذلك.

فقد انتقل في ذلك العام إلى حيدرآباد، سموات الله وسدنه عديد، ونقطع بوفاته نزول الوحي.  
أما كيف تلقى حبيب بن خازم عن الله عز وجل؟ فقد غُذِمَ معنا أنه كان متعافاً، حيث سمع من الله عز وجل هذه الأدبات. فربما على رسول الله، قد انبجس في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (الفجر: ١). ربنا - الله أعلم - : إِنَّا سَمِعْنَا أَعْلَافًا وَأَقْوَمَاءَ إِبْرَاهِيمَ وَأَرْثَاءَ نَحْنُ سَمِعْنَا. ومعنى هذا أن حبيباً أحد القراء عن الله تعالى سمعاً، أنه بعد ما روى في الحديث أن الله يقول: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِأَمْرٍ سَمِعَتْ السَّمَاءُ حُفَّ خُدَيْدَةً مِنْ خُيُوفِ اللَّهِ. فإذ سمع أهل السماء معفواً وجرواً سجدوا، فيكون أوهم برفع رأسه حبيباً، فيكلمه الله بوجه ما أَرَادَ، فيسبى به إلى ملائكته، فكلمها من السماء ما أَلْهَلَهَا، هذا قال زيداً قال ابن، فينتهي به حيث أمر<sup>١٢</sup>.  
قال الزرقاني في كتابه "مداخل القرآن":

وقد أضاف بعض الناس، فزعم أن حبيباً كان يترى على النبي ﷺ بعد نزول القرآن، ولم يزل يروى عنها بلغة العرب، وروى آخرون أن الحفظ حبيباً، وأن قد كان يوحى إليه معنى فقط، وكلامهم قول باطل أنهم، فإذ سمعوا من جميع الكتاب والسنة والاحتجاج، ولا يدعون قصة أعداد التي يكذب بها، وعقيدتي أنه ملبس على المسلمين في كتبهم، ولا فكيف يكون القرآن حيثاً معبراً، والحفظ محمد أو لحبيب؟ ثم كيف يصح بسنه إلى الله، والحفظ ليس مع أن الله يقول: ﴿وَحِثُّ نَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (آية: ٦، إلى غير ذلك مما يظن من تفصيله<sup>١٣</sup>).

هل تسعة نسوية يوحى من الله؟

نقدم معنا أن القرآن الكريم كلام الله، ومعنى ذلك أن الله تعالى سمعاً والمعنى هو من عند الله، ولا دس من الله، أو محمد ﷺ فيه. روى الشيخان عن الله عز وجل، أنه سمع الله يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (الفجر: ١). ومعنى من عند الله لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَنْظُرُونَ إِلَّاهُ﴾ (الأنعام: ١٠٠).  
بأنهم إلا وحياً لم يوحى ﷻ (الحجرات: ١٠).

<sup>١٢</sup> قوله الله تعالى: ﴿وَحِثُّ نَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (آية: ٦، إلى غير ذلك مما يظن من تفصيله).

وقد نقل السيوطي عن الجويني<sup>١</sup> أنه قال: "كلام الله المنزل فسمان:

نسم: قال الله لحزيريل: قل للنبي الذي أنت مرس إليه: "إن الله يقول: افعل كذا وكذا، وأمر بكذا وكذا، ففهم حزيريل ما قاله ربه، ثم نزل على ذلك النبي: وقال له ما قاله ربه، ولم تكن العبارة تلك العبارة، كما يقول المثلث: من يتق به. فلما قال: "يقول لك ملك: اجتهد في الخدمة، واجمع خدمك فلتكن، فإن قال الرسول: "يقول لك ملك: لا تتهاون في خدمتي. ولا ترك الجسد بتفرق، وحكهم على الغيال... الخ"، لا بسبب أن كذب ولا تقصير.

وقسم آخر: قال الله لحزيريل: اقرأ على النبي هذا الكتاب. فنزل به حزيريل من الله من غير تغيير، كما يكتب الملك كتاباً، ويسلمه إلى أمير، ويقول: اقرأه على فلان.

قال السيوطي: افرقتان هو القسم الثاني، والقسم الأول هو السبق. ومن هذا حال رواية السنة بالمعنى اختلف القرآن.

♦ ♦ ♦ ♦



## الفصل الثالث:

## أسباب النزول

معرفة أسباب النزول، له أثر كبير في فهم معنى الآية الكريمة، ولهذا اعتنى كثير من العلماء بمعرفة أسباب النزول، حتى أفرد له بالتصنيف جماعة من العلماء، كان من أقدمهم علي بن الحسين شيخ البخاري رحمه الله، ومن أشهر ما كتب في هذا الفن كتاب "أسباب النزول" للرازي، كما ألف فيه شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله، وألف فيه أيضا العلامة السيوطي رحمه الله كتابا حافلا عظيمًا سماه "كتاب المنقول في أسباب النزول".

ولمعرفة أهمية هذا النوع من علوم القرآن، والتأكد من ضرورته لفهم معاني الآيات الكريمة نستطيع أن نقول: إن بعض الآيات لا يمكن فهمها أو معرفة أحكامها إلا على ضوء سبب النزول، فمثلا قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْشَرُوا الْمَنَافِقَ وَأَتَقَرَّبَ فَرَقَانَا فَنُزِّلُوا فَكْمَهُمْ وَجَهُ الْقَوْمِ﴾ (سورة الفرقان: ١١٥)، قد يفهم منها حواز التوجه في الصلاة إلى غير القبلة، وهذا الفهم خاطئ؛ لأن استقبال القبلة شرط لصحة الصلاة، ومعرفة سبب النزول يتضح فهم الآية، فقد نزلت هذه الآية المكرمة فيمن كان في سفر، وأضاع القبلة، فلم يعرف جهتها، فإنه يجتهد ويتحرى، ثم يصلي، فإلى أي جهة يصلي، تصح صلاته، ولا تجب عليه إعادة الصلاة فيما إذا تبين له بعد الانتهاء خطأ توجهه. فالآية إذا لم تكن عامة، إنما هي خاصة فيمن جهل القبلة، فلم يعرف جهتها.

ومثال آخر على أهمية سبب النزول في فهم الآية أن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ تَقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٧٧)، إنما نزلت في الخمر، وقد يفهم من هذا النص الكريم إباحة شرب الخمر، كما ظن بعض الجهلة حيث قالوا: الخمر مباحة. واحتملوا بالآية الكريمة، ولو علموا سبب نزولها لم يفتروا ذلك، فقد روي أنه لما نزل تحريم الخمر في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ وَالْأَصَابِتُ وَالْأَزْلَامُ بِرَحْمَتٍ مِنْ عَدَلِيٍّ شَاطِرٍ فَاتَّخَذُوهُ أَمْتَكُمْ تَفْخَحُونَ بِهِ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَيْفَ مِنْ فَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَاتُوا وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَهِيَ رَحِمٌ؟ فَتَرَكْتُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَبَيَّنَ أَنَّ مِنْ شَرِّهَا قَبْلَ الشَّحْرِ مِنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا عَنْهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ أَوْ إِنَّمَا لَأَنَّ اللَّهَ لَا يُؤَاخِذُ عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الْعَيْدِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، أَوْ قَبْلَ الشَّحْرِ مِنْهُ، وَتَلَوْتُ نَهْمُ الْآيَةِ، وَيَقْبَى النَّصَ الْقَطْعِيَّ فِي تَحْرِيمِ شَرَبِ الْخَمْرِ.

فوائد معرفة أسباب النزول:

قد يظن بعض شئس أنه لا طائل تحت هذا العنوان، وليس نه أثر كثير حرياته بحرى التاريخ والنقص، فإن أسباب النزول - عني زعمهم - ليست ضرورية شئ أراد تفسير كتاب الله. وهذا زعم خاطئ وقول مردود، لا يصح من عام بالكتاب، مطع على أقوال المفسرين، وهذا نحن نقتل طرفا من آراء بعض العلماء، ثم بعضها بذكر فوائد أسباب النزول: قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون التوفيق عني فستها، وبينان نزولها<sup>(١)</sup> وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن<sup>(٢)</sup> وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين عني فهم الآية، فإن العلم بالنسب يورث العلم بالنسب<sup>(٣)</sup>. وهكذا تظهر أهمية هذا العنوان من علوم القرآن، وأما فوائده فيمكن تلخيصها فيما يلي:

- أ - معرفة وجه الحكمة الساعفة عني تشريع الحكم.
- ب - دفع نزوه الخصر فيما ظاهره المصير.
- ج - تخصيص الحكم بالنسب (عند من يري أن العبرة بخصوص السبب).
- د - معرفة اسم من روت فيه الآية، ويعين الملبم فيها.

<sup>(١)</sup> انظر "الإيضاح" ١/ ٨٧، <sup>(٢)</sup> التفسير السابق، <sup>(٣)</sup> المصدر السابق.

إلى غير ما هاتك من قوله آخرى جليلة.

أمثلة على معرفة أسباب النزول:

أولاً: أشكل على مرداه بن الحكم معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُحْسِنُ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاكُمْ وَيُحْزِنُونَ أَنْ يُحْزِنُوا إِيَّائَكُمْ يَفْعَلُوا فَلَا تُحْسِنْتُمْ بِنِعْمَتِهِمْ وَإِنَّ الْعَذَابَ لَلْأَلِيمَ﴾ (البقرة: ٢٠٥)، فقال خادمه: ذهب إلى ابن عباس، فقل له: "الذين كانوا يفرحون بما آتاهم من نعم الله، وأحسب أن يحسدوهم ثم يفعلون معذبين لهم". فبين أنه ابن عباس يقول ما أنزل الله إلا شكك، وقال له: "إن الآية نزلت في أهل الكتاب - اليهود - حين سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكنسوا فيه، وأحسروا فيه، وأروا لهم أحسروا بما سألهم فيه، وكنسوا بذلك إليه، فنزلت الآية (رواه الترمذي).

ثانياً: كما أشكل على عروة بن الزبير رحمه الله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: ١٥٨)، فإن ضاهر الآية المكرمة بشعر ابن آدم وحب السعي بين الصفا والمروة، حتى قال عروة بن الزبير حائلته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾، فترى أنه لا بأس على الإنسان أن يترك السعي بهما؟ فقالت له عائشة: نعم ما قلت يا ابن أخي! لو كان الأمر كما ذكرت، لقل الله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِلَّا يَطُوفَ بِهِمَا﴾. ثم أخبرته بأن الناس في الجاهلية كانوا يسعون بين الصفا والمروة، وكانوا يحجون في سعيهم لصنعتين: أحدهما على الصفا، يسمى "إسافاً"، والثاني على المروة، ويسمى "أثلة". فما دخل الناس في الإسلام، تخرج بعض الأصحاب من السعي بينهما خشية أن يتيسر الأمر بعبادة الجاهلية، فنزلت الآية المكرمة، تدفع عنهم الإثم والحرج، وتوجب عليهم السعي لله تعالى، لا للأصنام، فقد ردت عائشة على عروة فهدم. وكان ذلك بسبب النزول. (١)

(١) سفر الإسراء: ٨٦/١.

لأنها: أشكل على بعض الأئمة معنى الشرط في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقْسِمُونَ﴾ من المعجزة من نسبكم إلى الوثنية فعندهم دلالة أشهر (والصواب: ) حتى قال الظاهرية: إن الآية التي انقطع دم الحيض عليها لذكر السن، لا عدة عليها إذا لم ترتب، وقد تبين خطأ فهمهم بسبب الغرور؛ فإن الآية خطاب لمن لم يعلم ما حكمهن في "عدة"، وارتاب "هل عليهن عدة أم لا؟" فيكون معنى ﴿وَالَّذِينَ يَقْسِمُونَ﴾ أي: إن أشكل عليكم حكمهن، وحيلنكم كيف يعتقدون؟ فهذا هو حكمهن، وقد نزلت هذه الآية بعد أن قال بعض الصحابة: إن عدة بعض النساء لم تذكر في القرآن، وهن المصغيرات والأقيسات، فنزلت الآية الكريمة: تبين حكم عدة كل منهن، والله أعلم. (١)

رابعاً: ومن أمثلة قوله: معرفة أصناف الغرور في دفع توهم المحصر، ما روي عن الشافعي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ أَنْ يُكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ نَحْسًا بِرِجَالِهِ فَإِنَّهُ إِخْسٌ أَوْ يَلُفًّا أَهْلُ بَيْتِهِ شَوْبَهُ﴾ (النساء: ١١٥)، فقد قال ما معناه: إن الكفر لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمخالفة، جاءت الآية متفقة لغرضهم، فكانه قال: لا حلال إلا ما حرمتوه، ولا حرام إلا ما أحلتوه، فم يقصد حل ما ورأوه، وإنما قصد ثبات التحريم لا إثبات الحلال. قال إمام الحرمين: وهذا في غاية الخسر، ولولا سبق لشافعي إلى ذلك، لما كان تستجير مختلفاً ما كان في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية. (٢)

### توضيح لمعنى الآية الكريمة:

وبوصيحا لهذه الفكرة أقول: إن ظاهر الآية الكريمة يدل على حصر المحرمات في هذه الأشياء المذكورة في الآية الكريمة، وليس الأمر كذلك، فإن هناك محرمات غير هذه، وإنما وردت الآية بصورة الاختصار، وليس معناها اختصار نزلت على المشركين في تحريمهم ما أحل الله، وتغليبهم ما حرم الله.

خامساً: ومن أمثلة فوائد سبب النزول أن يعرف اسم من نزلت فيه؛ لنزول اللبس والإيهام، فقد زعم مروان أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ أَنْ لُكُمَا﴾ (الأحزاب: ١٧)، أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، فردت عليه عائشة رضي الله عنها هذا الزعم الباطل، ويثبت له سبب نزولها وتفصيل القصة على ما ذكرها البخاري، هي:

«إن مروان كان عاملاً على المدينة، فأراد معاوية رضي الله عنه أن يستخلف يزيد، فكتب إلى مروان بذلك، فجمع مروان الناس فخطبهم، فذكر يزيد ودعا إلى بيعته، وقال: إن أمير المؤمنين أراه الله في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: ما هي إلا هرقلية - يعني أنها استبداد للملك، كعمل ملوك الروم - فقال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: هرقلية، إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا في أهل بيته، وما جعلها معاوية إلا كرامة لولده، فقال مروان: خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلِيِّهِ أَنْ لُكُمَا﴾ يعني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي ﷺ (الأحزاب: ١٧)، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فيها شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل علوي - براءتي - ولو شئت أن أسمي من نزلت فيه لسميت»<sup>(١)</sup>

ما هو سبب النزول؟

قد تحصل واقعة، أو تحدث حادثة، فنزل آية، أو آيات كريمة في شأن تلك الواقعة أو الحادثة، فهذا هو ما يسمى - سبب النزول - وقد يعرض سؤال على النبي ﷺ بقصد معرفة الحكم الشرعي فيه، أو الاستفسار عن أمر من أمور الدين، فنزل بعض الآيات الكريمة، فهذا أيضاً ما يسمى - "سبب النزول".

مثال الحادثة: ما رواه البخاري عن عباد بن عباد عن الأثر رضي الله عنه قال: كنت قيناً - أي حليداً - وكان لي

<sup>(١)</sup> انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة حم الأحقاف (رقم الحديث: ٤٤٥٠).

على المعاص من مثل دين، فحدث انقضاء ديني، فقال لي: لا أعطيت دينك حتى تكفر بمحمد، وتعد اللات والعزى قفلت: لا تكفر حتى يميتك الله، ثم يميتك، فقال: إني إذا لميت، ثم مبعوث، فانتظري لي ذلك اليوم، فسأوتني مالا وولدا، فأرعبت دينك، فانزل الله عز وجل فيه قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا الَّذِي كَفَرْنَا بِآيَاتِنَا وَمَا لَآؤُنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَطْفَعُ النَّفْسَ ثُمَّ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّاحِضِ عَهْدًا، كَلَّا سَكَتَ مَا يَقُولُ وَتَعَدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ عَدًّا، وَتَرَاهُ مَا نَقُولُ وَنَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (سورة: ٧٧-٨٠).<sup>١١٠</sup>

ومثال السؤال: ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: "يا رسول الله! إن اليهود تعششان، ويذكرون مسألتنا عن الأهلة، فما نال الظلم يدور دبقا، ثم يزيد حتى يستوي ويستدير، ثم ينتقص حتى يعود كما كان؟" فانزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ فَنُفِئُ فِيهِمْ مَا قَبِلْتَ لِلنَّاسِ وَالْحُجُجِ﴾ (سورة: ٨٩).<sup>١١١</sup>

### كيف يعرف سبب النزول؟

يظهر مما سبق أن أسباب النزول لا يمكن أن تدرك بالرأي، ولابد فيها من الرواية الصحيحة والسماح؛ ممن شاهدوا الترتيل، أو وقفوا على الأسباب، وبحثوا فيها، من الصحابة والتابعين وغيرهم، ممن اكسبوا علومهم على أيدي العلماء المؤثمين.

وقد قال ابن سيرين رضي الله عنه: سألت عبيدة عن آية من القرآن؟ فقال: اتق الله، وقل سداد، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن.

ويعتمد في معرفة سبب النزول على النقل الصحيح، فإذا صرح الراوي بلفظ السبب، فهو نص صريح فيه، كقول الراوي: سبب نزول هذه الآية كذا وكذا، وكذلك إذا أتى بغاء تعفيفية داخلة على مادة النزول، كقوله: حدث كذا، أو مثل النبي ﷺ عن كذا، "فتزلت"، فهو نص صريح في سبب النزول أيضا.

<sup>١١٠</sup> انظر صحيح البخاري. كذب للتفسير: سورة مريم، باب أفترت الذي كهر بأهله (رقم الحديث: ٤٤٥٥).

<sup>١١١</sup> انظر "روح المعاني" للألوسي، ١/٤٢٤.

وقد لا تكون العبارة نصاً في السبب كفوقهم: نزلت هذه الآية في كذا، فقد يراد منه سبب النزول، وقد يراد ما تضمنته الآية من أحكام، فيكون مثل قوله: عني هذه الآية كذا. قال المازكي رحمه الله في الزهراء: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحلصهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا... فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها.<sup>(١)</sup>

وقال ابن تيمية: فوقهم: "نزلت هذه الآية في كذا"، يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داسل في الآية، وإن لم يكن السبب فيه.<sup>(٢)</sup>

### هل يتعدد سبب النزول؟

كتبوا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة، والمعتمد في مثل هذه الحال أن ينظر إلى العبارة التي قالوها، ونستطيع أن نستخلص ما يلي:

أولاً: أن يعبر كل منها بقوله: "نزلت هذه الآية في كذا..."، ويذكر أمراً آخر غير الذي ذكره الأول، فيحمل على أنه استنباط للحكم، وتفسير لمعنى الآية، فلا منافاة بينهما كما مر؛ لأنه ليس بسبب النزول.

ثانياً: أن يعبر أحدهما بقوله: "نزلت الآية في كذا"، ويصرح بالآخر بذكر سبب النزول، فانهتمد هنا التصريح، مثلاً: ما رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت ﴿يُنَادِيكُمْ﴾ حُرَّتْ لَكُمْ ﴿٢١﴾ في إتيان النساء في أديارهن.<sup>(٣)</sup>

وروى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: "من أتى امرأته من دبرها

<sup>(١)</sup> انظر "الإيضاح"، ٩٣/١.

<sup>(٢)</sup> انفسد السابق.

<sup>(٣)</sup> أم حجة البخاري في كتاب التفسير، سورة البقرة: باب "تساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أو أنتم ولتدبروا لأنفسكم" (رقم الحديث: ١٤٥٣)، ولعلنا: عن ابن عمر: "فأتوا حرثكم أو أنتم" قال بأنها في ...

في قُبُهَا جَاءَ، فَوَلَدَ أَحْمُولٌ" فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيُتُ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فاعتمد هنا الثاني، وهو حديث حابر رضي الله عنه؛ لأنه نص في السبب، فهو نقل، وقول ابن عمر رضي الله عنهما ليس بنص، فيحمل على أنه استنباط للحاكم رضي الله عنه.

ثالثاً: أن يذكر كل واحد سبباً صريحاً للنزول غير الآخر، فيعتمد هنا الصحيح دون الضعيف، مثلاً: ما أخرجه الشيخان عن حذاف رضي الله عنه قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يغم ثيلاً أو لينين، فأنته امرأة، فقالت: يا محمدا ما أرى عيطانك إلا قد تركك، فأمر الله: ﴿الصُّحُفِ، وَتَبَيَّنَ إِذَا سَحَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَى﴾ (النمل: ١-٣).<sup>(٢)</sup>

وأخرج الطبراني: أن حموا دخل بيت النبي ﷺ، ودخل تحت السرير فعدت، فعدت النبي أربعة أيام لا يزال عليه الرحي، فقال: يا خولاء ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتي؟ فقلت لي نفسي: لو هيات البيت وكنته، فأهويت بالكيسة تحت السرير، فأخرجت الجرو، فحاء النبي ترعد لحينه - وكان إن نزل عليه أخلده الرعدة -، فأمر الله: ﴿وَالصُّحُفِ، وَالْمَلِئِ إِذَا سَحَى﴾ (النمل: ١) فأنزل الله: ﴿وَالصُّحُفِ، وَالْمَلِئِ إِذَا سَحَى﴾ (النمل: ١-٥)، فاعتمد على الرواية الأولى؛ لأنها في الصحيحين، قال ابن حجر في شرح البخاري: قصة جبريل سبب الجرو مشهورة، لكن كوفها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف، فاعتمد ما في الصحيح.<sup>(٣)</sup>

رابعاً: أن يستوي الإسناد في الصحة، فراجع أحدهما على الآخر لوجه من وجود التوجيهات، كذا ذكر الراوي أنه حصر القصص مثلاً، أو نحو ذلك.

مثال: ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة، وهو يتوكأ

<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم في كتاب الحجاج، باب "حوار جماعة نزلوا في قبها من قدامها ومن ورائها من غير تعرض لغيره"، (رقم الحديث: ١٤٣٦، ١٤٣٥).

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري في أبواب الشهادة، باب "بأنه المقام أفريق" (رقم الحديث: ١٠٧٣، ١٠٧٢)، وفي تفسير سورة الضحى (رقم الحديث: ٤٦٦٥)، وأخرجه مسلم في "الجهاد والسير" باب "ما نقل النبي ﷺ من أدى لشركه وسامعه"، (رقم الحديث: ١٧٩٧)، "أحمد" (٩٥/١).



على عيسى، فمرّ بغير من اليهود، فقاتل بعضهم: لو سألتموه، فقلوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة، ورفع رأسه، فعرّفت أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).<sup>(١)</sup>

وما أخرجه فخر رازي وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لفريرس اليهود: أعطونا شيئاً نسأل هنا فخرج منه، فقالوا: اسأله عن الروح، فأمر الله: ﴿وَيُؤْتِيكَونَكَ مِنَ الرُّوحِ...﴾ (الإسراء: ٨٥).<sup>(٢)</sup> فهذه الرواية تقتضي أنه رآه، والآن لي تقتضي أنها نزلت بالصدفة، فترجح الرواية الأولى؛ لأن ابن مسعود كان حاضر الفصة، ثم ما يؤيد البخاري يرجح علي ما رواه غيره.

مخاصم: أن تكون كل من الروايتين صحيحة لإساده، وأن يكون بينهما تفاوت في المدف منزل الآية أو الآيات بسبب الحداثتين معاً، ونسهي إلى الجمع بين الروايتين.

متناه: ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هلال بن أبيه فذف امرأته عند النبي ﷺ شريك بن محمّد، فقال النبي ﷺ: "الليسة أو حد في ظهرك"، فقال: يا رسول الله! إذا رأى أحداً مع امرأته رجلاً، ينظرن بأبصار البيعة؟ فحعل النبي ﷺ يقول: "الليسة أو حد في ظهرك"، فقال: والنبي بعثت بالحق إلى ناصيته، ولنزلن الله تعالى ما يرى طهري من الحد، فنزل جبريل عليه السلام وأمر الله عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُؤْنَ أَرْوَاهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (النور: ٦-١٠).<sup>(٣)</sup>

وما أخرجه الشيخان عن سهل بن سعد قال: جاء عويم بن صر إلى عاصم بن عدي فقال: سأل رسول الله عن رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقضه فيقتل به، أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ، فعاب المسائل، وأخير عاصم عويمراً، فقال: والله لأبين رسول الله فلا سألته، فأتاه

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول الله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (رقم الحديث: ١٢٥).

<sup>(٢)</sup> أخرجه فخر رازي في تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل. (رقم الحديث: ٣١٤٠).

<sup>(٣)</sup> أخرجه البخاري في كتاب التفسير، سورة شور، باب ويبدأ هذه العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله لا ينكدهن. (رقم الحديث: ٢٤٧٠).

فقال ﷺ: "إنه قد أنزل عليك وفي صاحبك قرآن، وتلا الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾" (درود: ١١٠).

وطريق الجمع بينهما أن نقول: إن أول من رفع له ذلك "هلال"، وصادف يحيى "عومر" أيضاً، فنزلت فيهما جميعاً، قال ابن حجر: ولا مانع من تعدد الأسباب.

سادساً: أن لا يمكن الجمع بين الروايات الصحيحة، فيحمل على تعدد النزول وتكرره؛ لأن اللغة بينهما بعيدة.

مثاله: ما روي في الصحيحين عن المسيب قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: أي عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزلوا يكلمانه حتى قال: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: لا تستغفرون لك ما لم أنه عن ذلك، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...﴾ (سورة: ١١٣).

وما أخرجه الترمذي عن علي عليه السلام قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبيه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبيك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك للرسول ﷺ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...﴾ (١٣).

وروي أيضاً أن النبي ﷺ خرج يوماً إلى انفارة، فجلس إلى قبر منها، فاجاء طويلاً، ثم بكى فقال: "إن القبر الذي جلست عنده قبر أبي، وإني استأذنت ربي في الدعاء، فلم يأذن لي،

<sup>(١١)</sup> أخرجه البخاري في كتاب التفسير - سورة طه، باب قوله عز وجل: "وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ" الآية (رقم الحديث: ٤٤١٨)، وأخرجه نسيم في كتاب الفهم - (رقم الحديث: ١٤٩٢).

<sup>(١٢)</sup> أخرجه البخاري في كتاب الطهارة، باب إذا قال للمشرك عند الموت: "لا إله إلا الله" (رقم الحديث: ١٢٩٤)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب التماس على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في الفزع (رقم الحديث: ٣٩).

<sup>(١٣)</sup> أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، سورة التوبة (رقم الحديث: ٣١٠٦).

﴿فَأَنزَلَ عَلَيَّ:﴾ (مَا كَانَ نَبِيِّي وَلَا ذِي نِسْبَةٍ إِلَيْهِ) أَلَمْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ... ﴿١٣٠﴾ (١٣٠) قَالَ  
السَّعْدِيُّ: وَيَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَعَدُّ الزُّوْلُ. (١)

هل العبرة بعزم اللفظ، أم بخصوص السبب؟

اختلطت عمداً: الأصول في مسألة دفيئة، وهي: هل النعرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟ أي أنه إذا وقعت حادثه فترت في شأنها آية كريمة، فهل يقتصر حكم هذه الآية على تلك الحادثة، أو الواقعة، أو الشخص الذي نزلت فيه، أم يتعدى الحكم إلى الجميع؟ فجمهور العلماء يذهبون إلى أن نعرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، وهذا هو الصحيح، وهناك من آخر بأن النعرة بخصوص السبب.

قال السبوطي رحمه الله في كتابه "الإتقان في علوم القرآن":

ومن الأدلة على اعتبار عموم اللفظ: احتياج الصحابة وغيرهم في وقائع عموم آيات  
مرسلة على أسباب خاصة، كمروء آية الظهار في سبعة بن صحر، وآية النعان في شأن جلال من  
أمية. وحذ القذف في وفاة عائشة، ثم تعدى الحكم إلى غيرهم لعموم النص، وقد ورد عن  
ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على اعتبار العموم، فإنه قال له في آية السرقة، مع أنها نزلت في امرأة  
سرفت، ثم روي عن "عندة الحنفى" قال: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ**

١١) وقال خاتمة المحققين الشيخ محمد أمين الشهير بنس عابد بن مالك في "رد المحتار على الدر المنثور" (٦٩/٦٩):  
 "نظف في إحياء النبي ﷺ بعد موته" ألا ترى أن نسا ﷺ قد أكرمه الله تعالى بحياة أبيه له حتى أصاب  
 به في حديث صحيحه لم يفرق بينهما ومن ناصر الدين حافظ السام ينفق وجدهما، فالتفتا بالبيان بعد الموت  
 على خلافه للجماعة إكراماً لنسبنا ﷺ كما أحيا قبل من اسمه "بل ليخبر بقالة وكان عيسى ﷺ يحيى الموتى".  
 وكذلك نسبنا ﷺ أحيا الله تعالى بيده جماعة من الموتى، وقد صرح أن الله تعالى رد عليه ﷺ الشمس بعد  
 مضها حتى صلى على كرم الله وجهه العصور، فكما أكرمه بعد الموت بالشمس وانفتحت بعد موته، وكذلك أكرم  
 بعدو الجماعة ووفيت الإمام بعد موته. وما قيل: "إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [نور: ٢٤]،  
 يدل عليها" فريضة، وعبر مسجداً "أي وأولئك في النار" فكان قد علمه.

(١٠) انصر "مقامات" : ٨٧/١.

فَأَقْطَعُوا آلِدِيَهُمْ ﴿٢٨﴾ (النساء: ٢٨) أعاص أم عام؟ قال: بل عام.

قال ابن تيمية: قد يجيء كثيرا من هذا الباب قوله: هذه الآية نزلت في كذا ~ لا سيما إن كان المذكور شخصا - كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة ثابت بن قيس، وإن آية الكفالة نزلت في حابر بن عبد الله، وأن قوله تعالى: ﴿وَأَن مِّنكُمْ تَنكِحُوا أَنفُسَهُنَّ﴾ (النساء: ٢٤) نزلت في بني فريظة ومني النصير، ونظائر ذلك.

فألذين قالوا ذلك، لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك لأعيان دون غيرهم؛ فإن هذا لا بقوله مسلم، ولا عاقل على الإطلاق.

وقال الرمخشري في تفسير سورة الحمزة: يجوز أن يكون السبب خاصا، والوعد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون ذلك جاريا مجرى التعريض<sup>١١</sup> والله تعالى أعلم.

♦ ♦ ♦

<sup>١١</sup> انتهى ينصرف، من كتاب "الإنفاق في علوم القرآن".

## الفصل الرابع:

## نزول القرآن على سبعة أحرف

## والقراءات المشهورة

تمهيد:

ما خلق الله الخلق، جعل لكل منهم شرعة ومنهاجا، وكان للعرب لهجات متعددة، اكتسبوها من فطرتهم، واقتبسوا بعضها من حواشيهم، وكانت لغة فريش لها الصدارة والدبوع لأقسام عدة، منها استغاثهم بالجارفة، وروحدهم عند بيت الله الحرام، وفيانهم على الصلاة والرفادة، وكان القرشيون يقتبسون بعض اللهجات والكلمات التي تمنحهم، من غيرهم، وكان من الضمعي أن يزن الله أحكم الحاكمين القرآن باللغة التي يفهمها العرب اجمع، لتيسر فهمها، وللإعجاز والتشديد لأرباب الفصاحة بالإتيان بصورة أو بآية، وتيسر قراءته وفهمه وحفظه لهم؛ لأن من بلغهم كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّا نُرْسِلُكَ فِرَّانًا عَرَبِيًّا مُعَلِّمًا لِّقَوْمٍ﴾ (سورة: ١٠٤).

## أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:

أولاً: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قرآني حروف وواحدة، فله أنزل أنزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف".<sup>(١)</sup> راد مسلم: "قال ابن شهاب: يعني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال ولا حرام".

ثانياً: روى البخاري ومسلم - واللفظ البخاري - أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حجة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرأها رسول الله ﷺ، فكذلك أسأله في الصلاة، فانتظرت حتى سلم،

(١) صحيح البخاري (١٦٧: ٤)، صحيح مسلم (٥٦١: ١) بعدما عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة.

ثم لبسته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، قلت: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ، أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أفرده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة لفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت قرأتني سورة الفرقان.

فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمرا، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها، قال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه". وفي بعض الروايات: أن رسول الله استمع إلى قراءة عمر أيضا وقال: هكذا أنزلت.

الثالث: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب: قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يعلي فقرأ قراءة أنكرها علي، ثم دعى آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فما قضيت الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قرية أنكرها علي، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرها رسول الله ﷺ فقرئ، فحسب النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيت ضرب في صدري، ففضضت عرقا، وكأني أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال: يا أيها أرسلي إني أن قرأ القرآن على حروف، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد لي الثانية: اقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد لي الثالثة: اقرأ على سبعة أحرف، ولك بكل ردة ردفا مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اعمر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأعرت الثالثة ليوم يرغب في الخلق كلهم، حتى إبراهيم عليه.

قال القرطبي: فكان هذا الخاضر (يشير إلى ما سقط في نفس أبي) من قبل ما قال فيه النبي ﷺ حين سأره: إنا نجد في أنفسنا ما نتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: آوّد وجموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك صريح الإيمان".<sup>(١)</sup>

وأما روى الحد. لفظ أبو يعلى في مسنده الكبير: أن عثمان بن عفان قال يوما وهو على المنبر:

أذكر الله رجلاً مع النبي ﷺ قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف، لما قام، فقاموا حتى لم يبقوا فذهبوا أن الرسول ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف". فقال عثمان بن عفان: "وأنا أشهد معهم".

خامساً: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان عند أخيه بني مغفار قال: فأتته جبريل عليه السلام فقال: "إني والله يا أمرك أن تقرئ أمك القرآن على حرف". فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته. وإن أمي لا تطيق ذلك، ثم أتته الثانية، فقال: إني والله يا أمرك أن تقرئ أمك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة، فقال: إني والله يا أمرك أن تقرئ أمك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة، فقال: إني والله يا أمرك أن تقرئ أمك القرآن على سبعة أحرف، فلما حرف ورؤوا عليه فقد أصابوا.

سادساً: روى الترمذي عن أبي بن كعب أيضاً قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المروة، قال: فقال رسول الله ﷺ لجبريل: إني بعثت إلى أمة أمير، فيهم الشج العاق، والعجز الكبير، والعلام، قال: فمرهم فلقرؤوا القرآن على سبعة أحرف، قال الترمذي: حسن صحيح وفي لفظ: "من قرأ أحرف، منها فهو كما قرأ".

وفي لفظ حذيفة: فقلت: يا جبريل! إني أرسلت إلى أمة أمية، فيهم الرجل والمرأة، والعلام والحاربة، والشج العاق الذي لم يقرأ كتاباً قط قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف".

سابعاً: أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي نيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو أنه رجلاً قرأ به من القرآن، فقال له عمرو: إذا هي كما وكذا، وذكر ذلك رضي الله عنه فقال: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأني ذلك فأنتم أصيبتم، فلا تماروا".

ثامناً: روى الطبري والطبري عن ريد بن أرقم بن كعب قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:

أقرآن ابن مسعود سورة أقرأها زيد بن ثابت، وأقرأها أبي بن كعب، فاحتلمت قراءتهم، فبقرأة أبيهم أخلد؟ فسكت رسول الله ﷺ وعني إلى جنبه، فقال علي: ليقرأ كل إنسان منكم كما علم، فإنه حسن جميل.

فأصحا: أخرج ابن جرير الطبري عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافروا ولا حرج، ولكن لا تختصوا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة.

### الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف:

١- التيسير على الأمة الإسلامية، وخاصة الأمة العربية التي نزل عليها القرآن، وكان لها لحجاب متعددة على الرعم ألها لجمعها كلمة العروبة، فأتخذ هذا من قوله ﷺ: "إن هوّن على أمي"، "وإن أمي لا تطيق ذلك"، وغيره.

قال المحقق ابن الطبري:

"وأما سبب وروده على سبعة أحرف؛ فلتخفيف على هذه الألف، وإزالة اليسر لها، والتنويه عن عليها، سرفا فدا، وتوسعة ورخصة، وخصوصية لفصلها، وإجابة لقصد نبينا أفضل الحق وحبيب الحق، حيث أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمك القرآن على حرف، فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، فإن أمي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد أسأله حتى بلغ سبعة أحرف.

ثم قال: وكما ثبت أن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأسيا، عليهم الصلاة والسلام كانوا يعشون إلى قومهم الخاصين، والتي ﷺ بحث إلى جميع الحق، أحمرهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، وكان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم لاكتساب من لغة إلى غيره، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ونحو بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا، كذا، أشار إليه ﷺ، بلو



كثفوا العدول عن أنفسهم؛ والانضال عن أبستهم، فكان من التكليف بما لا يستطيع، وما عسى أن يتكلف التكليف وثأب الطباع.

٢- جمع الأمة الإسلامية على لسان واحد، يوحد بينها هو لسان فرميش الذي انتظم كثيرا من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وغيره؛ ولذلك نزل القرآن على سبعة أحرف، يعطفي ما شاء من خات القبائل العربية التي تمثلت في لسان القرشيين، وهذه حكمة إلهية سامية، فإن وحدة اللسان العام من أهم العوامل في وحدة الأمة، خصوصاً أول عهدنا بالثبوت والنهوض.

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف؟

الأحرف: جمع حرف، والحرف له معان كثيرة، قال صاحب القاموس: "أحرف من كل شيء طرفه، وشفره وحده، ومن الجبل أعلاه المجدد، وواحد حروف التهجئة (الهمزة) من الناس من يجذب الله على حرف" (المع: ١٠)، أي وجه واحد، وهو أن يصنع على السراء لا على الصراء، أو على شك، أو على غير طمأنينة من أمره، أي لا يدخل في الدين متسكناً. و"نزل القرآن على سبعة أحرف"، أي سبع لغات من لغات العرب. وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه وإن جاء على سبعة أو عشرة أو أكثر، ولكن معناه أن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن". (يتصرف) لما تقدم نرى أن حرف من قبيل المشترك اللفظي، ولشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام.

فالمراد من لفظ الحرف: أنه الوجه، بدليل ما يأتي:

قوله ﷺ: "نزل القرآن على سبعة أحرف".

كلمة "على" تشير إلى أن هذا الشرط للتوسعة والتيسير، بمعنى أنزل القرآن موحداً فيه على الفارئ أن يقرأه على سبعة أوجه، يقرأ بأي حرف أراد منها على لبدل من صاحبه، كأنه قال: أنزل على هذا الشرط وعلى هذه التوسعة.

### اختلاف العلماء في تفسير الأحرف الواردة في الحديث:

هما يتقدم الجدل والنزاع، ويكثر للقليل والقال، ومذكر بعضا من الآراء، ونرجح ما نراه أقرب للصواب:

١- ذهب بعض العلماء إلى أن أفراد به سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير في معنى من المعاني، يأتي القرآن باللفاظ على قدر هذه اللغات، وإذا لم يكن اختلاف قرآنه يأتي بلفظ واحد.

وقيل: إن السبعة هي لغة قريش، "وهذيل"، "وتقيف"، "وهوازن"، و"كنانة"، و"نجم"، و"يعن".

٢- وقيل: إن المراد بالأحرف السبعة: سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن، على معنى أنه في جملة لا يخرج في كلماته عن سبع لغات، هي أفصح لغاتهم، فأكثره بلغة قريش، ومنه ما هو بلغة هذيل، أو تقيف، أو هوازن، أو كنانة، أو نجم، أو يعن.

قال بعضهم: هذا أصح الأقوال وأولها بالصواب، وهو الذي صححه البيهقي، واختاره الأهرج، واقتصر عليه صاحب القاموس.

٣- إن المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، سبعة أصناف في القرآن.

ولكن أصحاب هذه الأقوال يختلفون في تعيين هذه الأصناف، وفي أسلوب التعبير عنها اختلافا كبيرا، فمنهم من يقول: إنها أمر، ونهي، وحلال وحرام، ومحكم ومشابه، وأمثال.

ومنهم من يقول: إنها وعد، ووعد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج.

ومنهم من يقول: إنها محكم، ومشابه، وناسخ، ومنسوخ، وخصوص، وصحوم، وقصص.<sup>(١)</sup>

٤- إن المراد بالأحرف السبعة أوجه من الألفاظ المختلفة في كلمة واحدة، ومعنى واحد،

نحو: هلم، وأقبل، وتعال، وعجل، وأسرع، وقصدي، وغوي، فهذه الألفاظ السبعة معناها واحد هو "طلب الإقبال".

<sup>(١)</sup> مناهل العرفان ص: ١٧٦.

وهذا القول منسوب لجمهور أهل عصره والحدث، منهم بن جرير الطبري، وأصحابه، وغيرهم.

٥- أن مراد بالأحرف السبعة الاختلاف في أمور سبعة:

١- اختلاف الإسماء بأفراد وتذكير: وهو وعملها، مثاله قوله تعالى: ﴿هُوَ وَالَّذِينَ هُمْ

ب- الاختلاف في نصرة الأفعال من مضارع، وامن، وأمر، مثله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بِإِذْنِكَ تُنَادِيهِمْ فَيَقُولُوا سُبْحَانَكَ عَلِيمٌ﴾ قرئ بتشديد لفظ "رَبَّنَا" على "ب" مبتدئ، وبافتح. "بِإِذْنِكَ" فعل أمر. وقرئ "رَبَّنَا بِعَدَّ" برفع "رَبَّنَا" على "أَنْتَ" مبتدئ، وبلغف "بِعَدَّ" فعلا منصبا مضارع النعين، حملته جر.

الاحتمال بالإبدال، سواء كان إبدال حرف بآخر، كقوله تعالى: ﴿وَأَنفِرْ﴾ إلى انضمام كيف تَسِيرُ مَا؟ (الذئب) قرئ بالزاي وبالراء مع فتح الهمزة، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنفِرْ مَضْجُودٍ﴾ (الذئب) قرئ "وَأَنفِرْ"، فلا فرق في هذا بين الاسم والفعل أو إبدال لفظ بلفظ، كقوله سبحانه: ﴿كَالْبُهَيْنِ الشُّعُوشِ﴾ (الذئب) قرأ ابن مسعود: "كالصوف الشعوش".

اختلاف بالتضميم والتأخير، إما في حرف كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَسِّرْ﴾ (الرعد: ٢٨) قرئ "أَقْسَمَ وَيَسِّر"، وإما في التكملة: نحو: ﴿يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٠) قرئ بالبناء بماعل في الأول، ولمفعول في الثاني، وقرئ بالعكس، وكقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا سَكْرَتَهُمْ أَنَظَّهُتْ بِالْحَقِّ﴾ (١٩: ١٥) قرئ "وَأَنزَلْنَا سَكْرَةَ الْحَقِّ نَأْزِلُونَهُ".

ج- اختلاف وجوه الإعراب، كقوله سبحانه: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ (سورة الفرقان ٢٥) ﴿أَنْتَ الْمُرْسَلُ الْمُنْجِي﴾ (سورة الفرقان ٢٥) ﴿يَرْفَعُ الْبَيْتَ عَلَى رَأْسِهِ نَفْسُ الْمُرْسَلِ﴾ (سورة الفرقان ٢٥).

و- الاختلاف بالزيادة والنقص، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (البرق ٣) قرئ: 'والذكر والأنثى' بحذف 'ما خلق'.

ط- اختلاف النجاشات بالفتح، والفتح، والإمالة، ولاظهار، والإدغام، وهو كثير، ومنه الإحالة وعدمها، في مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (البرق: ١٠)، وهذا الرأي الأخير قد ذهب إليه الرزقي، وقاربه كل القرب مذهب ابن قتيبة، وابن الجزري، وابن نصيب، وقد أخذ به الشيخ الرزقاني في كتابه "مناهل العرفان" وأيده ببعض الأدلة.

الترجيح:

وأقرب الوجوه إلى الصواب هو المذهب الأخير، الذي اختاره الرزقي، واعتمده الرزقاني في كتابه "مناهل العرفان" وأيده بأدلة، منها:

١- إن هذا المذهب هو الذي تويده الأحاديث المتقدمة.

٢- إنه يعتمد على الاستقراء، التام لاختلاف القراءات، وما ترجع إليه من الوجوه السبعة.

٣- إن هذا الرأي لا يلزمه محذور.

والأراء في "الأحرف السبعة" كاملة نجدها في كتاب "مناهل العرفان" للرزقاني، وفيها توهين المذاهب الأخرى والرد عليها (ص: ١٦٥- ١٧٧).

ولننقل خلاصة هذا المذهب من كلام أبي الفضل الرزقي في اللوائح حيث يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف.

الأول: اختلاف الأسماء من مراد، ولتنية، وجمع، وتذكير، وتأنيت.

الثاني: اختلاف تصرف الأفعال من ماضٍ، ومضارع، وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالنقص والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع: اختلاف الاعداد، يعني الیهجات، كالفتح والإدالة، والترقيق والتثنية، والإظهار والإدغام، ونحو ذلك.

هل الأحرف السبعة موجودة في المصاحف الآن؟

١- ذهب جماعة من الفقهاء والفر، والمكلمين إلى أن جميع هذه الأحرف موجودة في المصاحف العلمية.

حجتهم:

أ- أنه لا يجوز الإلزام أن نحمل كل شيء منها.

ب- أن الصحابة أجمعوا على أن المصحف لن يقلها عثمان رضي الله عنهما من المصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله عنه.

ج- معنى ما تقدم أن المصحف الذي عند أبي بكر قد جمع الأحرف السبعة، ونشت منها المصاحف العلمية بالأحرف السبعة كذلك.

د- قول النبي ﷺ: "إن أمتي لا تطيق ذلك" لا يخص بعهد الصحابة دون غيرهم، ويقام تفسير القرآن مع إقامه إمامهم.

٢- ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف، وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العلمية مشتقة على ما يتعلمه رخصها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام.

٣- ذهب ابن جرير الطبري ومن معه إلى أن المصحف العلمية لا تشمل إلا على حرف واحد من حروف السبعة، وقالوا: إن الأحرف السبعة كانت في أيام الرسول ﷺ، وفي بكر وعمر، فلما كان عهد عثمان رأيت الأمة يتقاتل أن تقتصر على حرف واحد جمعا بكلمة المسلمين،

ونسح عثمان هذا الحرف الذي استبقته الأمة وحده جميع المصاحف العثمانية.

قال الزرقاني في "مناهل العرفان" (ص: ٦٦٢) ما نصه:

"ونحن إذا رجعنا هذه الأوجه السبعة إلى المصاحف العثمانية، وما هو مخطوط بها في الواقع ونفس الأمر، نخرج بهذه الحقيقة التي لا تقبل النقص، ونصل إلى فصل الخطاب في هذا الباب، وهو أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق روجه من هذه الأحرف كلها أو بعضها، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأساً".

وقد بين ووضح الشيخ الزرقاني وجود الأوجه السبعة على مذهبه المختار، وأن الأوجه السبعة موجودة الآن في المصاحف العثمانية، وما يكفي بذكر مثال من أمثلته، غير أن بعض الوجوه السبعة ذكر أنها منسوخة بالعرضة الأخيرة.

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (البقرة) المقروءة بجمع الأمانة وإفرادها، فقد اشتمل عليها المصحف إذ كان الرسم العثماني فيه هكذا: (أَمَانَتِهِمْ) برسم المفرد في الحروف، ولكن عليها ألف صغيرة؛ لتشير إلى قراءة الجمع، وغير منقوطة ولا مشكونة.<sup>(١)</sup>

مناقشة مذهب الطبري:

قال الطبري: إن الأحرف الستة سمحت لإجماع الأمة في عهد عثمان عليه، وبقي حرف واحد حفاظاً لوحدة الأمة الإسلامية من التفرق، حين كفر بعضهم بعضاً بسبب اختلاف القراءات وخيفت لفظة، فلم تجد الأمة حلاً لهذه لمشكلة إلا جمع الأمة على قراءة حرف واحد.

الرد عليه:

١- الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في القراءة في عهد رسول الله ﷺ، وكادت أن تقع فتنة - كما

<sup>(١)</sup> مناهل العرفان، ص: ٦٦٢.

فلم - فكيف حل الرسول ﷺ هذه الشككة؟ بما كان منه الوحيد إقرار كل من المتخلفين على القراءة التي قرأوا، وأهمهم أن تعدد وحده القراءة هو رحمة من الله عم وتيسر عليهم، كما دلت عليه الأحاديث المتعددة.

٢- وقان في الحديث: "إن أمي لا تفصح ذلك"، وأنت باقية إلى يوم القيامة، كما نشاهد نحن الآن أن بعض الشعوب الإسلامية لا يتيسر لها النطق ببعض الحروف، ولا تحسن بفان بعض الملهجات دون بعض.

٣- بعد ما عرفنا ما تقدم، نقول: كيف سموا بصحابة رسول الله عليهم من الله لرضوان، وعلى رأسهم عثمان بن عفان رضي الله عنه - إعلاني باب المرحمة وتخفيف الذي نتبعه الله لأمة الإسلام؟ محافي الرسول عليه الصلاة والسلام في علاجه للنزاع الذي حصل بين الصحابة مقرر هذا التعدد للحروف.

٤- إن زبنا بصحابة رسول الله ﷺ أن يكونوا قد وافقوا أو فكروا على ضياع ستة أحرف من القرآن الكريم، وهي لم تنجح لا تلاوة ولا حكماء ولم يكونوا يخدموا الرسول في قوله وعمله.

٥- لو كانت هذه الأحرف نسخت في عهد عثمان رضي الله عنه، م بين مجال الاختلاف العلماء فيها، ولكننا نجدهم اختلفوا فيها على نحو من أربعين قولاً.

٦- و فرضاً - جذا - أن الأحرف الستة نسخت في عهد عثمان فلماذا لا تنفي بمرور التاريخ فقط في أعظم كتاب مقدس، مع أن الصحابة بنوا الآيات المنسوخة تلاوة أو حكماء، وكذلك الآيات المنسوخة والأحاديث المتوضحة، ويبنوا بكل وجهه.

٧- ونصارى القول: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يرضوا بمخالفة رسول الله ﷺ في قوله أو فعله، ولم يكن لهم السبل وسبح ما لم يسبح من كتاب الله، وحاشاهم أن يخدموا على مثل هذا الفعل، رضي الله عنهم وأرضاهم.

## بعض الشبهات الواردة على الموضوع والرد عليها

### الشبهة الأولى:

يقولون: إن المراد بالأحرف السبعة هي القراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة المعروفين عند القراء.

الرد عليهم: قولك هذا باطل من وجوه:

١- إن قول الرسول ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف" يكون عارياً من الفائدة على قولكم حتى يولد الأئمة السبعة، مع أن قولكم غير صحيح؛ لأن الرسول ﷺ قرأها وصحابه والتابعون قبل ميلاد القراء.

فإن اخفق ابن الجزري: "فلو كان الحديث مذكوراً إلى قراءات القراء السبعة المشهورين، أو سبعة غيرهم من القراء الذين ولدوا بعد التابعين لأدى ذلك إلى أن يكون خبر عارياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء السبعة، فتولد عنهم القراء، وأدى أيضاً إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء إذا ولدوا وتعلموا، اختاروا القراءة به، وهذا باطل؛ إذ طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن إمام ثقة، لفظاً عن لفظ، وإما عن إمام، إلى أن يصل بالنسبة ﷺ".

٢- إن الأحرف السبعة أهم من القراءات السبع عمومًا مطلقاً؛ لأن الأحرف السبعة تشمل القراءات التي قرأها الرسول ﷺ، وتشمل أيضاً ما وصل إلى هؤلاء القراء السبعة، وما نسخ قبل أن يصل إليهم، وتنظم جميع القراءات صحيحها، ومكرها، وشاذها، فما دام أن الأحرف أهم من القراءات فلا تكون هي نفس القراءات.

٣- من المحال عقلاً أن يفرض الرسول ﷺ قرنة القرآن على صحابته بقراءة القراء الذين لم يخلقوا بعد، وهذا الرئي باطل.



## الشبهة الثانية:

يقولون: إن أحاديث نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ثبتت الاختلاف مع أن القرآن نفسه ينفي الاختلاف بقوله تعالى: ﴿فَلَا يَذْكُرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (سجدة: ٨٢)، وذلك تناقض، ولا نفري أيهما الصادق؟

الجواب: إن الاختلاف الذي ثبتت الأحاديث غير الذي بعبه القرآن، وعلى هذا كلاهما صادق؛ إذ أن الاختلاف الذي ثبتت الأحاديث ليسا بمعنى بطرق الأداء والنطق بالفاظ القرآن في دائرة محدودة، لا تعدو سبعة أحرف، وبشرط النطق فيها كلها عن النبي ﷺ. فعلى هذا يكون الاختلاف في الأحاديث بمعنى التنوع، أما القرآن فينفي التناقض بين أحكامه ومعانيه وتعاليمه، مع ثبوت التنوع في انتظاظ والأداء<sup>(١)</sup>.

والحاصل: قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: وهذا المجموع في المصحف: هل هو جميع الأحرف السبعة التي أُلحمت القراءة عليها؟ أو حرف واحد فيها؟ قال القاضي أبو بكر: إنه جميعها، وصرح أبو جعفر الطبري والأكثرون من بعده بأنه حرف منها، ومال الشيخ الشافعي إلى قول القاضي فيما جمعه أبو بكر رحمه، وإلى قول الطبري فيما جمعه عثمان رحمه.

قال الزركشي في شرحه: قال بعض الشارحين: القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهو الذي جمع عليه عثمان رحمه المصحف، وهذه للقراءات السبع اختيارات أولئك القراء، فإن كل واحد منهم اعتراف بما روى وعلم وجهة من القراءة ما هو الأحسن عنده، ولزم طريقة منه ورواها وقرأه، واشتهرت عنه، ونسبت إليه قليل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يجمع واحد منهم حرف آخر، ولا أنكره، بل سوغه وحسنه، إلى أن قال: وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عنهم، وكان الإنزال على

(١) نقلا عن "مناهل العرفان" ص: ١٢٩، تنصرف.

الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة للأمة؛ إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغة وانعزول عن عادة نشور عليها من الإمالة والهمز والتلين ولند، وغيره لنشق عليهم.

### القراءات المشهورة:

في نهاية البحث يرى الإمام علينا أن نكلم على نبذة مختصرة عن القراءات وكيف نشأت؟ ومن هم لقراء المشهورون؟

### تعريف القراءات:

القراءات: جمع قراءة، مصدر: قرأ يقرأ قراءة، واصطلاحاً: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأئمة القراء مذهباً يخالف غيره في النطق بالقرآن الكريم وهي ثابتة بإسنادها إلى رسول الله ﷺ.

### هل كان في عهد الصحابة قراء؟

عم! يرجع عهد القراء الذين أذنوا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة الكرام، فقد اشتهر بإقراء منهم: أبي، وعيسى، وريد بن ثابت، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم رضي الله عنهم.

وعن هؤلاء أخذ كثير من الصحابة والتابعين في الأمصار، وكنهم يسند إلى رسول الله ﷺ إلى أن جاء عهد التابعين في المائة الأولى، فتجرد قوم، واعتشوا بفسط القراءة غناية ثمة حين دعت الحاجة إلى ذلك، وجعلوها علماً كما فعلوا بصوم الشريعة الأخرى.

### ونعود ونقول كيف نشأت القراءات؟

عرفت آنفاً أن عهد القراء من عهد الصحابة إلى عهد التابعين، وأن العمل عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي؛ الأخذ ثقة عن ثقة، وإماماً عن إمام، إلى النبي ﷺ، وكانت المصاحف غير منقطعة ولا مشكوك، وأن صورة للكلمة فيها كانت بمنزلة لكل ما يمكن من وجهه القراءات

المتخلفة، وإذا لم تحملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف، ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر، وهلم جرا. فلا غرر أن كان التعويل على الرواية والنسخي هو الصلة في باب القراءة والقرآن.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم قد اختلفوا عن رسول الله ﷺ، فمنهم من قرأ بحرف، ومنهم من أخذ به بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال.

وكان عثمان رضي الله عنه حين بعث المصاحف إلى الأقاليم، أرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر الغالب، وعند تفرق الصحابة في البلدان مع اختلافهم في القراءات نقل ذلك عنهم التابعون ومن تبعهم، واختلف بسبب ذلك أخذ التابعين حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضطوئها، ويعنون بها، وينشرونها.

هذا منشأ علم القراءات واختلافها، وإن كان هذا الاختلاف يرجع في الواقع إلى أمور يسيرة بالنسبة لمواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم، وهذا الاختلاف في حدود الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم كلها من عند الله.

وبحسن في هذا المقام أن نقل ما كتبه الشيخ الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان"، وقد نقله من كتاب لتنويري مخطوط بنار الكتب المصرية وضعه شرحا للعلية في القراءات، قال:

"والاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ، ولذلك أرسل - أي عثمان رضي الله عنه - كل مصحف مع من يوافق قراءته في الأكثر، وليس بلام. وقرأ كل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ، ثم تجرد للأخذ من هؤلاء قوم أسهبوا ليلهم في ضبطها، وأتبعوا غارهم في نقلها، حتى صاروا في ذلك أئمة للاعتداء، وأئمة للاعتداء، وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم، ولم يختلف عليهم آثان في صحة روايتهم ودرائتهم، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم، وكان المعمول فيها عليهم.

"ثم إن القراء بعد هؤلاء كثروا، وفي البلاد انتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم، وعرفت طيقاتهم،

واختلفت صفاتهم، فكان منهم الذين للثلاثة المشهورة: ثرواية، وثرواية، ومنهم المحصل لوصف واحد، ومنهم المفضل لأكثر من واحد، فكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقيل منهم لا اختلاف، فقام عند ذلك جهالة الأمة، ومنايعة الأمة، فاسفوا في الاجتهاد بقدر الحاصل، وميزوا بين الصحيح والباطل، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الأوجه والروايات، وبينوا الصحيح والشاف، والكثير والفاذ بأصول أصونها وأركان فصلوها... إلخ<sup>(١)</sup>.

### عدد القراءات وأنواعها:

ذكر صاحب كتاب "الإتقان" أن القراءات متواترة، ومشهورة، وآحاد، وشاف، وموضوع، ومندرج. قال القاضي حلال الدين البلقيني: القراءة تنقسم إلى متواترة، وآحاد، وشاف. فالمتواترة: القراءات السبع المشهورة<sup>(٢)</sup>.

والآحاد: قراءة الثلاثة التي هي ثمانية العشر، ويلحق بها قراءة الصحابة.

والشاف: قراءة التابعين، كالأعمش، ويحيى بن زئاب، وابن جبر، وغيرهم.

قال السيوطي: هذا الكلام فيه نظر، وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه الشيخ أبو الخضر ابن خوري، قال في أول كتابه "نشر":

"كل قراءة وافقت الحرية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، ومصح سننها: فهي لقراءة صحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأمة لقبولين، ومنى تختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها شدة أو باطل، سواء كانت عن السبعة، أم عن غيرهم، هذا هو الصحيح عند الأمة لتحقيق من السلف والخلف<sup>(٣)</sup>."

<sup>(١)</sup> مناهل العرفان: ١/٢٤٠.

<sup>(٢)</sup> الإتقان: ١/٢٠٣.

<sup>(٣)</sup> مناهل العرفان: ١/٢٤٠، والإتقان: ١/٢٠٣.

قد صاحب الطبية في صياط لبول القراءات.

وكلُّ ما وافقَ وحدة الحو  
وكان للرسم احتفالا يحوي  
وصحَّ سنادُه هو القرآن  
فهذه الثلاثة الأركان  
وحبها يختصُّ ركنُ أثبت  
شذوذُه لو أنه في السبعة

والقراءات: قيل: القراءات السبع، والقراءات العشر، والقراءات الأربع عشرة، وأحظى الجميع بالشهرة، وببهاية الشأن: القراءات السبع.

وتنسب هذه القراءات إلى الأئمة السبعة المعروفين، وهم: نافع، وعاصم، وحزف، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعلي بن الحسين الكسائي رضي الله عنهم.

والقراءات العشر، هذه تسعة وزيادة قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وحلف.

والقراءات الأربع عشرة، زيادة أربع على قراءات هؤلاء العشرة وهي قراءة الحسن البصري، وابن محيص، ونجى المزيدي، والثوري.

أول من صنف في القراءات:

علم القراءات أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا.

وأول من صنف في القراءات أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي حاتم السجستاني، وأبي جعفر الطبري، وإسماعيل النقاشي.

متى اشتهرت قراءة السبعة؟

اشتهرت قراءة السبعة على رأس المائتين في الأمصار الإسلامية. فكان الناس في البصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة وعاصم، وبالشام على قراءة ابن عامر، وبمكة على قراءة ابن كثير، وبالمدينة على قراءة نافع.

متى دوت القراءات؟

دوت في نهاية القرن الثالث بعدد على يد الإمام بن مجاهد أحمد بن موسى بن عمار، فجمع

قراءت هؤلاء السبعة غير أنه أثبت - سه الكسبي، وحذف بعضون.

طريقته:

كان أخذاً على نفسه ألا يروي إلا على شتهر بالانحطاط والأمانة، وطفول العمر في ملازمته القراءة، واتفاق الآراء على الأخذ به وانطقت منه.

والنصار أن محامداً على هؤلاء السبعة ليس محامداً لغرضه، ولا يحترم أحداً أن ينفذ عند حدود قرائهم.

لقراء السبعة المشهورون:

لقراءات اثم اثرة نفلت لنا عن القراء الحفظ، المشهورين بالحفظ والاصط والإتقان، وهم أئمة القراءات المشهورون، الذين تعلموا لنا قراءه اصحابه عن رسول الله ﷺ وكان فيه افضل انعام والنعيم بكتاب الله تعظي، كما قال صبروت الله وسلامه عليه: **خبركم من تعلم القرآن وعلمه**، وقد جمع الشيخ أبو اليسر غابرين هؤلاء القراء في ستين من الشعر فقال:

فانعم، ونس كثير، عاصمٌ وحمر، ثم أبو عمرو هو  
مع ابن عامر أبي الكسبي أئمة السبع بلا استواء

لقراء السبعة:

١- ابن عامر:

اسمه عبد الله ابىحصي، قاضي دمشق في خلافة الوليد، من عبد الحنفية، ويكنى أبا عمارة، وهو تابعي، وقد أخذ القراءة عن أنقرة بن أبي شهاب الحرومي، عن عثمان بن عفان، عن رسول الله ﷺ، توفي بدمشق سنة ثمان مائة وقد اشتهر برواية قراءته ههنا، وابن ذكوان.

قد يهيم صاحب الشاطبية:

وما دمشق الشام دار ابن عامر      فطلق يعبد الله طابث محلا  
هشام وعبد الله وهو انتسابه      لذكوان بالإستاد عنه نقلًا

٢- ابن كثير:

هو أبو محمد، عبد الله بن كثير لداري لدكي، كان إمام الناس في القراءة بحكمة، وهو تابعي،  
لحقه من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وتوفي بحكمة سنة  
مائة وعشرين.

ورأوا به البزي (ت-٢٥٠هـ) وقتيل (ت-٢٩١هـ).

قال فيهم صاحب الشاطبية:

وبكة عبد الله فيها مقامه      هو من كثير كثر القوم مُعْتَلًا  
رؤى أحمد البزي نه وعمد      على سند وهو الملقب مُعْتَلًا

٣- عاصم الكوفي:

هو عاصم بن أبي النجود الأسدي، ويقال له: ابن هذلة، ويكنى أبا بكر، وهو تابعي، توفي  
بالكوفة سنة ١٢٧ أو ١٢٨، ورأوا به شعبة (ت-١٩٣هـ) وحفص (ت-١٨٠هـ).

يقول فيهم صاحب الشاطبية:

وبالكوفة الفراء منهم ثلاثة      أذاعوا فقد ضاعت شذى وفرغلا  
فما أبو بكر وعاصم سمه      شعبة وأبو البرز أنضلا  
وذلك ابن عباس أبو بكر الرضا      وحفص ودلائق كان مفضلا

٤- أبو عمرو:

هو أبو عمرو زمان بن العلاء بن عمار المصري، شيخ الرواة، وقيل: اسمه يحيى، وقيل: اسمه كنيته،  
توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين مائة، ورأوا به الثوري (ت-٢٤٦هـ) والسوسى (ت-٢٦١هـ).

قال صاحب الشاطبية:

وأما إمام المازني حرمهم أبو عمرو البصري فوائده العدا  
فأصبح بالعذب اللغات معللا  
أبو عمرو لدوري وحالهم أبو شبيب هو البصري قد نقلا

٥- حمزة الكوفي:

هو حمزة بن حبيب بن عتبة الأدي، الفرض البصري، مولد بكمرة من ربيع البصري، ويكنى  
أبا حمزة، توفي بخوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٥٦هـ، ورواه عنه  
(ت. ٢٢٩هـ) وخلاَّد (ت. ٢٢٠هـ) بواسطة منجم.

قال صاحب الشاطبية:

وحمره ما أذكاه من متورع إنما صوراً للقرآن مزللا  
روى حلقاً عنه وخلاَّد الذي روى سليم متفناً ومحصلا

٦- نافع:

هو أبو روم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم البصري، أصله من أصفهان، وانتهت إليه رئاسة الإفتاء  
بالمدينة المنورة، وتوفي بها سنة ١٦٩هـ، ورواه فقلون<sup>(١)</sup> (ت. ٢٢٠هـ) وورش (ت. ١٩٧هـ)،  
يقول صاحب الشاطبية:

فأما الكريم شمر في الطب نافع فذاك الذي اختار المدينة منزلا  
وقتلوه عيسى، ثم عثمان، ورشهم بصحة الفقه الرفيع نائلا

٧- الكسائي:

هو علي بن حمزة إمام شجرة الكوفيين، ويكنى أبا الحسن، وقيل له: الكسائي، لأنه كان له الإحرام

(١) معناه: سليل في أصل نفعها، ورش: تشبهه بياضه.



لابسا كساء، توفي بـ "برنيوية" قرية من قرى الرضاء حين توجه إلى عرامان مع الرشيد سنة ١٨٩٠هـ، ورواه أبو الحارث (ت ٢٤٤٦هـ) والعمري (ت ٢٤٤٦هـ).

يقول صاحب الشاطبية:

وأما علي فالكسائي نعت لما كان في الإحرام به تسريلا  
 روى ثبهم عنه أبو الحارث الرضا وحفص هو ثلجري وفي الذكر قد علا

\* \* \*

## الفصل الخامس:

## النسخ في القرآن الكريم وحكمته التشريعية

جاءت الشريعة الإسلامية الغراء، محفقة لمصالح الناس، متمشية مع تطور الزمن، صالحة لكل زمان ومكان، وكان من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن سرّ لهم سنة "التدرج في الأحكام"؛ لتبقى النفوس على أتم الاستعداد؛ لتقبل تلك التكاليف الشرعية برضى وقناعة وطمأنينة. ولا تشعر بالكل أو ضجر، ولا تشعر بمشقة أو شدة، ولتظل الشريعة الغراء - كما أرادها قول جل وعلا - شريعة سهلة، يسيرة، لا عسر فيها ولا تعقيد، ولا شطط فيها ولا إهمال. تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (نور: ١٠٨) وقوله جل شأو: ﴿وَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا نَزَّلْنَا بِهِ...﴾ (الحج: ٧٨) الآية.

ومن المعلوم أن الأحكام ما شرعت إلا لمصلحة العباد، وهذه المصلحة تختلف باختلاف الزمان والمكان، فإذا شرع حكم في وقت من الأوقات، وكانت الحاجة منحة إليه، ثم زالت تلك الحاجة، فبس الحكم بسحبه وتبدليه بحكم يوافق الوقت الآخر، فيكون هذا التبديل والتغيير محققاً للمصلحة، مؤدية للغاية، نافعا للعباد. وما مثل ذلك إلا كعمل الطبيب، الذي يغير الأدوية والأدوية للمريض باختلاف الأمراض والنوبة والاستعداد.

والأبياء صلوات الله وسلامه عليهم هم "أطباء القلوب"، ومصنفو شعور؛ لذلك جاءت شرائعهم مختلفة، تبعاً لاختلاف الأزمنة والأمكنة، وجاءت بسمة "التدرج في الأحكام"؛ لأنها بمثابة الأدوية والعقاقير<sup>(١)</sup> للأبدان، فما يكون منها في وقت مصلحة، قد يصبح في وقت آخر مفسدة، وما يصلح لأمة لا يصلح لأخرى، وتلك هي حكمة العظيم الحكيم، الذي شرع لكل زمان ما يصلح له.

<sup>(١)</sup> العقاقير جمع عقار: أصل الدواء.

## كلمة لطيفة في النسخ للقاسمي:

وجاء في التفسير المسمى "محاسن التأويل" للشيخ جمال الدين القاسمي، كلمة سديدة نقلها هنا  
بمعناها، بقول الشيخ رحمه:

إد الخالق تبارك وتعالى رأى الأمة العربية في ثلاث وعشرين سنة نورية تدريجية، لا تتم نعيمها  
برأسطة الفواعل الاجتماعية - إلا في قرون عديدة؛ لذلك كانت عليها الأحكام على حسب  
قابليتها، ومنى ارتقت قابليتها بذل الله ذلك الحكم بغيره، وهذه سنة الخالق في الأفراد والأمم على  
حد سواء، فإنيك لو نظرت في المكتبات الحية، لرأيت أن النسخ ناموس طبيعي محسوس في الأمور  
المادية والأدبية معا، فإن انتقال خلية الإنسانية إلى حين، ثم إلى طفل، فبائع، فشاب، فكهول،  
فشيخ، وما يتبع كل دور من هذه الأدوار، يريث ما جلى دليلا: أن التبدل في المكتبات ناموس  
طبيعي محقق، وإذا كان هذا المنسخ ليس بمستنكر في المكتبات، فكيف يستنكر نسخ حكم وإبداله  
بحكم آخر في الأمة، وهي في حالة نمو وتخرج من أدنى إلى أرقى؟

هل يرى إنسان له مشكلة من عرض أن من الحكمة تكليف العرب - وهم في سدا أمرهم -  
بما يلزم أن يصنفوا به، وهم في غاية الرقي الإنساني، وغاية الكمال البشري؟ وإذا كان هذا  
لا يقول به عاقل في الوجود، فكيف، يجوز على الله - وهو أحكم حاكمين - بأن يكلف  
الأمة وهي في دور "طفوليتها" بما لا تتحمسه إلا في دور "شبابيتها، وكهولتها"...

وأي الأمرين أفضل؟ شرعنا الذي سن الله لنا حدوده نفسه، ونسخ منه ما أراد بطلمه، واتمه  
عبث لا يستطيع الإنس والجن أن ينقصوا حرفا منه؛ لانطباقه على كل زمان ومكان، وعدم  
مخافاته لأية حالة من حالات الإنسان؛ ثم تتوابع دينة نعتى، حرقها كنهاتها، ونسخ انوجود  
أحكامها - بحيث يستحيل العمل به ؟ لئلا نقضي حياة بشرية مر كآل وجهه...؟<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> انظر "محاسن التأويل" للشيخ جمال الدين القاسمي: ٢١٩/٢



## هل النسخ واقع في الشرائع السماوية؟

النسخ في الشريعة الإسلامية جائز عقلاً، حادث سمعاً، وهو واقع بإجماع المسلمين، خلافاً لليهود، فإنهم أنكروا وقوعه، وقالوا: لم يحدث نسخ في الشرائع؛ لأنه يدل على الجهل، والله منزّه عن ذلك، ووافقهم على هذا القول "أبو مسلم الأصفهاني"، فقال: إن النسخ في كتاب الله تعالى لم يحصل؛ لأن الله تعالى قال عن القرآن العظيم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (سك: ١٤٢)؛ فلو جاز النسخ لكان قد أتاه الباطل.

واحتج جمهور العلماء على جواز النسخ ووقوعه بأن الدلائل القطعية دلت على نبوة محمد ﷺ ونونه ﷺ لا تصح إلا مع لقول نسخ شرع من قبله، وهذا دليل عقلي. وأما الوقوع فقد قالوا: إن النسخ قد حصل في الشرائع السابقة، وفي نفس شريعة اليهود، فإنه جاء في التوراة أن آدم ﷺ أمر بترويع بنيائه من بنيهِ، ثم قد حرم ذلك باتفاق.<sup>(١)</sup>

## أدلة الجمهور:

استدل الجمهور على وقوع النسخ بحجج كثيرة: نوجزها فيما يلي:

الطبعة الأولى: أن الله تعالى قد صرح به في الآية الكريمة، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (سك: ١٠٦)، قالوا: فهذه الآية صريحة في وقوع النسخ.

الطبعة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَدَّأْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا نُنزِّلُ قَالُوا إِنَّهُ أَتَتْ مُنْجِرٌ يَنْزِلُ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (سك: ١٠٢، ١٠٣)، قالوا: إن هذه الآية واضحة كل الوضوح في تبديل الآيات والأحكام، والتبديل: يشتمل على رفع حكم وإثبات آخر، والمرفوع إما التلاوة وإما الحكم؛ وكيفما كان الأمر، فإنه رفع ونسخ، وهو ما دلت عليه الآية الكريمة.

<sup>(١)</sup> طه القصور الكبير "الإمام لغمر الرزي: ٢٢٧/٣.



يأبى جماع السلف على وقوعه في الشريعة... ثم إن يلحق لا خلاف بين العلماء أن سر تنع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدنيوية والدينية. وإما كان يلزم النداء - أي ظهور الحكمة بعد عفتها - لم يكن عائداً محالاً لأموار، وأما العالم بذلك فإما تبدل عطاياته بحسب تبدل انصالح، كالطبيب المراهي أحوال العلل، فرأى ذلك في حقيقته محسبته وإرادته، لا أنه إلا هو، فحفظه بتدليل، وعلمه وإرادته لا تتغير، فإن ذلك محال في جهة الله تعالى".<sup>١٢</sup>

### أقسام النسخ في القرآن الكريم:

ينقسم النسخ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: نسخ التلاوة والحكم معاً.

الثاني: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

الثالث: نسخ حكم مع بقاء التلاوة.

أما الأول: وهو "نسخ التلاوة والحكم"، فلا يجوز قراءته ولا العمل به؛ لأنه قد نسخ بالكتب، كتابة التحريم بعشر رضعات، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات بخبر من، فتمسح بخمس رضعات معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ، ومن فيه بقراءة من القرآن.<sup>١٣</sup>

قال الفخر: والجزء الأول منسوخ الحكم والتلاوة، والجزء الثاني وهو الخمس منسوخ التلاوة، باقى الحكم عند الضائفة.

<sup>١٢</sup> انظر "جامع الأحكام" للإمام القرطبي: ٥/١٧٤، والشيخ زكريا يونس كتاب صلا: "الإيمان والتلاوة"، ذكر فيه هذا حديثاً رواه عنه علي بن الحسين الذين "نكروا النسخ في القرآن بعد ديل وإبراهيم".

<sup>١٣</sup> الحديث أخرجه مسلم في الرضاع رقم: ١٤٥٩. وأبو داود، والترمذي، والبيهقي، ومعه: أن النسخ خمس رضعات فأمر بإزالة، حتى تولى رسول الله ﷺ بعض الناس بقراءة؛ لأنه لم يبق منه النسخ لغرب عهد.

وأما الثاني: وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، فهو كما قال طرركشي في الزهراء في علوم القرآن: "يعمل به إذا تلفته الأمة بالقبول، كما روي في سورة النور" الشيخ واشيعة إذا رسا فارجموها ابنة نكلا من الله، والله عزيز حكيم"، قال عمر رضي الله عنه: "ولولا أن يقول الناس راد عمر في كتاب الله لنكبتها يدي".<sup>(١)</sup>

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: "كانت سورة الأحزاب نوازي سورة النور - يعني في الطول -، ثم نسخت آيات منها".

وهذان النوعان "نسخ الحكم والتلاوة" و نسخ التلاوة مع بقاء الحكم" قليل جدا في القرآن الكريم، ونادر أن نجد فيه مثل هذا النوع؛ لأن الله سبحانه أنزل كتابه الخبير ليتعبد الناس بتلاوته ويتطبيق أحكامه.

وأما الثالث: وهو "نسخ الحكم مع بقاء التلاوة"، فهو كثير في القرآن الكريم، وهو كما قال طرركشي: في ثلاث وستين سورة، ومن أمثلة هذا النوع آية الوصية للوالدين نسخت بآية الموارث، وآية العدة بحول كامل نسخت بآية العدة بأربعة أشهر وعشرة أيام، وآية القذف في الصوم للغارر نسخت بآية وجوب الصوم، وتخصم الصدقة عدد متاجرة الرمنون ﷺ، والكف عن قتال المشركين، كل ذلك نسخ بآيات في القرآن الكريم والضحاحات الدلالة والحكم.

وقد ألف الشيخ عبد الله بن سلامة رسالة في "الناسخ والمنسوخ" جاء فيها ما نصه: "علم أن أول النسخ في الشريعة: أمر الصلاة، ثم أمر الغيبة، ثم الصيام ليوم عاشوراء، ثم الإعراس عن المشركين، ثم الأمر بجهادهم، ثم أمره بقتل المشركين، ثم أمره بقتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، ثم ما كان أهل العقود عليه من الموارث، ثم مله منار جاهلية؛ فلا يخالفوا المسلمين في حجهم... إلى آخر ذلك.

<sup>(١)</sup> الحديث أخرجه ابن عساقري في صحيحه.



### الحكمة من نسخ الحكم مع بقاء التلاوة؟

أما الحكمة من ذلك، فقد بيها العلامة الزركشي في كتابه "نزهة في علوم القرآن"، فقال:  
 "وهنا سؤال وهو أن يسأل: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ والجواب من وجهين:  
 أحدهما: أن القرآن كما نطق به نبروه الحكم منه، ولعل به، فإنه كذلك ينبغي؛ ليكون كلام  
 الله عز وجل، مثبت على تلاوته، فترك التلاوة عند الحكمة.

والثاني: أن النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكرة، بالصفة، ورفع النسخة، حتى  
 يذكّر المسلم نعمة الله عليه بتيسير الدين".<sup>(١)</sup>

### هل ينسخ القرآن بالسنة النبوية المظهرة؟

اتفق العلماء على أن القرآن ينسخ بالقرآن، وأن السنة النبوية تنسخ بالسنة، والخبر المتواتر ينسخ  
 بخلافه، ولكنهم اختلفوا في مسألة: هل ينسخ القرآن بالسنة؟ والخبر المتواتر بغير التواتر؟  
 فذهب المشهور إلى أن النسخ للقرآن، لا بد أن يكون قرآن منه؛ فلا يجوز عنده نسخ  
 القرآن بالسنة النبوية؛ لأنها ليست في درجة القرآن.

وذهب لجمهور إلى حواز نسخ لقرآن بالقرآن، وبالسنة المظهرة أيضاً؛ لأن الكل حكم الله تعالى  
 ومن عنده، والكنى يوحى من الله عز وجل: ﴿لَوْ مَا نَبَّأْتُ عَنْ النَّبِيِّ، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَخْيُ يُوحَى﴾  
 (نجم: ٥) وحجة الجمهور ما ورد من نسخ آية الوصية بنديث: "إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ دِي حَقٍّ  
 حَقَّهُ، إِلَّا لَا وَصِيَّةَ لِي بَرَاتٍ"

ونسخ حديث الزاني المختص في الآية الكريمة: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾  
 (نور: ١) حيث نسخ الجلد بالرجم، فقد رجم رسول الله ﷺ معز والغديبة، ولم يجلد واحدا منهما،  
 يدل على أن الحكم وهو نخلد نسخ بالسنة المظهرة، وهذا القول هو الأشهر والأظهر،<sup>(٢)</sup> والله أعلم.

<sup>(١)</sup> انظر كتاب "نزهة في علوم القرآن" للإمام الزركشي.

<sup>(٢)</sup> انظر أدلة الجمهور في مسألة في كتاب: "روايع بيان" في تفسير آيات الأحكام من القرآن ١/ ٦٧١.

## هل يقع النسخ في الأحكام؟

جمهور العلماء على أن النسخ يختص بالأحكام، بالأوامر والنواهي، والخبر لا يدخله النسخ؛ لاستحالة الكذب في حرم الله تبارك وتعالى.

وقيل: إن الخبر إذا نصّ حكمًا شرعيًا حاز نسجه، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّجِيلِ وَالتَّعَابِثِ تَجِدُونَ مِنْهُ نِكَاحًا أُورِثَهُ أَحْسَنُكُمْ﴾ (نحر: ٦٧)؛ فهذا خبر عن الخبر الذي يخرج من الثمر والعنب، وقد نسجه الله عز وجل بآية تحريم الخمر: ﴿إِنَّمَا لِحَمَرٍ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنصَابِ وَالْأَزْلَامِ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّعْطَانِ فَاجْتَنِبُوا لَهُمْ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (نحر: ٩٠).

يقول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره "جامع البيان" ما نصه: ﴿وَمَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسَبَهَا نَسَبْنَا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ جُمَلَهَا﴾ (نحر: ١٠١). أي: ما نزل من حكم آية إلى غيرها، فبدله وبغيره، وذلك أن محوّل إحلال حرام، والحرام حلالاً، والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً... ثم قال: ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، واخطر والإطلاق. والنسخ والإباحة، فأما الأخبار فلا يكون ولا يكون معها ناسخ ولا منسوخ.<sup>(١٢)</sup>

هذه لمحة خاطفة عن النسخ في الشريعة الإسلامية، وفي القرآن والسنة النبوية، ينبغي أن يلم بها طالب العلم، وأن يعرف حكمه الله عز وجل في تشريع الأحكام، وإزالة الآيات على هذا الوجه الدقيق، الذي حقق مضامح لعباده، وسائر تطور الزمن بواسطة التناسخ والمنسوخ، أو جزاءه في هذه المعجالة ﴿وَأَنَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (الأعراب: ٤).

♦ ♦ ♦ ♦

<sup>(١٢)</sup> انظر تفسير "جامع البيان" للطبري: ٤٠٧/١.

## الفصل السادس:

## جمع القرآن الكريم

جمع القرآن في عهد النبوة:

جمع القرآن الكريم في عهدين: عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين، وقد كان لكل جمع خصائصه ومزاياه. وكلمة "جمع" تطلق أحيانا ويراد منها حفظ والاستظهار في صدور الرجال، وتطلق تارة ويراد منها الكتابة والتسجيل في الصحف والأوراق.

وقد كان لجمع القرآن في عصر النبوة الأمرين معا:

أولاً: الجمع في الصدور عن طريق الحفظ والاستظهار.

ثانياً: الجمع في السطور عن طريق الكتابة والنقل.

ومستحدث عن كلا الجمعين شيء من التفصيل؛ لبيان لنا العناية الفائقة بالقرآن العظيم وكتابته وتدوينه، مما لم يصب لكتاب سماوي أن نال من الرعاية والعناية والاهتمام كما ناله القرآن الكريم، كتاب الله المجيد، ومعجزة شمد الخالدة.

## جمع القرآن في الصدور:

نزل القرآن الكريم على النبي الأمي، فكانت همته مصروفة إلى حفظه واستظهاره؛ ليحفظه كما نزل عليه، ثم يقرأه على الناس على مكث؛ ليحفظوه ويستظهروه ضرورة أنه نبي أمي، بعثه الله إلى العرب الأميين<sup>(١)</sup> ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة: ١٢٩).

ومن شأن الأمي في العدة أن يعتمد على حافظته وذاكرته؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب؛ ولقد كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن، تتمتع بخصائص العروبة الكاملة التي فيها قوة الذاكرة.

<sup>(١)</sup> نظر "معان العرفان" لمروقي.

وسرعة الحفظ، وسبلان الأذهان. وكان العربي يحفظ مئات الآلاف من الأشعار، ويعرف الأحساب، والأنسب، فيستظهرها عن ظهر قلب، ويعرف التواريخ، وقال أن نجد منهم من لا يعد لك الحسب والنسب، أو من لا يحفظ العائلات العشر<sup>١</sup> على كثرة أشجارها، وصعوبة حفظها. لم جاعهم القرآن الكريم، فبهزمهم بقوة بيانه، وروعة أحكامه، وجلال سلطانه، فأخذ عليهم مشاعره، واستبعد على عقولهم وأفكارهم حتى صرفهم إلى الكتاب الغيبي، فعمدوا وحدهم نحوه، يحفظونه ويستظهرون آياته وسوره، وتركوا الشعرا لأفهم وجدوا في القرآن روح أحياء.

ثم إنهم ﷺ قد بلغ من حرصه الشديد على حفظ القرآن: أن ينحى الليل بتلاوة آيات القرآن في الصلاة، عبادة وتذكيراً للعالمين، حتى سقطت قدماه الشريفتان من كثرة القيام امتثالاً لأمر الله العلي الكبير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُمُوا إِلَى الصَّلَاةِ الْفُلَّةِ، قُمُوا لِلَّهِ تَخْلِيلًا، يُضَفِّتُهُ أَوْ تُصْنِ مِنْهُ فُلِيَّةً، أَوْ ذُرَّ عَنْتَهُ وَرَأَيْتَ الْقُرْآنَ يُرْزَقُ﴾ (المائدة: ١)، لذلك فلا عجب أن يكون ﷺ سيداً لحفاظ، وأن يجمع القرآن في قلبه الشريف، ويكون مرجع المسلمين في كل ما يعنيه من أمر القرآن العظيم.

ولما الصحابة رضي الله عنهم فقد كانوا يسابقون إلى تلاوة القرآن ومداسته، ويدخلون قصارى جهدهم لاستظهاره وحفظه. ومعه سوانه أزواجه وأولاده في البيوت، حتى لقد كان الذي يمرُّ ببيوت الصحابة في عسك الداحي، يسمع فيها دويّاً كالذي النحل بالقرآن. حتى كان صلوات الله عليه يمرُّ على بعض دور الأنصار، فيقف على بعضهم يستمع القرآن في حلام الليل.

أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: "لو رأيته البارحة وأما استمع لقراءته، لقد أعطيت مرمراً من مزمار آل داود". وروى في رواية لمسلم: فقلت: "لو علمت أن الله يا رسول الله! أنك تسمع قراءتي لحببته لك تحبها".<sup>(١)</sup>

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إني لأعرب أصوات رفقته الأشعريين بالقرآن حين يدعون

بالليل، وأُعرف منازلهم من أصواتهم الليل بالقرآن، وإن كنت لم أَر منازلهم بالهزار (رواه صحيح).  
وقد اشتهر كثير من الصحابة بحفظ القرآن الكريم، وكان الرسول ﷺ يذكّر فيهم روح العناية بحفظ القرآن، ويحث إلى المداومة والقرى من يعلمهم ويقرّئهم، كما بعث قبل الفجرة مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة يعلمهم الإسلام، ويقرّئهم القرآن، وكما بعث معاذ بن جبل إلى مكة للحفاظ والتحفيز والتعليم بعد هجرته ﷺ.  
قال عبادة بن الصامت: "كان الرجل إذا هجر دمه النبي ﷺ إلى رجل من يعلمه القرآن، وكان يُسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يحفظوا أصواتهم؛ لئلا يغالطوا".

ومن هنا كان حفاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ لا يحدّد، ويكفي أن نعلم أن عدد الذين استشهدوا في "معركة اليمامة" يزيد عددهم على سبعين من كبار الحفاظ، كما قُتل مثل هذا العدد في عهد الرسول بئر معونة. قال القرطبي: قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقُتل في عهد رسول الله بئر معونة مثل هذا العدد. أي أن عدد الذين استشهدوا من الحفظة ١٤٠.

ولقد كانت أشرف خصوصية هذه الأمة المحمدية أن يكون هذا الكتاب مقدس محفوظاً في صدورهم، وأن تعتمد في نقله على حفظ القلوب والصدور، لا على كتابته في النسخ والسطور فحسب، بخلاف أهل الكتاب الذين لا نجد منهم من يحفظ التوراة أو الإنجيل، وإنما يعتمدون في حفظهما على الكتب المسعرة، ولا يقرؤنه إلا نظراً، لا عن ظهر قلب، ولهذا دعى إليهما التحريف والتبديل.

أب القرآن الكريم قد حفظه الله بعينه الإلهية، وبصره للحفظ: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ بِلَذِكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّكُمْ﴾ (الرعد ١٧)، وصانه من التحريف والتبديل بطريق حفظه في السطور، وحفظه في الصدور مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَن نَّحْنُ نَرَى الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاطِقُونَ﴾ (المعارج ٩)، وهذا بلا شك عناية من الله بحماية هذا القرآن المجيد، وشرف عظيم احتضن الله به هذه الأمة المحمدية حيث

جعل أبا جهم في المنصور، وأُتِلَ عنده كتاب لا يفسه الماء، والله در القائل:  
 الله أكبر إن دين محمد      وكتابه أقوى وأقوى قِبَلًا  
 لا تذكر الكتب لسوء عند      ضيع الصباح فأطفأ القديلا

جمع القرآن في المنصور:

وأما الطريقة الثانية لهذا القرآن العظيم، فهو جمعه وكتابه في المصحف، فقد كان لرسول الله ﷺ كتاب للوحي، كلما نزل شيء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة في تسجيله وتثيقه، وزيادة في التوثيق والتحصن، ولا تضابط الشديد في كتاب الله عز وجل حتى تظهر الكتابة الحفظ، ويعاضد لتسجيل المنصور ما أودعه الله في صدور.

وكان هؤلاء الكتاب من غيرة الصحابة، اختارهم رسول الله ﷺ من المجدين المقربين، ليؤمروا هذه المهمة العظيمة، وقد اشتهر منهم زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان، والخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة الأجلاء.

روى الشيخان عن أنس بن مالك أنه قال: «جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة، كتب من الأضراس: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو ذر، قال أنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمي».

وهؤلاء هم مشاهير كتاب الوحي، وإلا فهناك من الصحابة أجمع الكثير الذين كانوا يكتبون القرآن، وكثير منهم كان له مصحف خاص كتب فيه ما سمعه أو حفظه من رسول الله ﷺ. كمصحف ابن مسعود، ومصحف علي، ومصحف عائشة، وغيرهم.

طريقة الكتابة:

وأما طريقة الكتابة: فقد كانوا يكتبون القرآن على العصب وسجاف والرقاع<sup>(١)</sup> وعظام

العصب: جمع عصب، وهو جريد شجر، كثيرا ما يستعمله العرب، ويكون في نفسه قشره، والجمع جمع شبه، ضحى  
 لزام وسكون الماء، وهي الحبال، ثم بعد ذلك جمع رطب، وهي قد تكون من حبل أو ورق، أو غيرها من ثروت لكثرة

الأكثاف وغيرها. ذلك؛ لأن صنع الورق لم يكن منتشرًا عند العرب، وقد كان عند بعض الأمم الآخرين كالعمرس والروم، ولكنه كذلك كان نادرًا فلم يكن منتشرًا، فكان العرب يكتبون على ما يقع تحت أيديهم مما يصلح للكتابة.

روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: "كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع، أي نجتمع، وكان هذا الشايف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي ﷺ وبأمر من الله تبارك وتعالى، ولهذا اتفق العلماء على أن جمع القرآن "توقيفي"، يعني: أن ترتيبه بهذه الطريقة التي نراه عليها اليوم في المصاحف إنما هو بأمر ووحى من الله، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل دالّة أو الأمانات على النبي، فيقول له: يا محمد! إن الله يأمرك أن تضعها على رأسك، من سورة كذا، وكذلك كان الرسول يقول للصحابة: ضعوها في موضع كذا.

### جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

انتقل رسول الله ﷺ إلى حواريه بعد أن أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وهدى الناس إلى دين الله القويم، وتولى الخلافة بعده "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه وأرضاه، وقد واجهته - في خلافته - خطوب حسيمة، وشدائد عظيمة، ومشاكل صعبة، منها حروب الردّة التي وقعت بين المسلمين وبين أتباع مبلغة الكذاب، وكانت معركة "البيضة" معركة حربية الوحشية، وقد استشهد فيها كثير من قراء الصحابة ومن حفظة القرآن، يزيد عددهم على سبعين من كبار الحفاظ. وقد حال ذلك المسلمين، وعزّ الأمر على عمر رضي الله عنه، فدخل على أبي بكر، فوجده في حزن وألم، فأشار عليه أن يجمع القرآن خشية الضياع بحوث الحفاظ، فتردد أبو بكر أول الأمر، ثم رأى أن يأخذ بإشارة عمر بعد أن تبين له وجه المصلحة، وشرح الله صدره لذلك فعمل الجليل، فأرسل إلى زيد بن ثابت، وعرض عليه الأمر، وطلب منه أن يقوم بجمع القرآن في مصحف واحد، ولكن ريدًا تردّد في بادئ الأمر، ثم شرح الله صدره للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر،

وفد روى البخاري في صحيحه قصة هذا الجمع بتفصيلها لأهميتها:

### رواية البخاري:

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: "أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه مقتل أهل البعثة - أي عقب استشهادهما الحفاظ المسلمين في معركة البعثة - فإذ عمر حائس عنده، فقال أبو بكر: إن عمر جاءني، فقال: إن القتل قد استحر - أي سكر واشتد - يوم البعثة بقرآن القرآن، وبني أعشى أن يستمر القتل بالقرآن في كل المواطن، فيذهب من القرآن كثير، وبني أرى أن تأمر جمع القرآن، فقلت: وكيف أفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر رضي الله عنه: هو والله خير، فام يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله تعالى صدري للذي شرح لله به صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأي.

قال زيد: فقال أبو بكر: إلك رجل شاب عاقل، لا شتمك، قد كنت تكب الوحي لرسول الله ﷺ فتبّع القرآن وجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به، فقلت: كيف نفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتبعت القرآن جمعه من اللحن والعيب، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي حذيفة الأنصاري رضي الله عنه أحدهما عند أحد غيره ﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ﴿وَوُضِعَ الْكُرْسِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿وَدَعَا رَبُّكَ إِلَىٰ حَبْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ﴾ ﴿وَدَعَا رَبُّكَ إِلَىٰ حَبْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ﴾ أي إلى آخر السورة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها ﴿وَوُضِعَ الْكُرْسِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿وَدَعَا رَبُّكَ إِلَىٰ حَبْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ﴾ ﴿وَدَعَا رَبُّكَ إِلَىٰ حَبْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ﴾ فهذه الرواية ذكرت على سبب جمع القرآن.

### تساؤلات حول جمع القرآن؟

وهنا أسئلة ينبغي الإجابة عليها بشيء من التفصيل، ونحن نوزعها فيما يلي:



أولاً: لماذا تردد أبو بكر عن جمع القرآن مع أنه شيء حسن، وأمر بوجوه الإسلام؟ والجواب عن ذلك: أن أبا بكر عشي أن يساهل الناس في استظهار القرآن وحفظه غيباً، ويصمتوا على وحده في مصاحف، فتضعف نفوسهم عن الحفظ، وتصح رغبتهم صميفة في حفظه واستظهاره اعتماداً على أنه مسطرٌ وموجود في مصاحف مكتوبة يمكنهم قراءة القرآن بها. أمر قبل أن توجد المصاحف، فقد كان الجميع يسعون جهدهم لحفظ القرآن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن أبا بكر الصديق كان رجلاً وثقاً عند حدود الشرع، مقتنياً لأثار الرسول ﷺ، فقد عشي أن يكون عمله هذا مبتدعاً شيئاً لا يحبه رسول الله، وثقاً قال لعمر: "كيف أعمل شيئاً لم يفعله رسول الله؟" ونعمه كان يخاف أن يسوقه الإنساء والاختراع إلى الوقوع في المخالفة والاعتصاع، ولكنه لما رأى الأمر خطيراً، والمكربة - في حد ذاتها - وسيلة من أعظم الوسائل لحفظ الكتاب الشريف، والمحافظة عليه من الضياع والتخريف، وأيقن أنها ليست من الأمور الخارجة، ولا من البدع المستحدثة، عزم على جمع القرآن، وظل يفتق زينة بذلك حتى شرح الله صدره، فقام بتنفيذ ذلك الأمر الخطير، والله أعلم.

ثانياً: لماذا اختار أبو بكر زيد بن ثابت من بين الصحابة الكرام لهذا العمل الجليل؟ والجواب عن ذلك: أن زيدا رضي الله عنه قد اجتمع فيه من المزايا العظيمة التي تؤهله لجمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال؛ إذ كان من حفاظ القرآن، ومن كتاب الوحي لرسول الله، وشهد "العرضة الأخيرة" للقرآن في ختام حياته ﷺ، وكان قوي ذلك معروفاً بشأه ورعه، وعظم أمانته، وكمال خلقه، واستقامه دينه، وكان معروفاً بالنبوغ والذكاء، وهذا ما أشار إليه كلام أبي بكر في رواية البخاري حين استدعاه، وقال له: "بئس رجل شاب عاقل لا تهلك، كنت تكذب الوحي لرسول الله".

فهذه الخصائل والزيادات الحميدة، حثته أبو بكر الصديق لجمع القرآن، وهذا يدل على شدة ورع زيد ابن ثابت أن قال: "والله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به". الحديث

ثالثاً: ما هو المقصود من قول زيد بن عثمة في رواية البخاري: "حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي حزيمة عثمة أحدهما عند غيره؟"

والجواب عن ذلك: أن زيدا عثمة لم يجد هذه الآيات مكتوبة عند أحد من الصحابة، إلا عند أبي حزيمة الأنصاري، وليس المراد أنه لم تكن محفوظة؛ إذ أن زيدا نفسه كان يحفظها، وكان كثير من الصحابة يحفظونها. وبكنا أراد أن يجمع بين الحفظ والكتابة، كما منبته إن شاء الله زيادة في ثبوتها، ومداخلة في الاحتياط، وعلى ذلك النهج الرشيد تم جمع القرآن.

### الخطبة الرشيدة في جمع القرآن:

وقد انتهج زيد بن ثابت عثمة في جمع القرآن خطة رشيدة في غاية الدقة والإحكام، فهي ضمان لحفاظة هذا الكتاب المجيد بما يليق به من ثبت بالغ، وحذر دقيق، هم يكتب عما حفظ في قلعه ولا بما كتب بعده، ولا بما سمع مآذنه. بل جعل يتبع ويستقصي أحداً نفسه أن يعتمد في جمع القرآن على مصدرين اثنين:

أ- ما كان محفوظاً في صدور الرجال.

ب- ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ.

فلا بد أن يتضافر الأمران "الحفظ، والكتابة"، وباع من شدة حرصه واحتياطه أنه كان لا يقبل شيئاً من المكتوب، حتى يشهد شاهداً عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ بذل عليه الحديث الذي رواه أبو داود في سننه قال: "قدم عمر، فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن، فليأت به، وكنوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسيب. وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهداً".

وبدل عليه كذلك ما رواه أبو داود أيضاً أن أبا بكر عثمة قال لعمر وزيد: "أقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فكتباه".

قال ابن حجر: المراد بالشاهدين: الحفظ، والكتابة. وقال السخاوي: المراد قهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، وذلك غاية في التثبت والدقة والإحكام من الصديق عليه السلام، رأسه منها يزيد بن ثابت عليه السلام.

### مزايا مصحف أبي بكر الصديق عليه السلام:

لنشرت الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق في "مصحف واحد" بعلة مزايا، أهمها:  
أولاً: التحرر من الدقيق النام، والتثبت للمكامل.

ثانياً: لم يسجل في المصحف إلا ما ثبت عدم نسخ تلاوته.

ثالثاً: إجماع الأمة عليه، وتواتر ما سجل فيه من الآيات القرآنية.

رابعاً: شمول المصحف للقراءات يلهمون بالتناء العاطر على أبي بكر الصديق حيث حفظ القرآن الكريم من الضياع، وذلك شوق من الله عز وجل، ومدد من عنده.  
وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: "أعظم النعم في المصحف أحراً أبو بكر، رحمه الله  
عنى أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله".

وتقد أصبح جمع القرآن منقبة خالد، لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل والتناء العاطر لأبي بكر في لتوجه والإشراف، ولزيد بن ثابت في التنفيذ والعمل عليه.

وجمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر لا يعني أن الصحابة عليه السلام لم يكن لديهم مصاحف كتبوا فيها القرآن من قبل، فإن ذلك لا ينافي أن يكون لبعض الصحابة مصحف خاص، ولكن هذه المصاحف لم تظفر بما خضر به مصحف أبي بكر من دقة البحث والتحرر، والانتصار على ما لم تنسخ تلاوته، ومن بلوغه حد التواتر، ومن إجماع الأمة عليه، ومن شموله للأحرف السبعة "القراءات السبع" كما تقدم.

فهذا علي عليه السلام كان له مصحف خاص كبه في بدء خلافة أبي بكر، وعزم ألا يخرج إلا للصلاة

حتى ينتهي من كتابته. روى السيوطي عن محمد بن سيرين عن عكرمة أنه قال: لما كان بدء حلافة أبي بكر، قدم علي بن أبي طالب في بيته، فقبل لأبي بكر: فدكره ببعثك، فأرسل إليه فقال: أكرهت يعني؟ فقال: رأيت كتاب الله يواد فيه، فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه. قال له أبو بكر: فإنتك نعم ما رأيت،<sup>(١)</sup> فقد كان له مصحف، ولكنه كما يروى عن ابن سيرين كان فيه التامخ والمنسوخ، فلم يكن مثل مصحف أبي بكر.

لماذا لم يجمع القرآن في مصحف واحد:

ونسأل هنا:

لماذا لم يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد في زمن النبي ﷺ؟

والجواب عن ذلك:

أولاً: إن القرآن لم ينزل مرة واحدة، وإنما نزل مفزعة، ولا يمكن جمعه قبل أن يتكامل فتروا.

ثانياً: إن بعض الآيات كانت تُنسخ، وإذا كان القرآن عرضة للنسخ، فكيف يمكن أن يجمع في مصحف واحد؟

ثالثاً: إن ترتيب الآيات والسور لم يكن على حسب النزول، فقد نزل بعض الآيات في أواخر الوحي، بينما يكون ترتيبها في أوائل السور الكريمة، وهذا يقتضي تغيير المخطوط.

رابعاً: كانت المدة بين نزول آخر ما نزل، وبين وفاته ﷺ قصيرة جداً، وقد تقدم في الفصل الأول أن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨١) وقد انتقل رسول الله إلى حواريه بعد نزولها بسبع ليالٍ، فالمدة إذا قصيرة، ولا يمكن جمعه قبل تكامل النزول.

خامساً: لم يوجد من دواعي الجمع في مصحف واحد، مثل ما وجد في عهد أبي بكر ﷺ، فقد كان المسلمون بخير، والقراء كثيرون، والفننة مأمورة، بخلاف ما حصل في عهد أبي بكر ﷺ.

(١) انظر كتاب "الإيمان" للسيوطي.

من مقتل حفاظه، حتى حالف علي ضياح القرآن.

والخلاصة: إن القرآن أو جمع في مصحف واحد، والحال على ما ذكرنا لكان القرآن عرضة للتغيير والتبديل كما وقع نسخ، أو حدث سبب مع أن أدوات الكتابة لم تكن ميسورة، وظروف لا تساعد على ترك المصحف القديم، والاعتماد على المصحف الجديد؛ لأنه لا يمكن أن يكون في كل شهر أو يوم مصحف يجمع كل ما نزل من القرآن، ولكن لما استقر الأمر ختام التنزيل، ووفاء الرسول، وأمين النسخ، وعُرف الترتيب أمكن جمعه في مصحف واحد، وهذا ما فعله الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجزاه عن القرآن والمسلمين خير الجزاء.

### جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه:

أما جمع القرآن في عهد عثمان، فقد كان له سبب آخر غير السبب الذي حدث في عهد أبي بكر، فقد اتسعت الفتوحات الإسلامية في عهد عثمان، وتفرق المسلمون في الأقطار والأمصار، واشتهر في كل بلد من البلاد الإسلامية قراءة المصحف الذي علمهم القرآن، فأهل الشام كانوا يقرؤون بقراءة "أبي بن كعب" رضي الله عنه، وأهل الكوفة كانوا يقرؤون بقراءة "عبد الله بن مسعود" رضي الله عنه، وغيرهم كان يقرأ بقراءة "أبي موسى الأشعري" رضي الله عنه.

فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء، ووجه القراءة، حتى كان الأمر يصل إلى النزاع والشقاق بينهم. وكاد بعضهم يكفر بعضاً بسبب اختلاف القراءة.

روي عن أبي قلابة أنه قال: "إذا كانت خلافة عثمان، جعل المصحف - المقرئ - يعلم قراءة الرجل، وأعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل العلماء يلتصقون فيحلقون، حتى ارتفع إلى المعلمين، حتى كفر بعضهم بعضاً فبلغ ذلك عثمان، فاحتجب فقال: "أنتم عدي تخطفون، فمن يأى - أي يعد - عني من الأمصار فهم أخذ اختلافاً".

لهذه الأسباب والأحداث رأى عثمان شاقب رأيه، وعصادق نظره، أنه يتدرك الخرق قبل أن

يسع علي الرافع، وأن يتأصل الداء قبل أن يصب الدواء. نجمع أعلام الصحابة، ورجال الرأي والبصر فيهم، واستشارهم في علاج تلك الفتنة، وعلاج ذلك الاختلاف، فأجمعوا أمرهم على أن يستسخ أمير المؤمنين مصاحف عديدة، ويبعث إلى كل بلد أو مصر بمصحف منها، وأن يأمر الناس بإحراق كل ما عداها، حتى لا يفي شمة طريق للتزاع والاختلاف في وجوه القراءة، فشرع - عليه - بتنفيذ هذا القرار الحكيم، فعهد إلى أربعة من حيرة الصحابة وثقات الحفاظ وهم: يزيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن هشام، وقد كانوا جميعاً من قريش من المهاجرين إلا يزيد بن ثابت، فقد كان من الأنصار، وكان هذا العمل الجليل سنة "٣٤" هجرية. وقال هؤلاء: إذا اختلفتم في شيء من وجوه القراءة، فاكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلغتهم.

وطسب عثمان من حفصة بنت عمر أن تعطيه المصحف الذي كان عنده، والذي جمعه أبو بكر، لينسخ منه عدة نسخ ثم يبعده إليهم؛ ففعلت.

سبب جمع عثمان للقرآن الكريم:

روى البخاري عن أنس بن مالك أنه قال:

"إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغاري أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلاطهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إتي بالمصحف فنسخها في مصاحف، ثم ردها إليك، فأرسلت لها حفصة أن عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإني نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف

في النسخة مع رد عثمان المصحف إلى حفصه، وأرسل إلى كل نفع بمصحف، مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق<sup>(١١)</sup>.

### الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما:

ونستطيع كما سبق أن نعرف الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، وهو أن الجمع في عهد أبي بكر إنما كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحف واحد مرتب الآيات، جمعه في المخاض والمصب والرفع، وكان سبب الجمع موت الحفاظ، وأما جمع عثمان فقد كان عبارة عن نسخ عدة نسخ من المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر؛ لترسل إلى الأقاليم الإسلامية، وكان سبب الجمع إنما هم اختلاف القراء في قراءة القرآن، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

♦ ♦ ♦ ♦

<sup>(١١)</sup> طبري صحيح البخاري في جمع القرآن.

## الفصل السابع:

### التفسير والمفسرون

أمر الله كتابه العظيم أن يكون دستور للمسيحيين، ومنهاجا يسرون عليه في حياتهم، فيستضيئون بضياءه، ويهتدون بهديه، ويتفسيرون من تعاليمه الرشيده، وتضمنه الحكيمه ما يجعلهم في أوج السعادة والنعمة، ويرجع همهم إلى قرى الله والكمال، ويوجههم إلى قيادة ركب الإنسانية، ويجمعهم السادة والمقاد في هذه الحياة، يسرون بالأسم إلى حياة النعمة والكرامة، ويوصلهم إلى شاطئ الأمن والاستقرار والسلام.

ولا ريب أن الطريقة لتخطيط اليوم في طمعت الشفوه واغانيهم وتفرق في جدار التحلل وإعادة الحال، وليس لنا من مثق إلا الإسلام عن طريق الاسترشاد بعلوم القرآن وعلوم الحكيمه التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة في الحياة البشرية على ما أحاط به علم الخالق الحكيم.

ومن الندهي أن العمل لهذه التعاليم لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتفسيره، والوقوف على ما حوى من صريح وزاد، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان، ما تدن عنه آيات القرآن، وهو ما نفسه - باسم التفسير - خصوصاً في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة اليد العربي، وضاعت فيها خصائص العربية حتى من سلائل العرب أنفسهم.

والله - سبر هو المداخل هذه الكون والمخاطر التي احتواها هذا الكتاب العظيم، وناديه لا يمكن الوصول إلى هذه الكون والدقائق، والآلاء والنفائس، مهمة تقع على من في تربية أفاضل أقرانه، وفروا آياته في كل صبح ومساء.

وبأنه من أنسب أن يكتب المسلمون من الله وأن ياتوا برددوه، وأنغام بلحونها في مقام والفاير، وعند الاحتفالات، الترمية، ثم لا يكون للقرآن سبب مهم إلا نظير، السماع أو التردد بالذمة، وهذا ما عدا معنى الرسول ﷺ بقوله: 'يحدثون القرآن مراهم'



وقد نسي المسلمون أو ناسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره وتفهمه، وفي الاهتداء بهديه، والاستفادة من تعاليمه وتوجيهاته، ثم الوقوف عند أومره ومراميه، والبعث عن مساحته وتواحيه. والله تعالى يقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَيَتَذَكَّرُوا أَلُوهَآ﴾ (الكتاب) (ص: ٢٩٩)، ويقول سبحانه: ﴿فَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (ص: ٢٠٤)، ويقول جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ بَشِّرْنَا الْهَرَاتِ بِتَذَكُّرِهَا مِنْ مُذَكِّرٍ﴾ (قمر: ١٧).

فما أشبه المسلم اليوم بالرجل العطشان يموت من العطش والماء بين يديه أو بالخيل يهلك من الجوع والعطش والزاد والماء على ظهره.

وما أجمل قول الثعالب:

كأن عيسى في أيديهم يقتلها لظما  
وإناء فوق ظهرها يحمل

ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: "لقد تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسك بهما بعدي أبدا، كتاب الله، وسنتي." (١)

لماذا تفسر القرآن:

أسئلة تخطر ببال كل إنسان، وتحوّل في كل فكر: لماذا تفسر القرآن؟ لتسهيل قراءته وتفقّه تلاوته؟ ثم لتزيل اليبس عن غامض معانيه؟ أم لتحلل أسرارها، وتبرز محاسنها؟

لا... لا... ليس لهذا، ولا لذلك فقط! بل لتحرر من عبادة العباد، وتبعية البشر إلى عبادة رب العباد جل وعلا، وتزيط الفرد والجماعة بحالق العوالم، ومدبر الكون، رب السموات العلوي، ورب العرش العظيم. فالتقرآن الكريم دستور الأمة، وهداية الخائف، وشرعة الله لأهل الأرض، وهو النور الرباني، والهدي السعوي، والتشريع العام الخالد، الذي تكفل بكل ما يحتاج إليه بشر في أمور دينهم ودنياهم.

(١) الحديث: رواه أصحاب السنن

ولا عجب! فهو كتاب كامل، ونظام شامل، يشمل جوانب الحياة بأكملها، في العقائد، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، وفي السياسة والحكم، وفي السلم والحرب، وفي الشؤون الاقتصادية والعلاقات الدولية.

فهو كتاب جامع أنزله الله تبارك وتعالى لنا لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وهو في ذلك كله حكيم كل الحكمة، لا يهترى به خلل ولا اختلاف، فلا عجب إن كانت المساعدة لا تنال إلا بهديه، والبرام ما جاء به، فهو شفاء لنا في الصلوات، وعلاج لما حل أو يحل بالاجتماع من ضرور: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِعَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَجِزُ لِّلظَّالِمِينَ إِلَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٦٠: سورة النحل).

### الفرق بين التفسير والتأويل:

التفسير في اللغة: هو الإيضاح والتبيين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرٍ﴾ (الفرقان: ٣٣).

فقلنا: فسر: بمعنى بين ووضح، وكلام مفسر: أي واضح ظاهر.

وأما التفسير في الاصطلاح: فهو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه،<sup>(١)</sup> وعرفه غيره بأنه "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث ذلك على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية".<sup>(٢)</sup>

### معنى التأويل:

وأما التأويل، فهو لغة من الأول، بمعنى الرجوع، فكان المفسر أرجع الآية إلى ما يحتمل من المعاني. ويرى بعض العلماء أن التأويل مرادف للتفسير حتى قال صاحب القاموس: أول للكلام تأويلاً وتأويله بمعنى دبره وقلبه وفسره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنفَعَاءُ الْفِتْنَةِ وَأَنفَعَاءُ نَافِلِهِ﴾ (آل عمران: ٥٧).

<sup>(١)</sup> التعريف لنزركشي من "كتاب الرمان" ص: ١٢.

<sup>(٢)</sup> "شامل الرمان للزركاشي".

أما في الاصطلاح: فهو عند المتقدمين بمعنى التفسير، فيقال: تفسير القرآن، ويقال: تأويل القرآن، بمعنى واحد.

قال ابن جرير الخطري في تفسيره: "انقول في تأويل قوله تعالى كذا...، واختلف أهل التأويل في هذه الآية"، يريد بذلك أهل التفسير.

وقال مجاهد: إن العلماء يعلمون تأويله - يعني القرآن - ويريد تفسير معناه.

ودفع فريق من العلماء إلى أن بين التفسير والتأويل فرقاً جلياً، وقد اشتهر هذا عند المتأخرين. لتفسير: هو المعنى الظاهر من الآية الكريمة.

وأما التأويل: فهو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحمل عدة معان.

وقد أفاض العلامة السيوطي في كتابه "الإنقاذ في علوم القرآن" في هذا البحث، ونقل نقولاً كثيرة عن العلماء، يكتفي بأجمعها، وأقرها إلى الصواب، وهو أن نقول "بأن التفسير هو كشف معاني القرآن الظاهرة، والتأويل ما استنبطه العلماء العارفون من المعاني الخفية والأسرار الربانية اللطيفة التي تحملها الآية الكريمة".

هذا الذي اخترناه هو الذي ذهب إليه الألويسي رحمه الله حيث قال: قد تعرف عن المؤلفين من غير كثير أن للتأويل معان فادسية، ومعارف ربانية، تسهل من سحب الغيب على قلوب العارفين، والتفسير غير ذلك.

وبالخلاصة: أن التفسير هو المعاني الظاهرة من القرآن الكريم التي هي واضحة الدلالة على المعنى المراد لله عز وجل.

والتأويل: هو المعاني الخفية التي تستنبط من آيات الكريمة، والتي تحتاج إلى تأمل وتفكير واستنباط، والتي تحمل عدة معان، فيرجح المفسرُ منها ما كان أقوى عن طريق النظر والاستدلال، وليس هذا الترجيح بقطعي، بل هو ترجيح للأظهر والأقوى؛ إذ الحكم بأنه اثراد قطعي عنكم في كتاب الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَتْلُوهُ إِلَّا أَتَمُّ﴾ (المرسل: ٥٧)، والله أعلم.

## أقسام التفصيل:

يقسم التفصيل حسب الاصطلاح العلمي الدقيق إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: التفصيل بالرواية، وهذا الذي يسمى التفصيل بالنقل، أو التفصيل بالمأثور.

ثانياً: التفصيل بالبراهين، وهذا الذي يسمى التفصيل بالبراهين.

ثالثاً: التفصيل بالإشارة، وهو الذي يسميه العلماء: التفصيل بالإشارة.

وستحدث عن كل قسم من هذه الأقسام بالتفصيل - إن شاء الله تعالى - ووضح انقسام من انقسام.

\*\*\*

## القسم الأول

### التفسير بالرواية "المأثور":

هو ما جاء في القرآن، أو السنة، أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى، فانفسر المأثور إما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة النبوية، أو تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة.

١- مثال ما جاء تفسيره في القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿أَجَلْتُ لَكُمْ نَجِيئَهُ أَتُنَاجِيْنَ إِلَّا مَا يَنْتَلِيْ عَلَيْكُمْ﴾ (النمل: ٢٤)، فقد جاء تفسير قوله: ﴿إِلَّا مَا يَنْتَلِيْ عَلَيْكُمْ﴾ في آية كريمة أخرى، هي قوله تعالى: ﴿سَرَّخْتُ عَلَيْكُمُ الْمُنْبِتَةَ وَالْمَذْمُومَ وَالْحُمِّ الْخَجَرِيَّ وَمَا أَجْعَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (النمل: ٢٥).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (الطارق: ١)، جاء تفسير الطارق في نفس السورة: ﴿لَنُجِزِيَنَّ النَّاسَ﴾ (الطارق: ٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٣٧)، جاء تفسير الكلمات التي تلقاها آدم في موطن آخر من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿فَقَالَا رَبَّنَا ظَنَّمَا أَنْفُسُنَا أَنَّا ظَالِمُونَ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠).

ومن الأمثلة أيضا عني تفسير القرآن بالقرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ (الدخان: ٣)، جاء تفسير الليلة المباركة بأنها "ليلة القدر" في قوله جل ذكره: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (الدخان: ٤)، إلى آخر ما هنالك.

٢- مثال ما جاء في السنة للظهرة تفسيرها وشرحها للقرآن:

به عليه السلام لسر الظلم بالشرك في قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الحجرات: ٨)، وأيد تفسيره هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (نمل: ٢٤)، وفسر عليه السلام الحساب التيسير بـ "العرض"، أي: عرض الأعمال على المؤمن وذكره بها فقط،

وذلك حين قال: "من نوقش الحساب عذب"، فقالت السيدة عائشة له: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا مَنِ أُوِيَ كِتَابَهُ بِرَبِّهِ، فَذُوقْ لِحَاسَتِ جَسَدِكَ نَسِيرًا، وَتَغْلِبْ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: ٧-٩).

فقال ﷺ: "ذلك المرض - يانا الحساب اليسير - وأما من نوقش الحساب عذب"، وكفسيره ﷺ: الصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (بقره: ٢٣٨) بأنها صلاة العصر، وتفسير ﴿الْمَنْصُوبَ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (البقرة: ٧) في سورة الفاتحة باليهود، والنصارى.

ومن الأمثلة أيضا على تفسير النبي ﷺ للآيات الكريمة، تفسيره الزيادة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْمَنُوا الْخَسَىٰ وَزَيْدًا﴾ (يوس: ٢٦). وقد فسرها بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وكفسيره ﷺ: الغرة، بالرسم في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبَسُوا لَهُمْ مَا اسْتَغْفَقْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (العدل: ٦٠)، فقد قال ﷺ: "ألا! إن القوة الرمي، ألا! إن القوة الرمي".

وكفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (هرولة: ٤)، قال ﷺ: "أنسبون ما أعبأها؟ قلوا: الله ورسوله أعلم، قال: أن تشهد على كل عبد أو ممة بما عمل على ظهرها، تقول: عملت يوم كذا، كذا وكذا".

وأما هذه التفاسير كثيرة، وقد جمع السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" طائفة كبيرة من التفاسير النبوية، فليراجع إليه.

وكلا هذين القسمين "تفسير القرآن بالقرآن"، وتفسير "القرآن بالسنة" لا شك في أنه أعلى أنواع التفسير، ولا شك في قبوله، أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمفراد نفسه من غيره، وكتاب الله تعالى أصدق الحديث؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأما الثاني فلأن الرسول ﷺ قد بين الله مهيته في القرآن، وذكر أنها مهمة لتوضيح والبيان: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٢٤)، فلما جاء عن رسول الله ﷺ من شرح أو بين بسند

صحيح ثابت، فإنه لما لا شك في أنه حق يجب اعتناؤه.

٣- بقي القسم ثالث من أقسام التفسير بالمأثور، ألا وهو "تفسير الصحابة"، فإنه أيضا من التفسير المعتمد المقبول؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم قد أحصوا بالرسول ﷺ، وبلغوا من معية الصالحين، وشاهدوا الوحي وال تنزيل، وعرفوا أسباب النزول، ولهم من صفاء نفوسهم، وسلامة عطرهم، وعلو مرتبتهم في الفصاحة والبيان، ما يهملهم من الفهم الصحيح السليم لكلام الله، وما يحصهم بتركول أسرار هذا القرآن أكثر من أي إنسان.

قال الخازن: "إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي وال تنزيل له حكم المرفوع"، ومعنى هذا أن تفسير الصحابي له حكم الحديث النبوي الذي رفع إلى النبي ﷺ، فهو إذا من المأثور. وما الشعبي: فقد خُلف في تفسيره، فذهب بعض العلماء إلى أنه من المأثورة لأنه تلقاه من صحابة غائبين ومنهم من قال: إنه من التفسير بالرأي، أي: له حكم بقية التفسيرين، الذين لم يروا حسب قواعد اللغة العربية دون التزام بالمأثور.

ملاحظة: التفسير بالمأثور من أحواد أنواع التفسير إذا صح سنده إلى الرسول ﷺ، أو إلى الصحابة رضي الله عنهم، وينبغي التثبت من الرواية عند ذكر التفسير بالمأثور، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: إن أكثر تفسير المأثور قد سري إلى الرواة من رداقة اليهود والفرس، ومسننة أهل الكتاب، وحل ذلك في فصول الرمل مع أقوامهم، وما يتعلق بكتبهم ومعرفتهم، وفي تاريخ غيرهم كأصحاب الكهف... إلخ، فينبغي إذا التثبت من الرواية.

### أسباب ضعف الرواية بالمأثور:

ذكرنا فيما تقدم أن تفسير بعض القرآن ببعض: وتفسير القرآن بالسنة الصحيحة المرفوعة إلى النبي ﷺ لا شك في قبوله، ولا خلاف في أنه من أعلى مراتب التفسير، وأما تفسير القرآن بالمأثور مأثور عن الصحابة والشاهدين، فإنه -نظرا إليه الضعف من وجود:

أولاً: اختلاط الصحيح بغير الصحيح، ونقل كثير من الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين من غير إسناد ولا ثبت مما أدى إلى التباس الحق بالباطل.

ثانياً: أن تلك الروايات مليحة "بالإسرائيليات"، ومنها كثير من المفردات التي تصادم العقيدة الإسلامية، والتي قام الدليل على بطلانها، وهي مما دخل على المسلمين من أهل الكتاب.

ثالثاً: أن بعض أصحاب المذاهب المتطرفة تفقروا أقوالاً، وصنعوا أباطيل نسبوها إلى بعض الصحابة مثل الشيعة شيعة علي المتطرفين، نسبوا إليه ما هو منه بريء، ومثل أولئك المتزلفين للعباسيين، نسبوا إلى ابن عباس ما لم يصح نسبته إليه، فملقا للحكام.

رابعاً: أن بعض الزنادقة من أعداء الإسلام دسوا على الصحابة والتابعين كما دسوا على رسول الله ﷺ في الأحاديث النبوية، فذلك بغرض هدم الدين عن طريق التمس والوضع، فمن هذه الناحية ينبغي الاحتياط والحد من الأقوال التي تنسب إلى الصحابة الكرام أو التابعين.<sup>(١)</sup>

### رأي الزرقاني في مناهل العرفان:

وقد ذكر الأستاذ الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان" كلاماً حسناً حول التفسير بالمأثور، بعد أن ذكر نقولاً عن الإمام أحمد رحمه الله، وعن ابن تيمية رحمه الله، فقال:

وكلمة الإنصاف في هذا الموضوع: أن للتفسير بالمأثور نوعان:

أحدهما: ما توافرت الأمانة على صحته وقبوله، وهذا لا يلحق بأحد رده، ولا يجوز إجماله وإعفاله، ولا يحمل أن نعتبره من الصوراف عن هدي القرآن، بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاعتماد بالقرآن.

ثانيهما: ما لم يصح نسب من الأسباب الأمانة أو غيرها، وهذا يجب رده، ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به، ولا يزال كثير من أيقاظ المفسرين كابن كثير يحضرون الصفحة فيما ينقلون، ويؤثرون ما هو باطل أو ضعيف.

<sup>(١)</sup> انظر كتاب "مناهل العرفان" للزرقاني.



## أشهر المفسرين من الصحابة:

قال اسوطي في "الإتقان" : "أشهر مائتفسر من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري. وعنه عنه ابن الزبير رحمهم الله. أما الخلفاء فأكثر من روي عنه؛ فهم علي بن أبي طالب "كره الله وجهه"، والزبارة عن الثلاثة قليلة جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم.

وأما السبب في قلة الرواية عن الثلاثة "أبي بكر، وعمر، وعثمان"، فإنه يرجع كما أنه إلى تسبؤي إلى قصر مدة خلافتهم، وتقدم وفاتهم، ومن ناحية أخرى فإنهم قد عاشوا في وسط أغلب أهله كانوا، علماء بكاتب الله، لأهم أصحاب الرسول ﷺ فكانوا ولغين على أمر من السرايل، عذراء بمعاينة وأحكامهم، أما علي عليه السلام فقد عاش بعد اختلاف الثلاثة في وقت السبعين فيه رفعة الإسلام، ودخل كثير من العلم في الدين الجديد، ونشأ حل من أبناء الصحابة كانوا بحاجة إلى دراسة القرآن، وتفهم أسراره وحكمه، ولذلك اشتهرت الرواية عنه أكثر من بقية الخلفاء الراشدين، وستكلم بشيء من تفصيل عن بعض هؤلاء الصحابة الذين اشتهروا بتفسير القرآن.

عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وهو ابن عم رسول الله ﷺ الذي دعا له الرسول الكريم بقوله: "إنهم فقهاء في الدين وعلمه التأويل"، وهو المسمى بـ "ترجمان القرآن"، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "يعد ترجمان القرآن عبد الله بن عباس". كان أعلم الصحابة بتفسير القرآن الكريم، وقد شهد به الفضل - وهو شاب في غضون العاشرة - كبار الصحابة، حتى أن بنافسهم، ويتفرع إيمانهم مع حذرة سنة، وكان عمره ﷺ يدخله إلى مجلس المشوري مع كبار الصحابة الأجلاء يستشرونهم، وربما عرض الأمر عليهم، وكان تعداد عمر لأمر عرس مثار جدل عند بعض الصحابة، حتى قال بعضهم: "لم يدخل هذا الشاب مجلساً، وعدت من الأولاد

من هو أكثر منه متقاً؟ وله قصة رواها البخاري في صحيحه تدل على غزارة علمه، وعلو شأنه في القوم على دقائق أسرار القرآن:

### رواية البخاري:

روى البخاري من طريق سعيد بن جبور، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه، فقالوا: لِمَ يدخل هذا معنا، وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من علمتم - يعني: إنه من عرفتم ذكاه وعلمه - فدعاهم ذات يوم، فأدخلني معهم، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ١)؟

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فذلك علامة آجلك ﴿فَنُصِصْ بِمَنْزِلِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر: ٣)، فقال عمر: والله لا أعظم منها إلا ما تقول<sup>(١)</sup>. لا يدركها إلا للراستخون في العلم، ولا عجب أن ينال ابن عباس تلك الرتبة الرفيعة في فهم أسرار القرآن، فقد دعا له الرسول ﷺ بالفهم والفقه في الدين، كما روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "ضممني رسول الله إلى صدره، وقال: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل".

وفي رواية: "اللهم علمه الحكمة".

وكان ابن عباس يسمى البحر؛ لكثرة علمه.

روي أن رجلاً أتى عبد الله بن عمر رضي الله عنه يسأله عن السموات والأرض ﴿كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠)، فقال: اذهب إلى ابن عباس فاسأله، ثم تعال، فأعجبني، فذهب، فسأله، فقال: كانت

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري رضي الله عنه في باب فضائل الصحابة.

السموات رتقا لا تحطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت، ففتق هذه بالطر، وهذه بالنبات، فرجع إلى ابن عمر، فأخبروه فقال: قد كنت أئول: ما يعجبني حرية ابن عباس على تفسير القرآن. فالآن قد علمت أنه أئول علما.

وروي أن عمر بن الخطاب قال يوما لأصحاب النبي ﷺ: فيس تروى هذه الآية نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ آيَاتِ اللَّهِ شَاكِذِينَ كَانُوا يُكَذِّبُوهَا﴾ (آية ٢٠٦) قالوا: الله أعلم، فغضب عمر، فقال: قولوا: نعم، أو لا نعم.

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء، فقال: يا ابن أخي! قل: ولا تحقر بمسئ. قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمالي، فقال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لم حل عني بعمل بضاعة الله، ثم بحث له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله. (رواه البيهقي، فوافقه عمر على هذا الفهم).

كل هذا وأمثاله كثير، يدل على مبلغ علم ابن عباس وفهمه للثقافة منذ حداثة سنه، ولهذا أصبح في مصنف "كتاب شيوخ الصحابة"، وأصبح يُدعى جبر الأمة بشهادة انصحنه أنفسهم.

### شيوخ ابن عباس:

من شيوخ ابن عباس الذين استقى منهم علومه بعد رسول الله ﷺ، وكان لهم أثر في توجيهه وثقافته "عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت" (عليه السلام)، وهؤلاء الخمسة هم أهم تلميذه الذين أخذ عنهم أكثر علمه، ونقى منهم معظم ثقافته، وكان لهم أثر في توجيهه تلك الوجهة العلمية الدقيقة.

### تلاميذه ابن عباس:

نقى العلم عن ابن عباس عدد كثير من التابعين، كان من أشهرهم تلاميذه المشهورون، الذين نقلوا تفسيره وعلمه العزيز. وهم: سعيد بن جبير، وجاهد بن جبر الخزرجي، وطاوس ابن كيسان البجلي، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، هؤلاء هم أشهر تلاميذه.

الذين تعلموا مدينته من قبل في التفسير إنيما حدث.

عبد الله بن مسعود:

ومن أعلام الصحابة الذين اشتهروا بالهدى، وغفلوا لما آثار الرسل ﷺ وأقواله، أعاد الله بن مسعود رحمه الله فقد كان من السابقين إلى الإسلام وكان سادس ستة، ما عني وجه الأرض مسلم سره، وكان يخدم رسول الله ﷺ، يلبسه عليه، ويخشي معه وأما بعد فكان له من هذه انفسلة النبوية خير منقأ ومؤيد، لذلك عدّ به من أعلم الصحابة بكتاب الله، ومعرفة بحكمه ومبادئه وحلاله وحرمه.

قال البيهقي: قد روي عن ابن مسعود في التفسير أنهم لما روي عن عبي كرم الله وجهه، روى الشيعان عنه أنه قال: والذي لا إله غيره، ما نزلت سورة من كتاب الله، إلا وأنا أعلم أين أنزلت؟ ولا أمرت أية من كتاب الله تعالى، إلا وأنا أعلم فيه أنزلت؟ ولم أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبعه إلا من تركت إليه، روى عنه كثير من التابعين.

♦ ♦ ♦ ♦

## القسم الثاني

### التفسير بالرأية أو بالرأي:

بعد أن تحدثنا عن التفسير بالرأية، نتقل الآن إلى الحديث عن التفسير بالرأية، وهذا النوع يسمى عند علماء التفسير: التفسير بالرأي، أو التفسير بالعقول؛ لأن المفسر لكذب الله تعالى يعتمد فيه على جهاده، لا على المأثور المنقول عن الصحابة أو التابعين، بل يكون فيه الاعتماد على اللغة العربية، وفهم أسلوبها على طريقة العرب، ومعرفة طريقة المخاطب عندهم، وإدراك العلوم الضرورية التي ينبغي أن يكون ملماً بها كل من أراد تفسير القرآن، كالنحو، والصرف، وعلوم البلاغة، وأصول الفقه، ومعرفة أسباب النزول إلى غير ما هنالك من العلوم التي يحتاج إليها المفسر؛ كما سنبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

### معنى التفسير بالرأي؟

المراد بالرأي هنا "الاجتهاد" المبني على أصول صحيحة، وقواعد سليمة متبعة، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب، أو التصدي لبيان معانيه، ونسب المراد به مجرد "الرأي"، أو مجرد "الموهي"، أو تفسير القرآن بحسب ما يحظر للإنسان من خواطر، أو بحسب ما يشاء.

فقد قال القرطبي: من قال في القرآن ما سنع في وهمه، أو عطر على بابه من غير استدلال عليه بالأصول، فهو مخطئ، مذموم، وعليه يحمل الحديث الشريف: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.<sup>(١)</sup> وقد قال عليه السلام: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> الحديث: روى البخاري، وصلى عن علي بن أبي طالب، وأبي بكر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

<sup>(٢)</sup> الحديث: من رواية أبي داود، عن حماد.

فإن المرطبي رحمه في مقدمة تفسيره اجتمع لأحكام القرآن ما نصه:

فسر الحديث ابن عباس عليهما السلام "ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" تفسيرين:

أحدهما: من قال في منكر القرآن بما لا يعرف من مذهب الصحابة والتابعين، فهو متعرض لسخط الله.

ثانيهما: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، فيبتوأ مقعده من النار.

وقد رجح القرطبي القول الثاني فقال: وهو أنت القولان، وأصحهما معنى، ثم قال: وأما حديث "جندب" فقد حمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأي معنى به "الموى" والمراد: من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب، فقد أخطأ حكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.

وقال ابن عطية: "ومعنى هذا أن يسأل الرجل على معنى في كتاب الله عز وجل، فيستور عليه أي يهجم عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء، واتخذته قوانين لعدم كالتحرر والأصول، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر التعويذ لفته، والحواريون نحوه، والفقهاء معانيه وأحكامه، ويقول كل واحد راجعه إلى النبي على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس فائلاً بمحمود رأيه."<sup>(١)</sup>

## أنواع التفسير بالرأى:

وعلى هذا، يمكن تقسيم التفسير بالرأى إلى قسمين:

١- تفسير محمود.

٢- تفسير مدموم.

فالتفسير المحمود: ما كان موافقاً لمغرض الشارع، بعيداً عن الجهالة والضلالة، متعنياً مع

<sup>(١)</sup> تفسير المرطبي: ٣٢/١.

قواعد اللغة العربية، معتمدا على أساليبها في فهم النصوص القرآنية الكريمة، فمن فسر القرآن برأيه - أي باجتهاده - ملتزما الوقوف عند هذه الشروط، معتمدا عليها فيما يرى من معاني الكتاب العزيز، كان تفسيره حائزا سائغا، حذيرا بأن يسمى التفسير المحمود، أو التفسير المشروع.

وأما التفسير المذموم: فهو أن يفسر القرآن بدون علم، أو يفسره حسب الهوى مع الجهالة بمقاييس اللغة أو الشريعة، أو يحمل كلام الله على مذهبه الخاص، وبدعته الفاتكة، أو يخوض فيما استأثر الله بعلمه، ويجزم بأن المراد من كلام الله هو كذا وكذا، فهذا النوع من التفسير هو التفسير المذموم، أو التفسير الباطل.

وباختصار: فإن التفسير المحمود ما كان صاحبه عارفا بقوانين اللغة، خيرا بأساليبها بصيرا بقانون الشريعة.

والتفسير الباطل المذموم ما كان متبعنا عن الهوى، قائما على الجهالة والفضالة، مثاله: ما ورد عن بعض الجهلة من ادعاء العلم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ نَسَبٍ بِأَبْنَائِهِمْ﴾ (الأنعام: ٧٠): أن المراد هنا أن الله تعالى ينادي الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم سرا عليهم، فقد فسر هذا الجاهل "الإمام" بالأمهات، وفتن أن الإمام جمع أم مع أن اللفظة العربية تأتي هذا: لأن جمع الأم أمهات قال تعالى: ﴿وَأُمَمُهُنَّكُمْ ثَلَاثِي أَرْضُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣)، ولا يكون جمع الأم إماما، فإن ذلك فاسد لغة وشرعا، والمراد بالإمام هنا "الهي" الذي اتبعته أمته، أو كتاب الأعمال بدليل تنص الآية: ﴿فَمَنْ أَوَّاهَى بِصِيقِهِ فَاتُوا بِكُمْ يَوْمَ الْفُتُورِ﴾ (الأنعام: ٧٠).

فإذا لم يفهم الإنسان قواعد اللغة، ولا أصول العربية، حبط حبط عشواء، وكان غليل لرأي سقيم الفهم، وكذلك من لم يفهم غرض الشرع وقع في الجهالة والفضالة، كمن أفسد بظاهر الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي عَيْدِهِ أَنْعَسَ فَلَهُ فِي الْأَجْرِ أَعْمَى وَاصْلُ مَبِيلَةٍ﴾ (الأنعام: ٧٢)،

فيحكم على كل أعمى بالشقاوة والخسران ودخول جهنم مع أن المراد بالعمى ليس عمى البصر، وإنما هو "عمى القلب" بذليل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَهْلَتْهَا لَا تَعْنَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْنَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِيهَا الضُّلُوكُ﴾ (الزمر: ٢٢).

وربما كان عمى البصر سببا لسعادة الإنسان كما جاء في الحديث القدسي: "من ابتليته بمحييته - يعني: عينيه - فصير، عوضته الجنة".

وسنذكر بعض النماذج عن التفسير الباطل المغموم عند الكلام على غرائب التفسير، فارجع إليه هناك.<sup>(١)</sup>

### أهميات التفسير:

والأمور التي ينبغي استناد الرأي إليها في التفسير، أهمها أربعة كما ذكرها الزركشي في كتابه "البرهان"، ونقلها السيوطي عنه في كتابه "الإتقان"، ونحن نلخصها بإيجاز:

الأول: النقل عن الرسول ﷺ مع التمرز عن الضعيف والموضوع.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي في التفسير، فإنه في حكم المرفوع.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، مع ترك ما لا يحتمله لغة العرب.

الرابع: الأخذ بما وافق الكلام العربي، وبذل عليه قانون الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "أطلبم فقهه في الدين وعلمه التأويل".<sup>(٢)</sup>

### العلوم التي يحتاجها المفسر:

يحتاج المفسر لكتاب الله تعالى إلى أنواع من العلوم والمعارف، يجب أن تتوفر فيه حتى يكون أهلا للتفسير، وإلا كان داهيا في نوعه السابق؛ فمن قال في القرآن برأيه فتهتوا مقعده من النار.

<sup>(١)</sup> في صفحة: ١٢٦.

<sup>(٢)</sup> انظر "الإتقان" ١/٢٧٩.



وقد ذكر العلماء أنواع العلوم التي يجب توفرها في المفسر، وأوصلها السيوطي في كتابه "الإنقاذ" إلى خمسة عشر علماً<sup>(١)</sup> ونحن نوجزها فيما يلي:

١- معرفة اللغة العربية وقواعدها 'علم النحو، والصرف، وعلم الاشتقاق'.

٢- معرفة علوم البلاغة "علم المعاني، والبيان، والبديع".

٣- معرفة أصول الفقه من 'أخصاص، وعام، ومجمل، ومفصل... الخ'.

٤- معرفة أسباب النزول.

٥- معرفة التاميم والنسخ.

٦- معرفة علم القراءات.

٧- علم الموهبة.

أما الأول: وهو اللغة وما يتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق، فإنه ضروري للمفسر؛ إذ كيف يمكن فهم الآية بدون معرفة المفردات والتراكيب؟ وهل يستطيع أحد أن يفسر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُولَدُونَ مِنْ بَنَاتِهِمْ ثَرْثُشٌ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فَأَنْوَأُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (مقرة: ٢٦٦) بدون أن يعرف المعنى اللغوي للإبلاء والربص والقيء؟

قال الإمام مالك: لا أوتي رجلاً غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله، إلا سمعته نكالا. وقال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكتف في كتاب الله، إذ ثم يكن عالماً بلغات العرب.

فإذا لم يتقن اللفظ مع المعنى اللغوي كان باطلاً، كتفسير بعض الروافض قولته تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِيَرَتِهِمْ﴾ (مرمن: ١٩) هكذا على قاضية مجمل، وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا الذُّلُومُ وَالْمُزْنَانِ﴾ (مرمن: ١٢)

<sup>(١)</sup> عبد السيوطي العلوم خمسة عشر، وسردها على النحو التالي: أحدها: اللغة، الثاني: النحو، الثالث: التعريف، الرابع: الاشتقاق، الخامس: البيان، السادس: المعاني، السابع: البديع، الثامن: علم القراءات، التاسع: أصول الدين، العاشر: فصول الفقه، الحادي عشر: أسباب النزول، الثاني عشر: علم النسخ والنسوخ، الثالث عشر: علم لغة، الرابع عشر: الأحاديث الستة للمجمل والمبهم، الخامس عشر: علم الموهبة، (الإنقاذ: ١٢١).

يعني الخمس والחסن رحمه الله.

وتفسير "فرعوناً بالعلب في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ أَنَّهُ أَخَى﴾" (درسم: ١٧)، ويريد به فلب الإنسان الفاسد.

قال القرطبي: وهذا خمس قد يستعمله بعض النواظ في المقاصد الصحيحة؛ تحسباً للكلام، وترغيباً للمستمع، وهو مجموع؛ لأنه ليس في اللغة، وذلك غير جائز، وهو أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي. <sup>(١)</sup>

وعلم النحو ضروري لأنه - كما أن المعنى يتغير بتغير الحركات تغيراً كبيراً، لقوله تعالى: ﴿يَخُشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (درسم: ١٨)، يصب، هاء الخلالة، ورفع همزة العلماء، والمعنى صحيح؛ لأن معنى الآية: الذين يخشون الله من عبده العلماء دون غيره، فمن زداد علماً بالله ازداد منه خوفاً، وأو عكس فضم هاء الخلالة، ونصب همزة العلماء ففسد المعنى.

### قصة قطيفة:

ذكر القرطبي في "تفسيره" هذه القصة في عدم التحسن في القرآن، قال:

فدام أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة المنورة فقال: من يغفري لي ما أقول على محمد ﷺ؟ قال: فأقره رجل سورة "براءة"، فقرأ عليه الآية الكريمة: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (درسم: ١٩)، فآخر أي بحر اللام في "رسوله" بدل نصبه، فكان الأعرابي أوقف برئ الله من رسوله؟ قال بكن الله برئاً من رسوله فأتانا أيضاً أمراً من رسوله، فاستعظم الناس الأمر، وبلغ عمر مقالة الأعرابي فغداه، فقال: يا أعرابي! أتجأ من رسول الله ﷺ؟

فقال: يا أمير المؤمنين! إنني قدمت المدينة، ولا علم لي بالأعراب، فسألت من غفرت لي فأقروني هذا الرجل سورة "براءة"، فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فقلت: أوقف برئ الله من

رسوله؟ إن يحكى الله برئ من رسوله فأنا أرى أنه. فقال عمر: ما هكذا الآية، يا أعرابي! قال: فكيف هي؟ يا أمير المؤمنين! قال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَبَرُّءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ورسوله ﷺ، فقال الأعرابي: وأنا والله أرى ما برئ الله ورسوله منه، أرى من ينسركي... فأمر عمر من الخطأ به ﷺ ألا يقرئ الناس إلا عام بالغة، وأمر أن الأسود، موضع الحجر." (١)

ومعرفة عمر الضرب والاشتقاق ضرورة أيضا لتفسيره حتى لا يخطئ الإنسان عبط علما، قال الزمخشري: من حارغ التفسير فون من قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ (الزمر: ١٧) جمع أم، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آياتهم، قال: وهذا غلط فاحش أوجب جهنم الفاتل بالتصريف، فإن "أما" لا تجمع على مام.

وأما علوم المعاني، والنبأ، والتدريج: فضرورة لمن أراد تفسير الكتاب العزيز؛ لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم، فمثلا قوله تعالى: ﴿وَأُنشَرُوا فِي ظُلُمِهِمْ﴾ (الحج: ٢٣) أي أنشروا: حب العجن، فهو على حذف مضاف، ومثله: ﴿وَأُنشَرُوا فِي ظُلُمِهِمْ﴾ (يوسف: ٨٠) المراد أهل القبرية. وقوله تعالى: ﴿مَنْ لِيْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيْسَ لَكُمْ﴾ (الفرقة: ٨٧)، جس على الحقيقة، وإنما هو استعارة، فكما يستتر اليأس العورة، ويرث الإنسان ويجمعه. كذلك لمحل والمرأة كل مهمل كاللباس صاحبه برئته ويكمّله ويجمعه. وهو من واقع النظم، ويتبع الكلام. وإذا حمل الإنسان المعنى على ظاهره فسد المعنى، كما يذكر أن "الفرستين" أرادوا ترجمة القرآن بلخصه. فلما وصلوا إلى هذه الآية الكريمة: ﴿مَنْ لِيْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيْسَ لَكُمْ﴾ ترجموها بالظاهر، ولم يدركوا أسر الدقيق فيها، فكانت الترجمة كالتالي: "من سطلوناتكم، وأنتم بصطونات هن" لأن اللسان عندهم يسمى: "السطلون"، وهكذا، ساء فهمهم، ولم يدركوا أربعة تعبير القرآن.

(١) تفسير القرطبي: ٢/٤١٦.

وقريب من هذا ما وقع لبعض الأعراب حين جمع قوله تعالى: ﴿وَكَثُرُوا أَشْرَئُوتَهُمْ حَتَّىٰ يَسِينُوا لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ (سفر: ١٨٧): أخذ عقائنين: أبيض وأسود، وجعل يأكل ويمضر إليهما حتى كادت الشمس أن تصطبغ، فجاء إلى النبي ﷺ، فأخبره بذلك، فقال له: إنك تعريض للفتنة<sup>(١)</sup>، إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل.

وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة على الاستعارة والكناية والحجاز، ولا بد في فهمهما من معرفة علم البيان والبديح، مثل قوله تعالى عن سفينة نوح ﴿تَخْرُجُ بِأَهْلِهَا﴾ (سفر: ١١) أي يحفظها ورعايتها، وقوله: ﴿فَدَمَّ حَيْدِي﴾ (يوسف: ٢٠) و﴿إِنْسَانٌ حَيْدِي﴾ (سفر: ٨٤)، و﴿خَنَاحَ اللَّهِ﴾ (الأنعام: ٢٤). كل ذلك وأشباهه يحتاج إلى فهم علوم البلاغة وأسرار البيان.

وهكذا نفية علوم من "أصول الفقه، وأسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات"، كل ذلك ما يحتاج إليه المفسر لكتاب الله تعالى حتى لا يخطئ في الفهم، ولا يزل عدمه بسبب الجهل بهذه الأمور الضرورية.

وأما علم الموهبة، فيقصد منه العلم الثنائي الرباني: ﴿وَعَلَّمَآهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٤) الذي يورثه الله تعالى من عمل بما علمه، ويفتح قلبه نفهم أسراره، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٧٧) فهو ثمرة التقوى والإخلاص، ولا يأتى هذا العلم من كان في قلبه بدعة، أو كبر، أو حب للدنيا، أو ميل إلى المعاصي، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِخَيْرِ الْحَقِّ...﴾ (الأنعام: ٦٦) وما أحسن قول الشافعي رحمه الله:

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سَوْءَ جَفَظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي  
وَالْحِرَافِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِمَعَاصِي

قال السيوطي: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: "هذا شيء وليس في قدرة الإنسان"، وليس كما ظننت من الإشكال.

<sup>(١)</sup> عريض الفتنة: كتابة عن إبلاهة، وسوء فهم.

والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد، ثم قال: علوم القرآن وما يستنبط منه غير لا ساحل له. فهذه العلوم التي ذكرناها هي كالآلة للتفسير، ولا يكون منسراً إلا بتحصيلها، فمن فسّر بدونها كان مفسراً بالرأي الشهي عنه<sup>(١)</sup>.

وهذه الشروط التي ذكرها العلماء، إنما هي تحصيل أعلى مراتب التفسير، وهناك معاني عامة يهتمها لإسنان عدد جماع المفسر الكرم، فقد سئل الله القرآن وبشره، وأمر بالتدبر والتذكر لكتابته المجيد: ﴿فَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ القرآن (٢٤: ٣٥) وذلك لأن مراتب التفسير، والله الموفق.

### مراتب التفسير:

وقد قسم المرحوم الشرح محمد عبده التفسير إلى مرتبتين:

١- مرتبة عليا.

٢- مرتبة دنيا.

أما المرتبة الأولى "عليا" فهي لا تتم إلا بأمر:

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعت في القرآن عن طريق استعمالات أهل اللغة. ثانيها: معرفة الأساليب الربعية، وذلك بحصول عمادة الكلام البلاغ ومزاولة مع المنطق لشكته وبخاسته.

ثالثها: علم أحوال البشر، ومعرفة نسس الإحبة الكونية في تصور الأمم واختلاف أحوالهم من قوة وضعف، وغنى ودل، وإيمان وكفر.

رابعها: لعلم بوجه هداية القرآن للبشرية، وما كان عليه العرب في الجاهلية من شقاء وضلال، فقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "لا يعرف فضل الإسلام من لم يقرأ حياة الجاهلية".

خامسها: اعلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما كانوا عليه من عزم وعمل في الشؤون الدينية والسياسة.

## المرتبة الدنيا:

وأما أدنى مراتب التفسير: فهو أن يتبين بالإجمال ما يشرب قلبه عظمة الله وتزبهه، ويمصرف النفس عن الشر، ويهديها إلى الخير، وهذه ميسرة لكل أحد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (نصر: ١٧).

## أوجه التفسير:

روى السيوطي نقلاً عن ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:  
التفسير أربعة أوجه:

١- وجه تعرفه العرب من كلامها.

٢- وتفسير لا يُعذر أحد بجهالة.

٣- وتفسير يعرفه العلماء.

٤- وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

## أقوال العلماء في جواز التفسير بالرأي:

بعد أن عرفنا معنى التفسير بالرأي وشروطه، نذكر الآن أقوال العلماء فيه، وأدلة تك من المفسرين والمنايعين له، حتى يظهر الحق أليق ساطعاً، مثل الشمس في رابعة النهار، فنقول - ومن الله نستمد العون -:

المراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي مجناه: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة القسم للكلام العرب وأسلوبهم في الخطاب، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، وقد اختلف العلماء في جواز التفسير بالرأي على مذهبين:

المذهب الأول: عدم جواز التفسير بالرأي؛ لأن التفسير موقوف على السماع، وهو قول طائفة من العلماء.

الذهب الثاني: جواز التفسير بالرأي بالشروط المتقدمة، وهو مذعوب جمهور العلماء.

### أدلة الماتعين:

استدل الماتعون للتفسير بالرأي بعدة أدلة نوجزها فيما سي:

أولاً: إن التفسير بالرأي قولُ عبي الله بغير علم، وهو مذهبُ عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ عِلْمٍ﴾ (البقرة: ١٢٩).

ثانياً: ما ورد في الحديث الشريف من لو عبد الشديد لمن فسر القرآن الكريم براه، وهو قوله ﷺ: "تفرو الحديث علي إلا ما علمها فمن كذب عني متعمداً فنيبوا فنيبوا مفعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فنيبوا مفعده من النار" (١).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِلَهُكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، فقد أضاف فييب إلى الرسول ﷺ، فعام أنه ليس غيره شيء من البيان لمعاني القرآن.

رابعاً: تخرج الصحابة والتابعين من القول في القرآن بأرائهم، حتى روي عن الصادق أنه قال: أي سمع نطقني؟ وأي أرض تقاي؟ إذا فسدت في القرآن برأبي، أو فسدت فيه بما لا أعلم.

### أدلة المحيزين للتفسير بالرأي:

وقد استدل المحيزون للتفسير بالرأي، وهم "الجمهور" بعدة أدلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: لقد حثنا الله على التدبر، وتعدد في القرآن، فقال عز من دتل: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَلْمِزْ أَنْزَلْنَاهُ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: ٢٣٩).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَنِ قُلُوبٍ أَغْفَالُهُ﴾ (محمد: ١٦).

والتدبر والتأمل لا يكون إلا مانع من أسرار القرآن، والاجتهاد في فهم معانيه، فهل يحفل أن يكون تأمل ما لم يستأثر الله بعبده مخطوراً على العلماء مع أنه طريق النعم، وسبيل المعرفة؟

ثانياً: إن الله تعالى قسم الناس قسمين: عامة وعلماء، وأمر بالرجوع إلى أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام، فقال تعالى: **هُؤُلُوْا دُوْرَهُ إِلَى الرَّسُوْلِ وَإِنِّي أُوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ أَتَيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَ مِنْهُمْ** (النساء: ٥٨).

والاستنباط هو استخراج المعاني الدقيقة بثأب الذهن، وهو إما يكون بالاجتهاد وانفوس في أسرار القرآن، كما يفحص السباح في أعماق البحر لاستخراج الحواجر والذلات.

ثالثاً: فالواضح أن كان التفسير بالاجتهاد غير حائز، لما كان الاجتهاد حائزاً، ولتفضل كثير من الأحكام، وهذا باطل؛ فإن المجتهد في حكم الشرع مأجور سواء أجاز أو أخطأ مادام أنه قد استخرج جهده، وبذل ما في وسعه بعبء الوصول إلى الحق والصواب.

رابعاً: إن الصحابة قرؤوا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، ومعلمة أقبح لم يسمعوا كل ما قالوه في تفسير القرآن من النبي ﷺ؛ إذ أنه لم يبين لهم كل شيء، بل بس غم ضروري منه، وترك البعض الآخر الذي توصلوا إلى معرفته بقولهم واجتهادهم؛ ولو بين لهم كل معانيه لما وقع بينهم اختلاف في التفسير.

خامساً: إن النبي ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال: **"اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"**، وهو كان "التأويل" منصوباً على السماع والنقل كالتأويل، لما كان هناك ما يذهب في تخصيص ابن عباس بهذا الدعاء، فقد على أن التأويل هو التفسير بالرأي والاجتهاد.

الرد على أدلة المانعين:

وقد ردوا على أدلة المانعين بحجج دامغة، وبراهين قاطعة تثبت خطأهم، فكانوا في الرد على الدليل الأول: إن التفسير بالاجتهاد ليس قولاً على الله بعد علم، بل هو قول بعلم مأزود به من التشريع، فقد بس عليه الصلاة والسلام أن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد، فكيف يكون مأجوراً إذا لم يكن مسموماً فإنه بالاجتهاد؟



ثانيها: أما الدليل الثاني وهو حديث: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"، فقد رد السيوطي بخمسة أدلة عليه، فقال: جملة ما تحصل في معنى التفسير بالرأى خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول على العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

الثالث: التفسير المقرر للمذهب الفاسد، فيجعل المذهب أصلاً، والتفسير تابعاً.

الرابع: الحكم بأن مراد الله كذا على وجه القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والظن.<sup>(١)</sup>

ثالثاً: وفي الرد على الدليل الثالث قالوا: نعم! إن النبي ﷺ مأمور بالبيان، ولكنه انتقل إلى حوار الله، ولم يبرهن كل شيء، فما ورد بيانه عنه ﷺ، فقيه الكفاية، وما لم يرد عنه بيانه فلا بد فيه من الاجتهاد وإعمال الفكر، وختام الآية يشهد ذلك: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٧٦)، فلا بد إذا من الفكر والاجتهاد.

رابعاً: وفي الرد على الدليل الرابع قالوا: إن إسحام الصحابة إذا كان منهم ووعا واحتياطاً خشية ألا يصيبوا عين اليقين، وكانوا يرون أن التفسير شهادة على الله بأنه أراد باللفظ كذا، فأمسكوا عنه خشية ألا يكون انصواب جانبهم، وأما إذا ترجح لهم وجه الصواب، فإهم لا يمتنعون، وهذا أبو بكر الصديق يعني في الكلاله برأيه في قوله تعالى: ﴿يُشَهِدُونَكَ أَنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُكَ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧٧)، فيقول ههنا: أقول فيها برأى، فإن كان صواباً فسن الله، وإن كان غير ذلك فسني ومن الشيطان. "الكلالة": ما خلا الولد والولد.

من هذه منظره العابرة يتبين لنا خطأ وجهة اثنين ممنوعوا تفسير القرآن بالاجتهاد، وقصروا على المنقول والمأثور، وقد علمت أدلة الجمهور القوية، وتفتيدهم لأدلة المانعين. ونزهد هنا كلمة للإمام العراقي، وأخرى للراغب الأصفهاني، وثالثة للقرطبي حول جواز تفسير القرآن بالاجتهاد.

## كلمة الإمام الغزالي:

قال الغزالي في الإحياء: إن في فهم معاني القرآن مجالا رحبا، ومسعا بالغا، وإن المقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه، فعلى أن يشترط السماع في التأويل، وجاز لكل واحد أن يمشط من القرآن عثر فهمه، وحذ عقله.<sup>(١)</sup>

## كلمة الراغب لأصفياني:

وقد الراغب الأصفياني في مقدمة التفسير: بعد أن ذكر المذهبين وأدلتهم، قال: وذكر بعض المحققين أن المذهبين هما التفسير والتفصير، فمن اقتصر على المقول، فقد ترك كثيرا مما يحتاج إليه، ومن أحاز لكل أحد غرض فيه، فقد عرض له التحليل، ولم يعثر حقيقة قوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْقَابِهِمْ﴾ (ص: ٢٩).<sup>(٢)</sup>

## كلمة الإمام القرطبي:

وقد العلامة القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" ما نصه:  
وقد اختلف بعض العلماء: إن للتفسير موقف على السماع لقوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْقَابِهِمْ﴾ (ص: ٢٩). وهذا فاسد؛ لأن الشئ من تفسير القرآن لا يخلو إما أن يكون المراد به الاختصار على السهل والمسموع، وترك الاستدلال، أو المراد به أمر آخر، وباطل أنه يكون المراد به إلا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة عدا قد قرؤوا القرآن، واحتقروا في تفسيره معنى وجوده، وليس كل من قالوا سمعوه من النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال: "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"، فإن كان التأويل مسدودا كالشرب، فما فائدة تخصيصه بذلك؟<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> الإحياء: ٣٦٢-٣٦٣. مقدمة التفسير لراغب، ص: ٤٢٢.

<sup>(٢)</sup> الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٩.

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإبه ميل من الصبح والمهوى، فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه.

الثاني: أن يتسرع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الحذف والإضمار، وتقديم والتأخير، تأمل قوله تعالى: **هَؤُلَاءِ نَسِيتُ الْبَيْعَ فَنَصِرُوا لَهُمْ** (الإسراء: ٤٠)، فإن معناه: أنها لمود الشافعة معجزة واضحة وآية ظاهرة، فظلموا أنفسهم بمتلها.

والناظر إلى ظاهر العربية يظن أن البيعة كانت مصفرة، ولا ينبغي بمخاذا ظلموا، وأهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأما في القرآن كثير، وما عدا هذين لوجهين فلا يشمله الشهي.<sup>(١)</sup>

♦ ♦ ♦ ♦

<sup>(١)</sup> المراجع لأحكام القرآن: ٣٤/١.

## القسم الثالث

التفسير الإشاري وغرائب التفسير:

انواع الثالث من التفسير هو 'التفسير الإشاري'، وستعرض في هذا البحث إلى معنى التفسير الإشاري، إلى شروطه، وإلى آراء العلماء به، ثم نعتب ذلك بيان شادج عن التفسير الإشاري، وأهم الكتب التي نحت هذا المنحى، وما فيها من حداث وسميات.

معنى التفسير الإشاري:

التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره؛ لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للمعرفين بالله من أرباب السبوك والمجاهدة لنفس من مَرَّ الله صلاتهم؛ فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أهدافهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي، أو الفتح الرباني مع إمكان الجمع بها وبين الظاهر المراد من الآيات التكرية.

فالتفسير الإشاري هو أن يرى المفسر معنى آخر غير معنى الظاهر تحتله الآية التكرية، ولكنه لا يظهر لكل إنسان؛ وإنما يظهر لمن فتح الله قلبه وأتار بصيرته، وسلكه في ضمن عبادة الصالحين الذين منحهم الله الفهم والإدراك، كما قال تعالى في قصة الخضر مع موسى عليه السلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ بَنَاتِنَا مِمَّنْ شَرَفْنَا وَفَعَّلْنَا مِنْ بَيْنِهِمَا عِلْمًا﴾ [نجم: ١٠٤].

وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبي الذي يتل بالبحث والتذكارة؛ وإنما هو من العلم اللدني أي الوحي الذي هو نور النقي والاستقامة والصلاح، كما قال تعالى: ﴿فَوَقَّاهُ اللَّهُ وَتَعَلَّمَهُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [شورى: ٢٨١].

## آراء العلماء في التفسير الإشاري:

اختلف العلماء في التفسير الإشاري: وثابت فيه آراؤهم، منهم من أحازمه ومنهم من منعه، ومنهم من عدّه من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زحاً وصلالاً، وأمرافاً عن دين الله تبارك وتعالى.

والواقع أن الموضوع دقيق، يحتاج إلى بصيرة وروية، وعوص إلى أعماق الحقيقة؛ ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع القوى، والتلاعب في آيات الله كما فعل "الباطنية"، فيكون ذلك زنادقة وخداه، أو العرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى لا يحيط به بشر؛ لأنه كلام خالق القوى والقدرة، وأن لكلامه تعالى مداهيم وأسراراً، ونكتاً ودقائق، وعجائب لا تنفسي، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطن، لا تنفسي عجائب، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه يرفق بحد، ومن أوغل فيه عطف هوى، أعيان وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظاهر وبطن؛ فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فحاصلوا به العلماء، وحبوا به السلفاء".

## أدلة المحيزين:

وقد استدلل القائلون بجواز التفسير الإشاري بما رواه البخاري رضي الله عنه في صحيحه في باب التفسير عند تفسير سورة "النصر"، ونص الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

"كان عمر بن الخطاب مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدع هذا معنا ولنا أساء مثله؟ فقال: إنه من علمهم؟ فدعاني ذات يوم، فأدخلني معهم؛ قال: فما رأيك أنه دعاني إلا ليؤيهم، فقال عمر: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر)، فقال بعضهم: أمرنا بأن نحمد الله ونستغفره، إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً.

فقال لي: أكنّا تقول يا ابن عباس؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أسلم ورسول الله ﷺ أعلمه، فقال: ﴿إِذَا خَاءُ نَصَرَ اللَّهِ وَانْفَتَحَ﴾، فذلك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِذْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (نصر: ٢) فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول! <sup>(١)</sup>

فهذا فقههم من ابن عباس لم يفهمه بقية الصحابة، وثنا فقههم عمر رضي الله عنه وفهمه ابن عباس رضي الله عنهما وهو من "التفسير الإشاري" الذي يلهمه الله من شاء من خلقه، ويطلع عليه بعض عباده.

فالسورة الكريمة فيها "نعم" لشي عليه الصلاة والسلام، وإشارة إلى دنو أجله. ومثل هذا ما ورد في الحديث الشريف: أن النبي ﷺ خطب للناس يوما، فقال في جملة عظيّمته: "إن الله خير عدا بين الدنيا وبين ما عندها، فاختار ما عنده"، فبكى أبو بكر، وفي رواية فقال: فدينك يا رسول الله بأمانتكم وأماناتكم، فحينما له بكمي، فلما قبض رسول الله ﷺ علمنا أنه كان هو المعبر، وكان أبو بكر أعلمنا. <sup>(٢)</sup>

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه فهم "بطريق الإشارة" ما لم يفهمه عامة الصحابة رضي الله عنهم، وكان الأمر كما قال: طائفة من أقوال العلماء:

وأنا أنقل هنا طائفة من أقوال العلماء في التفسير الإشاري بإيجاز، سائلا المولى أن يلهمنا السداد والرشاد، وأن يجنب الخطأ والضلال، ثم أعقبها بكلمة لحجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله، فهي مستختامة، فاقول - ومن الله أستمّد العون -:

### كلمة الزركشي في البرهان:

قال الزركشي في البرهان: كلام المصوفة في تفسير القرآن، قيل: إنه ليس بتفسير، وإنما هو معان وموحيّد يجتهدونها عند التسلاوة، كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَنَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ

<sup>(١)</sup> نقل من "جمع القوائد"، وأعذب الموارد" ٢/٢٨٨.

<sup>(٢)</sup> الحديث رواه البخاري، والترمذي.

أكثر من غيره، فلهذا "التفسير" يريدون أن علة الأمر بقتل من يبغى هي القرب، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه.

### كلمة التفسيري والتعقلاوي:

وقال التفسيري في المقام: التفسير على ظاهرها، والعدول عنها إلى معاني يتعقبها أهل الباطل بخلاف

وقال التعقلاوي في شرحه على المقام: سميت الملاحدة باطنية لأدعائهم أن الصبر ليس على ظاهرها، بل لها معاد لا يعرفها إلا العبد، وقصدوا بذلك هي الشريعة بالكيفية، قال: وإنما ما يذهب إليه بعض المفسرين من أن التفسير على ظاهرها، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكنفها لأرباب السوء، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر الواردة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان.<sup>(١)</sup>

فأنت ترى أن التفسيري أشار إلى "الباطنية"، وبين أن طريقهم يخاف في دين الله، واستغفاري فصل البحث، ووضح موضوع، فرد على "الباطنية" ضلالهم، وأقر ببعض أرباب السوء طريقهم في استنباط الدقائق، والإشارات الخفية، وجعلها من كمال المعرفة والإيمان.

ومن هنا يظهر لنا الفرق جلي بين "التفسير الإشاري" الذي هو أساس بعض المدارس، وبين "التفسير الباطني" الذي هو تفسير الباطنية للملاحدة الذين يسمون معاني الكتاب العزيز.

فالقولون لا يعمدون زيادة الظاهر، بل يقولون: إنه هو الأصل والأساس، ويحفظون عليه ويقولون: لا بد من معرفة الظاهر أولاً، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن، ولم يُحكم لظاهره، يكون كمن ادعى بلوغ سطح أبيات قبل أن يتبع لياب.

وأما الباطنية، فهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما مراد الباطن، وقصدوا من وراء هذا

<sup>(١)</sup> شرح المقام التفسيري للتعقلاوي

الكلام نفي شريعة وإبطال الأحكام، وهذا نفاثك إجماع في شعوبه، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَن تَقِيلُواْ فَتَجِدُواْ فِي تَابِنَا لَا يَحْمِلُونَ عَلَيْهِمْ ثِقَالاً أَفَئِنَّ يَلْتَمِسُ مِنْ لَّدُنَّا حَتْفَةً يَّاتِي أَمَانُ يَوْمَ الْآزِمَةِ فَانْتَبِهُواْ إِنَّمَا يُنشِئُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا تَحْمِلُونَ ثِقَلَكُمْ﴾ (نمل: ٤٠).

### كلام السيرطي في الإنفاق:

والعلامة السيرطي ذكر في كتابه "الإنفاق" عن ابن عطاء النص الآتي: اعلم أن التفسير من هذه الطائفة - يعني التفسير الإشاري - لكلام الله وكلام رسوله ﷺ بالمعاني العربية، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن طاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له، وذلك عليه في عرف المسلمين، ولم أقفهم باطلة تمهم عند الآية والحديث من فتح الله قلبه.

فلا بصديق عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو حذل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قلنا: لا معنى للآية إلا هذا، وهو لم يقولوا ذلك، بل يقررون الظاهر على ظواهرها، مرادها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم. أقول: هذا كلام الإصناف، فقد وضع الشيخ الحق في مصنفه، وجمع بين النصوص الظاهرية والمعاني الخفية الواردة التي تشرق على قلب المؤمن المتعارف بالله، كما كان الحال مع الصديق وعمر بن الخطاب، ولا عجب فإنه تعالى بعض الحكمة من يشاء، ويضع لفهم فبعض أورد: وهذا هو القرآن الكريم بحبرنا عن داود وسليمان عليهما السلام: "يُأْمُرُ غَرَضَ عَلَيْهِمَا فَحَكَمَ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا بِحَكْمِ الْآخَرِ فَيَقُولُ: هَاتَيْنِ مَّا مَاتَ بَيْنَهُمَا وَكَلَّا أَتَيْنَا بِحُكْمٍ وَبِغَمٍّ" (الأنعام: ٦٧).

### معنى الحديث أنوار في التفسير "الإشاري":

وبخبر ما هنا أن نؤمن معنى الحديث أنوار في تفسير الإشاري في بيان معنى خبر الآية وبمعناها، وخذ الحرف، ومطلق الحد ... إلخ، ندلا يتخذ الملاحظة الباطنية حجة لهم في دعواهم الباطلة



في تفسير كلام الله تعالى على طريقتهم الباطنية، وتلاعبهم في النصوص الكريمة حسب لأهواء. روى القرطبي بسنده عن الحسن بن النسي رحمهم الله أنه قال: "لكل آية ظهر وبطن، ولكن حرف حده، ولكن حد مطلع".

وروى الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: "إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد، وتكلم حد مطلع".

وقد ذكر العلامة السيوطي رحمهم الله بعض الوجوه في تأويل الحديث الشريف في معنى 'الظهر والبطن'، ونحن نذكر أقرب هذه الأوجه إلى الصواب:

الوجه الأول: أن أفراد بالظاهر لفظها، وبالبطن تأويلها.

الوجه الثاني: أن المراد بالظاهر، ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي اطلع الله عليها أرباب الخفائق.

الوجه الثالث: أن المقصود التي قصها الله تعالى عن الأسم الناضية، وما عاتبهم به، ظاهرها الإخبار بآيات الأولين، وباطنها وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعليهم، ليحل بهم مثل ما حل بهم.

وأما المراد "بالحد": فهو أحكام الحلال والحرام، والمراد "بالمطلع": الوعد والوعيد، وتأييده حديث ابن عباس السابق: "إن القرآن ذو شجون وقنون"... الحديث، وقد مر معك ذكره.

شروط قبول التفسير الإشاري:

والتفسير الإشاري لا يكون مقبولا إلا إذا توفرت فيه الشروط الآتية، قال السيوطي: وهذا الوجه أشبهها بالصواب.<sup>(١)</sup>

أولاً: عدم التناق مع المعنى الظاهر في النظم الكريم.

ثانياً: عدم ادعاء أنه المراد وحده دون الظاهر.

<sup>(١)</sup> عن الإفطار: ١/٢٤٤، ١/٢٤٥.

ثالثاً: ألا يكون التأويل بعيداً مخيفاً لا يحتمله اللفظ، كتفسير الباطنية قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (نمل: ١٦)، أي أن الإمام علياً ورث النبي في علمه.

رابعاً: ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

خامساً: ألا يكون فيه تشويش على أفهام الناس.

وبدون هذه الشرائط لا يقبل التفسير الإشاري، ويكون عند ذلك من قبل التفسير بالمعنى والرأي المنهي عنه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

### كلمة قيمة للشيخ الزرقاني:

ونسوق هنا كلمة قيمة للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني حول التفسير الإشاري، فيها حكمة بالغة، ونصيحة صادقة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال رحمه الله:

"وأملك تلاحظ معي أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والمخاطبات، فدخل في روعهم أن الكتاب والسنة؛ بل والإسلام كله ما هي إلا سرائح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات، ورعوا أن الأمر ما هو إلا تخيلات، وأن المطلوب منهم هو الشطط مع الخيال أينما شطط، فلم يفتشوا بتكاليف الشريعة، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية في فهم أبلغ النصوص العربية، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والأدهى من ذلك أنهم يتخيلون ويحكيون للناس أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدرکوا الغاية، واتصلوا بالله اتصالاً أمسقط عنهم التكليف، وسماهم عن حضيض الأخذ بالأسباب، ماداموا في زعمهم مع رب الأرباب، وهذا - لعمر الله - هو المصائب العظيم الذي عمل له الباطنية كي ما يهدموا التشريع من أصوله، ويأتوا ببيانه من قواعد.

فواجب النصيح لإخواننا المسلمين: يقتضينا أن نحذرهم الوقوع في هذه الشباك، ونشور عليهم أن ينفصوا أيديهم من أمثال تلك التفاسير الإشارية للتوبة؛ لأنها كلها أذواق ومواجيد صارحة

عن حدود الضبط والتقييد، وكثيراً ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة، والخيال بالماضي، فالأحرى بأن يخطئ العاقل أن ينأى نفسه عن هذه المزالق، وأن يفر يديه من هذه التشبهات، وأما في الكتاب والسنة، وشروعهما على قوانين الشريعة واللغة ريباض وحنات: **هَذَا تَشْبِيلُونَ الَّذِي هُوَ أَذْنَى بِالْبَنِيِّ هُوَ حَتَرُكُمْ (الفرد: ٦١)؟**<sup>١١</sup>

### كلمة حجة الإسلام الغزالي:

ويقول حجة الإسلام الغزالي رحمه في كتابه "إحياء علوم الدين" في فصل الذكر والتذكر، ما نصه: "وأما الشطح فعني به صنفان من الكلام أحدثهما بعض الصوفية:

أحدهما: الدعاري الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصل المغيث عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد، وارتفاع الحجاب، والمشاهدة بالرؤية، والمشاهدة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا وقتنا كذا، ويتشبهون فيه بالחסين "الحلاج" الذي صلب لأجل إطلاقة كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: "أنا أختي"، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره على العوام، حتى من نصق بشيء منه فقتله أفضل في دوى الله من إحياء عشرة.

الثاني: كلمات غير مفهومة، لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل، ولا ذائقة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول، وبحر الأذهان، وقد قال ابن مسعود رحمه: ما حدث أحد قوماً حديث لا يفقهونه إلا كان فتنةً عليهم.<sup>١٢</sup>

وقال علي كرم الله وجهه: كتموا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ﷺ.<sup>١٣</sup>

### أمثلة على التأويل الإشاري الفاسد:

ثم قال - طيب الله ثراه -: وأما الطاعات فيدخلها ما ذكرناه من الشطح، وأمر آخر يخصها وهو

<sup>١١</sup> متاعل العزاني: ٥٥٨/١

<sup>١٢</sup> روي في مقدمة صحيح مسلم موقوفاً على ابن مسعود رحمه.

<sup>١٣</sup> رواه البيهقي رحمه موقوفاً على علي رحمه. <sup>١٤</sup> متفق عليه.

صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور راضة لا يسنق معها إلى الألفاظ عائدة، فهذا أيضاً حرام، وضرره عظيم. ومن أمثلة تأويل أهل المطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ بَرِّهِمْ إِنَّهُ طَيِّبٌ﴾ (الحجرات: ١٧) إنه إشارة إلى قبه، وقال: هو المراد بفرعون، وهو الطاغوتي على كل إنسان، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ نِعْمَتِكَ﴾ (المراد: ١١٧) أي كل ما يتوكل عليه، ويعتمده مما سوى الله عز وجل، فينبغي أن يلقبه.

وفي قوله ﷺ: "تَسْحَرُوا قَوْلَ فِي السَّحُورِ بَرَكَةٌ" فسروا السحور بأنه الاستغفار في الأسحار، وأمثال ذلك حتى ليحرفوا القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره، وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وسانو العلماء، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً، كتنزيل فرعون على القلب. فإن فرعون شخص محسوس نوارس إلينا المنقلب بوجوده، وبعضها يحتم بطلانه بغالب الظن، وكل ذلك حرام وضلاله، وإفساد للدين على الملأ.

ومن يستجير من أهل المطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ، يصاهي من يستحيز الاختراع والوضع "الكذب" على رسول الله ﷺ كمن يصنع في كل مسألة يراها حديثاً عن النبي ﷺ، فذلك ظنم وضلال، ودخول في الوعيد: "من كذب علي متعمداً فليشنأ" متعمداً من التعمد، بل انشأ في تأويل هذه الألفاظ أطمع وأعظم؛ لأنه يبطل الثقة بالألفاظ، وقاضع طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلمة".<sup>(١)</sup> انتهى كلام القرطبي رحمه الله.

### خلاصة البحث:

وما تقدم تبين لنا أن التفسير الإشاري له ما يزيده من الشرع، ولكنه قد دخلت عليه بعض التأويلات الفاسدة، وسلك فيه بعض الناس مسلك الباطنية، ولم يراعوا الشروط التي وضعها العلماء، وأخذوا يخطون فيه خطب عشوائية، بل أصبح كل من هب ودب يتطاول على كذب الله تعالى،

فتأوله حسب ما يحمله عليه الحق، أو يورس له به الشيطان، ويؤمن أنه من التفسير الإشاري مع أنه سفاهاً وضالاً وجهالاً؛ لأنه تعريف بكتاب الله، وسلوك مسلك الباطنية الملاحدة، وهو وإن لم يكن تحريفاً للألفاظ، فإنه تحريف لمعانيه، ولقد سمعت من يستشهد بالآية الكرسي: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) على ضرورة ملازمة المريد لذكر الله تعالى بلفظ "الله"، فجعل هذه اللفظة مقول القول أي: قل: الله، وما درى بهذا الجاهل الغي أن هذه جملة حذف منها الخير، واستغنى: "الله أنزله" بدليل سياق الآية الكرسي: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي خَاءَ بِهِ مُوسَى...﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٥). وأمثال هذا التعليل كثير، فلا ينبغي لعلماء المسلمين أن يسمحوا وأمثال هؤلاء الجهلة بالتداول على كتاب الله، وتفسيره بما يخالف الظاهر، ويتعالي الحق والصواب؛ عما سبهم أنه من نوع "التفسير لإشاري"، فالتفسير له حدود وشرود، وليس لكل إنسان أن يقول فيه برأيه، أو يبعث في نصومه بفهمه العليل، ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: "نصف صيب بقصد الأبدان، ونصف ندم بقصد الأديان". والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

### غرائب التفسير:

ذكر العلامة لسبوطي في كتابه "الإنفان" نقلاً عن الكرماني أنه ألف كتاباً في مجلدين سماه "العجائب والغرائب"، صممه أنوالاً مسكرة في التفسير، لا يجوز قولها ولا الاعتماد عليها؛ لأنها من أنوال أهل الضلال، وإنما ذكرها لتحذير منها، وقال: إنما أردت بذكرها أن يعلم الناس أن فيمن يدعي العلم حقاً، وعن نقل طرفاً منها؛ وفي بعض أنوال أخرى عن الباطنية حين يذم المسلمون من أمثال هذه الأباطيل التي دخلت على الأمة الإسلامية بسبب التعصب الأعمى والنباغ الأهواء.

أمثلة على هذه الغرائب:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا تَحْتَسِبُ﴾ (البقرة: ١٠٥) قالوا: الخاء حُرِّبَ عليّ ومعاربة، والميم ولاية بني مروان، والعين ولاية العباسيين، والهمزة ولاية السفليين، ولقاف الخدوة سلمي... إلى غير ما هنالك من الضلال.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (مائدة: ٥٤) قالوا: القصاص المراد به قصص القرآن، وهو باطل لغة وشرعاً، وقول لا يقول به إلا الجهلاء.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَفْطِنُ قَلْبِي﴾ (البقرة: ١٦٠) قالوا: إن إبراهيم كان له صديق وحسنه بأنه عليه، ومسرود معني ولكن ليسكن صديقي، وهذا بعيد جداً.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا بِهَا بِمَظْهَرٍ مُّبِينٍ﴾ (البقرة: ١٦٠) قالوا: به أحب والعشوة، وعشوة لا علاقة لها بفساد الباطن، وهذا حكمة تكوّن في تفسيره.

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ عَاسٍ إِذَا وَقَّتْ﴾ (المن: ٢٠) قالوا: إنه الذكر إذا احتضن، وهذا بلاشك - حركة عربية، ووفاحة شبيعة لا تصدر إلا من سبعة نحوي.

سادساً: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَبْتُمْ يُوقِدُونَ﴾ (يس: ١٧) قالوا: المراد بالشجر الأخضر "إبراهيم"، وبإني نور محمد ﷺ، فإذا أنشأ منه توقدون أي تقسمون الدين.

وهذا التفسير من الغرائب لا تدل عليه اللغة، وهو أبول باطل الصوري الخراف، وإن كان سبكه جيلاً وعياره ضعيفاً.

نماذج عن تفسير الشيعة:

الشيعة هم فرق محدّدة، أسروا في حب الإمام عليّ كرم الله وجهه، فسبوا من الترق في نفس

التشيع حتى كفر، وعلى رأس هؤلاء ابن سبأ اليهودي الخبيث الذي ما اعتنق الإسلام إلا بقصد التكهيد له، والندس فيه، وسهم من يعتقد بأن الأمين جبريل قد أنه وأخطأ في النزول، وأنه كان سيرد بالرسالة على عليٍّ عليه السلام، فأخطأ ونزل على محمد ﷺ، وهؤلاء كانوا دائماً في حرب وخصومة مع المسلمين، حتى ورد أن عبداً نفسه شق العارضة عليهم، وحاربهم، وطاردهم على كفرهم وضلالهم.

ومنهم أناس محتلون، لم يسقطوا في هاوية الكفر، وإنما خائفوا أهل السنة والجماعة، واعتقدوا بأنفسهم عليٌّ عليه السلام، على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وأنه أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ، وبأحقية بالخلافة؛ لأنه من أهل البيت، واعتقدوا بأن الخلفاء الثلاثة قد سلبوا علياً عليه السلام حقه في توليهم الخلافة، ومنهم من يفضل علياً عليه السلام فقط، ومنهم من لا يكفي بذلك، بل يشتم الشيعيين أبا بكر وعمر وعليٍّ، ويعتقد فيهم الضلال والعباد بالله - مع أن الله تعالى أنبي عليهم في آيات عديدة، وجعلهم من خاصة أصحاب نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وسعرض إلى نماذج من تأويلات "الأثنا عشرية"، والشيعة "السيئة" في كتاب الله الكريم.

من تفسيرات الشيعة "الأثنا عشرية":

- ١ - ﴿لَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ﴾ (الحج: ٢٢) فسروها ببقاء الإمام علي عليه السلام.
- ٢ - ﴿لَا تَرْجِعْ الرُّجُوعَ﴾ (الزُّمَر: ٢٨) فسروها بالرجعة، والرجعة: الرجوع، والرجعة: الرجوع.
- ٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا أَمْرًا﴾ (البقرة: ٢١٧) يعني بالذين آمنوا: الأئمة الإثني عشرية.
- ٤ - ﴿لَا تَجْعَلُوا لِلْأَنْبِيَاءِ أَحْداً﴾ (البقرة: ٢٢٣) أي لا تجعلوا إمامين، إنما هو إمام واحد.
- ٥ - ﴿وَأَشْرَبَ الْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (البقرة: ١٢٣) أي أشربت بنو إسرائيل.
- ٦ - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢١٣) أي يؤتي الحكمة من يشاء.





فأنت ترى أنه قد حمل اللفظ الذي لا يجهل أحد على معان غريبة من غير دليل، وما حمّله على ذلك إلا مركب القوي، والتعصب "الأعمى" مذهبه، وذلك لا شك ضلال لا يقل عن ضلال الباطنية ولا البهائية: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (غير ٢٣).<sup>(١)</sup>

تفسيرات الباطنية:

الباطنية قوم لا يقبلون لأحد بظاهر القرآن، وإنما يقولون: إن القرآن له "ظاهر وباطن"، ويعتقدون بأن المراد منه "الباطن" دون الظاهر، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿فَضَرَبَ لَهُمُ الْغُورَىٰ لَهَا بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٢).

وهم فرق متعددة نذكر أهمها:

- ١- الإسماعيلية: نسبة إلى "إسماعيل" أكبر أولاد حمطر الصلاني، وكانوا يعتقدون فيه الإمامة.
- ٢- القرامطة: نسبة إلى "قرمط" إحدى قرى واسط، وقد تزعمهم رجل منها اسمه "حمدان".
- ٣- السبعية: نسبة إلى "السبعة"، لأنهم يعتقدون أن في كل سبعة منهم إماما يقتدى به.
- ٤- الحرورية: نسبة إلى "الحرمة"، وذلك؛ لأن هؤلاء يستنجييون اغرمت والغراحتن.<sup>(٢)</sup>

نماذج عن تفسير الباطنية:

- ١- قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرْضَىٰ عَنْهُ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (الشعراء: ١٩) قالوا: إنه إشارة إلى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء عليهم السلام، أي لتسلكن سبيل من قبلكم بالغدر في الأنبياء بعد الأنبياء.

- ٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا رَبِّ يَفْرَاقُ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾ (يوسف: ١٥) يفسرونه: ﴿أَوْ بَدَّلَهُ﴾ أي بَدَّلَ عليها، ومعلوم أن عليها لم يسبق له ذكر.

<sup>(١)</sup> انظر كتاب "الوشحة في نقد عقائد الشيعة" ص: ٦٥، و"الفرق بين الفرق" لشيخنا، ص: ٢٣٠.

<sup>(٢)</sup> انظر كتاب "الفرق بين الفرق" لشيخنا.

فوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، لَمْ يَكْفُرُوا، لَمْ آمِنُوا، لَمْ يَكْفُرُوا، لَمْ يَزَالُوا، يَكْفُرُونَ﴾. وكفى الله ليخبرهم ولا يبينهم شيئاً. (ص: ١٧٧). فها إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ثم كفروا حيث عرض عليهم ولاية علي عليه السلام، ثم آمنوا بالبيعة علي عليه السلام، ثم كفروا بعد موت أبي بكر، ثم ارتدوا كفراً، بأحد البيعة من كل الإمامة. (١)

١ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ تُحْفَتِكُمْ﴾ الآية ١٧٧ فاستدل المفسرون بالبرقة  
"عائشة" رضي الله عنها وأمر الله تعالى أن يرفع يدها عن تحفها الآية ١٧٨ فطعنوا والزبير رضي الله

۵- قولہ تعالیٰ: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ دِينِكَ وَلَا هُمْ يُغْنُونَ عَنْكَ كَثْرَتَ دِينِكَ﴾ (النور: ۳۱)۔

- فَاَنبِئْهُمْ أَنَّ اللَّهَ بَاطِلُ الْفَكَنِ -

ويواظبون، فمذهب الشافعية وجاء وضلال، ونقل إليهم من المجهول، وهو يروون "أخباة"  
 بإقتضاء الشرع ويروون "العسل" تحديد العهد، والتميم "بأخذ عن المؤلفين، و"الصور"  
 بالإمالة عن كشف السر إلى آخر ما لديه من جعلات وعسالت.

وهذه لتوحيدها من أئمة وأئمة ما يصاب به الإسلام واستمعوا: أئمة تؤدي إلى  
نقص بيان الشريعة حجة حجة، ونحن القرآن العروة من أيدي هؤلاء الأئمة، ومن فصل  
الله أن كتبهم في نضجهم إلى الوجود، وأهم يفتقرون هذا في نفوسهم، ويسبقون به بين كل  
حين وآخر، وهم إلى الزوال والاضواء إن شاء الله: ﴿وَاللَّهُ غَدَّتْ عَلَى أَمْرِهِ وَالْكَثْرَ  
نَأْسٍ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة: 11).

## أشهر كتب التصنيف بالبريد والدراسة ، وإعداد

مع تعريف موجز لكل أصحاحها

## أشهر كتب التصنيف بالانجليزية

الترتيب	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الطباعة	الطبعة
١	جامع البيان في فقهية القرآن	محمد بن حبيب الطبري	١٠٠٠ هـ	عشر طبعات
٢	شرح العلوم	عبد بن محمد السمرقاني	٣٧٢ هـ	نسخة أصيلة
٣	مكتشف ونبأ	أحمد بن راجح التميمي السمرقاني	٤٠٠ هـ	نسخة أصيلة
٤	معالم السمرقاني	الحسين بن محمد السمرقاني	٥١٠ هـ	نسخة أصيلة
٥	شرح لميرزا محمد الحكيم في فقه	محمد بن علي بن علي الأندلسي	٥٢٦ هـ	نسخة أصيلة
٦	نسخة القرآن العظيم	إسماعيل بن محمد السمرقاني	٧٧٢ هـ	نسخة أصيلة
٧	شرح القرآن في الفقه والدراسة	عبد الرحمن بن محمد السمرقاني	١١٢٠ هـ	نسخة أصيلة
٨	الدراسة في الفقه والدراسة	الحسين بن محمد السمرقاني	١١٠٠ هـ	نسخة أصيلة

## التعريف بكتب التفسير بالمأثور

### ١- تفسير ابن جرير:

مؤلفه: هو ابن جرير الطبري، وكتبه "أبو جعفر" ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ، وكتابه من أهل التفاسير بالمأثور، وأصحها وأجمعها لأقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. ويحتوي المرجع الأول للمفسرين، قال المنذري رحمته:  
 "كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله".

### مزايا هذا التفسير:

- ١- اعتماده على المأثور من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين رضي الله عنهم.
  - ٢- عرضه للأسانيد وللأقوال الفرعية، وترجيحه للروايات.
  - ٣- إحصائه بالناسخ والنسخ من الآيات، ومعرفة طرق الرواية: صحيحها وسقيمها.
  - ٤- ذكره لوجوه الإعراب، واستنباط الأحكام الشرعية من الآيات الكريمة.
- وأخيراً فهو كتاب عظيم جليل، حافل بالروائع إلا أنه يذكر أحياناً أخباراً بأسانيد غير صحيحة، ثم لا يثبت على عدم صحتها، كما أنه يسوق بعض أخبار هي من "الروايات الإسرائيلية"، وتفسيره مطبوع منتشر في الأقطار، وهو عمدة لأكثر المفسرين.

### ٢- تفسير السمرقندي:

مؤلفه: نصر بن محمد السمرقندي، وكتبه "أبو الليث" توفي سنة ٢٧٢هـ، وكتابه يسمى: "بحر العلوم"، وهو تفسير بالمأثور، يذكر فيه كثيراً من أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. غير أنه لا يذكر الأسانيد، وهو مخطوط في مجلدين، وتوجد نسخة منه في مكتبة الأزهر.

### ٣- تفسير الثعلبي:

مؤلف هذا التفسير: هو أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، الملقب بالفسر، كنيته "أبو إسحاق"، وقد توفي سنة ٤٢٧هـ، أما ولادته فيست معرفة على وجه الضبط، وكتابه يسمى "الكشف والبيان عن تفسير القرآن".

يسر القرآن بما ورد عن السلف مع احتضاره للأسانيد اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب، ويتوسع في الأحكام النحوية والفقهية، وهو موزع بالتخصص والأخبار، ولهذا فإننا نجد في تفسيره "قصصاً إسرائيلية" غريبة في العجاجة، بل منها ما هو باطل قطعاً.

يقول ابن تيمية عنه: "الثعلبي في نفسه فيه خير ودين، ولكنه حاطب ليل"<sup>(١)</sup>. وتفسيره مخطوط غير كامل ينتهي إلى آخر سورة الفرقان، وهو موجود بمكتبة الأزهر، وبمبنى الكتاب مفقود.

### ٤- تفسير البهري:

مؤلف هذا التفسير: هو الحسين بن مسعود الفراء البهري، الفقيه، المتفكر المحدث الملقب بـ"عبي الله"، كنيته "أبو محمد"، توفي سنة ٥١٠هـ بعد أن جاوز الثمانين من العمر، وكان إماماً حليلاً، ورعاً زاهداً، جامعاً بين العلم والعمل، وقد عدّه الحسكي من أعلام علماء الشيعة.

وقال ابن تيمية في مفتته في أصول التفسير: "والبهري في تفسيره مختصر من الثعلبي، ولكنه صان تفسيره عن الأحاديث للوضوغة، والآراء لبتدعة"<sup>(٢)</sup>.

وقد طبع هذا التفسير مع تفسير ابن كثير. كما طبع مع تفسير الخازن، وتفسيره هذا فيه بعض "التقصص الإسرائيلية"، ولكنه في جمته أحسن وأسلم من كثير من كتب التفسير بالناظر.

<sup>(١)</sup> أصول التفسير لابن تيمية ص: ١٩١.

<sup>(٢)</sup> المربع الثاني ص: ١٩٠.

## ٥ - تفسير ابن عطية:

مؤلف هذا التفسير: هو عبد الحق بن غالب بن عطية، الأندلسي، المغربي، انطراطي، وكنته "أبو محمد"، ولد سنة ٤٨١هـ، وتوفي سنة ٥٤٦هـ.

كان ثوبيا لغويا، أدبيا شاعرا على غلبة من الذكاء والذكاء، وقد تولى القضاء بالأندلس في العصور الذهبية للإسلام، وتفسيره يسمى "المحرر المحجز في تفسير الكتاب العزيز"، وقد جمع فيه مؤلفه الأقوال التي ذكرها علماء التفسير بالأنثور، وتوكل ما هو أقرب إلى الصحة منها.

وإن تسمية في فتاواه بمقارنة بين تفسير ابن عطية، وتفسير الزمخشري، فيقول: "وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلا ونحوا وأبعد عن البدع: وإن اشتهر على بعضهما، بن هو خير منه بكثير، بل لعله أوجح منه التفسير".<sup>(١)</sup>

وهذا الكتاب على شهرته الواسعة، ومزايده الفريدة، لا يزال مخطوطا إلى اليوم، وهو يقع في عشر مجلدات كبار، وأصله قد يوفى من يخرج لما هذا الكتاب الثمين. ويطبعة ليجمع به نفعه.

## ٦ - تفسير ابن كثير:

مؤلف هذا التفسير هو الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي الدمشقي، كنيته "أبو القداء"، ولد سنة ٧٠٠هـ، وتوفي سنة ٧٧٤هـ.

كان ابن كثير عكبا جبارا شامخا، وغرا ذاهرا في جميع العلوم، وخاصة في التاريخ والحديث والتفسير، وكان إماما جبارا، منفصا في أسلوب الكتابة وأتيليف، قال الذهبي عنه:

"الإمام سامي، الخليل السارح، فقيه متقن، محدث متقن، مفسر نقال، وله تصانيف مفيدة".  
وتفسيره هذا يسمى "تفسير القرآن العظيم" وهو من أشهر ما ذكر في التفسير بالأنثور، ويظهر الكتاب الشارح بعد كتاب الطبري، اعني فيه مؤلفه بالرواية عن مفسري السلف، مروى

الأحاديث والآثار مسنده إلى أصحابها، وتكلم عن بعضها بالجرح والتعديل، ورد ما كان منها منكراً، أو غير صحيح، وهكذا يفسر تفسيره من أحسن ما كتب في التفسير بالأنوار.

وطريقته في التفسير أنه يذكر الآيات ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، ورأيها ما يشهد من آيات أخرى، ويخار بين هذه الآيات حتى يبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير، الذي يسمونه "تفسير لقرآن بالقرآن".

وأنا أفضل طرعا مما جاء في مقدمة تفسيره، يقول - طاب الله تراه - :

«إن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك، فعليك بالشئ وإنما شارحة للقرآن وموصحة له، بل قد قال الإمام الشافعي رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿يُرْسِلْنَا نَزْلًا وَإِلَيْكَ الْكِتَابَ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أُرْسِلْنَا﴾»

وقال رحمه الله: «لا رأي أوثق من القرآن ومثله معه»<sup>(١)</sup>.

وما يمتاز به ابن كثير أنه يبيّن إلى ما في التفسير بالأنوار من صكرت الإسرائيليات ويحذف منها، وعلى الجملة: فعلم ابن كثير يحلّي بوصح لمن يقرأ تفسيره وناريخه، وهما من خير ما ألف، ومن أفضل ما كتب، وتفسيره هذا من أصح التفاسير بالأنوار، وإن لم يكن أصحها جميعا.

#### ٧ - تفسير الجواهر:

مؤلف هذا التفسير: هو الإمام اجليل عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالقي، الجزائري المغربي، المتوفى سنة ٨٧٦هـ: وتفسيره هذا من التفسير بالأنوار، نقل فيه أقوال السلف الصالح، ومير بين الصديق والضعيف، وتفسيره هذا مطبوع.

<sup>(١)</sup> "تفسير من فكر" ٢/١.

## ٨- تفسير السبوطي:

مؤلف هذا التفسير: الإمام الحجة الثقة جلال الدين السبوطي، صاحب المؤلفات الشهيرة، المولود سنة ٨٤٩هـ، المتوفى سنة ٩١١هـ، وتفسيره هو المسمى "الدر المنثور في التفسير بالقرآن" قال في مقدمته: إنه لخصه من كتاب ترجمان القرآن، وهو التفسير المستد إلى رسول الله ﷺ، وهو مطبوع بمصر. وقد ذكر في كتابه الإتيان: أنه شرع في تفسير جامع لما يحتاج إليه من التفسير المنقولة، والأقوال المعقولة، والاستنباط، والإشارات، والأعراب، واللغات، وكتب البلاغة، ومحاسن اليدبع، وسماه "مجمع البحرين"، ومطلع البدرين، وهو غير هذا التفسير المسمى بالدر، وقد أحصيت مؤلفاته، فبلغت قريباً من خمس مائة، رحمه الله تعالى على ما قدم في سبيل خدمة العلم والدين.

• • • • •



## مشاهير كتب التفسير بالدراية

## أشهر كتب التفسير بالدراية "بالرأي"

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	تاريخ الرواية	الشهر
١	مفاتيح الحب	محمد بن عمر بن الحبيب الرززي	٦٠٠هـ	تفسير الرززي
٢	تأويل التنزيل وأسرار التأويل	عبد الله بن عمر البصراوي	٦٨٥هـ	تفسير البصراوي
٣	كتاب التأويل في معاني التنزيل	عبد الله بن محمد المعروف بالخازن	٧٦٦هـ	تفسير الخازن
٤	معارك التنزيل ومقاتل التأويل	عبد الله بن أحمد السبكي	٧٠١هـ	تفسير السبكي
٥	غرائب القرآن ورغائب الفرقان	عظام الدين الحسن بن محمد انيسابوري	٧٦٨هـ	تفسير انيسابوري
٦	إرشاد الفقهاء للسبب	محمد بن محمد بن مصطفى الطحطاوي	٩٥١هـ	تفسير أبي السعيد
٧	البحر المحيط	محمد بن يوسف بن حياض الأتلمسي	٧٤٥هـ	تفسير أبي حيان
٨	روح المعاني	شهاب الدين محمد الأنصاري البغدادي	١٢٧٠هـ	تفسير الأنصاري
٩	السراج المنير	محمد بن شريك الخطيب	٩٧٧هـ	تفسير الخطيب
١٠	تفسير الجلالين	أ - جلال الدين السيوطي ب - جلال الدين السيوطي	٨٦١هـ ٩١١هـ	تفسير الجلالين

## تعريف نكتب التفسير بالرأي

## ١- تفسير الفخر الرازي:

مؤلف هذا التفسير هو العلامة شيخ محمد بن عمر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وتفسيره يسمى "مفاتيح الغيب"، وقد ملك في تفسيره مملكة الحكماء الإلهيين، فصاح أدله في مباحث الإلهيات، ورد على المعتزلة والفرق الفسالة بالمجوع للباطنة، والرازيين ثقافته، وتعرض شبهات المذكرين واجادلهم بالنقص والتفصيل، وتفسيره من أوسع التفسير في موضوع علم الكلام، كما أنه في العلوم الطبيعية والكوبية بام حلين، فقد تكلم من الأدلة والأبراج، وعن أسماء والأرض، والحيوان والنبات، وفي أجزاء الإنسان بشكل واسع، وعرض نصرة حق، وإقامة التواجد على وجود الله عز وجل، وإرد على أهل الترفيع والصلال.

## ٢- تفسير البيضاوي:

مؤلف هذا التفسير هو العالم الحليل الشيخ عبد الله البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٥هـ، وتفسيره يسمى "أنوار التنزيل"، وهو كتاب حليل دقيق، جامع بين الرواية والدراسة، وهو يقرر الأدلة على مذهب أهل السنة، وهو حجة ثب، وقد انرم أن يختم كل سورة بما روي في فصلها من الأحاديث غير أنه لم يبحر التصحيح، وله حواش عديدة أشهرها حاشية أشباه المفسحي، وحاشية سعدني أهدي.

## ٣- تفسير الخازن:

مؤلف هذا التفسير الإمام عبد الله بن محمد، المشهور بالخازن، متوفى سنة ٧٤١هـ، وتفسيره يسمى "كتاب التأويل في معاني التنزيل"، وهو تفسير مشهور - يعني بالمأثور - يبه أنه لا يذكر السند، وعبارته سهلة لا تحفيد فيها ولا عموض، وله وثق بالتوسيع في روايات واقف بعض

وقد يذكر في تفسيره بعض الروايات الإسرائيلية؛ لينبئ على ما فيها من دطل، فيسبق القصة الطويلة. ثم يحكم عليها بالضعف أو الكذب، ولكنه في بعض الأحيان يسكت عنها، حتى يظن القارئ أن هذه الرواية صحيحة، وبالجملة فتفسره حسن رائع، لولا كثرة ما فيه من قصص وروايات لا يحسن ذكرها؛ لكونها ضعيفة أو مكذوبة.

#### ٤ - تفسير التفسيري:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ العالم الزاهد عبد الله بن أحمد التفسيري، اثنون سنة ٧٠١هـ، وتفسيره يسمى "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، وهو تفسير حليل، متداول مشهور، سهل ودقيق، يعتبر بالنسبة لبقية التفاسير بالرأي لوجز تفسيره وأوسطه، قال فيه صاحب كشف الظنون: "هو كتاب وسط في التأويلات، جامع لوجوه الإعراب والفراءات، متضمن لدقائق علم اليدع والإشارات، مرشح لأقوال أهل السنة والجماعة، خالي من أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل ثمل، ولا بالقصير المخل".

#### ٥ - تفسير التيسابوري:

مؤلف هذا التفسير: هو الشيخ نظام الدين الحسن محمد التيسابوري، اثنون ٧٢٨هـ، وتفسيره يسمى "غرائب القرآن ورجائب الفرقان"، ويمتاز هذا التفسير بسهولة عبارته وبحقيق ألفاظه مع خنوه من الحشو والتعبد، وقد عُني بأمرين يلتزمهما: الكلام على القراءات، والكلام على تفسير الإشاري، وهو مطبوع طعة شهيرة على هامش تفسير ابن جرير، وهم مختصر لتفسير التفسير الرزقي مع تقديم كبير.

#### ٦ - تفسير أبي السعود:

مؤلف هذا التفسير لعالم القفري، الحجة الفليلع، الفاضل محمد بن محمد بن مصطفى الطحاري، المشهور بأبي السعود، اثنون سنة ٩٥٢هـ، وتفسيره هذا يعتبر من أحسن التفاسير وأجمعها؛

لأنه غاية في حسن التصريح، وجمال التعبير، كسلف فيه غير أسرار البلاغة لغزائية، والحكم لمداينة، بسهولة، حسن تهيؤ، وبروزها سلامة تفكيره، وبروزها ما أخذ منه به من فحمة بلاغة الشرق، والعلامة في بيان إيجازها مع سلامة في التدقيق، والحفاظ على عقائد أهل السنة، وبعد عن احتشوب والتطويل، وتفسيره دقيق يحتاج فهمه الخاصة من أهل العلم.

#### ٧- تفسير أبي حيان:

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ، ومسيره يسمى البحر المحيط، وهو في ذاتي ملاحظات شخصية، وقد جمع المؤلف فيه فريد لغو من لغو، وصرف، وبلاغة، وأحكام فقهية إلى غير ما هنالك، ويعتبر هذا التفسير مرجعاً هاماً من مراجع التفسير، وعبارته سهلة، ليس فيها تعقيد، أو غموض. ومنه "البحر المحيط"، ذكره ما فيه من علوم موسوعة تنعم بإداة التفسير.

#### ٨- تفسير الأمام مكي:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام الأمام المكي شيخنا العلامة محمد بن عبد الواسع الأوسى المتوفى سنة ١١٧٠ هـ مكي بغداد، حجة الأدباء، وقادة العلماء، ومرجع أهل الفضل والعرفان. كان رحمه الله على حسب عظيم من الفهم والعبد وسعة الإطلاع، وكثرة التسمي روح المعاني جامع لأراء السلف روية ودراسة مشتمل على أقوال أهل العلم جامع لخلاصة ما سبق من التفسير، وهو شديد الثقة بمراديات الإسمائية. يعني بالتفسير الإشاري، ومع حوء البلاغة والبيان، ويعتبر تفسيره من غير المراجع في علم التفسير بالرواية والدراسة والإشارة.

## أشهر تفاسير آيات الأحكام

الترقيم	اسم الكتاب والمذهب	المؤلف	تاريخ المؤلف	المشهور
١	أحكام القرآن (مطهر)	أحمد بن أبي الفوارس	٣٧٠هـ	نفسه المختصر
٢	أحكام القرآن (شافعي)	علي بن محمد الطبري الكندي القزويني	٥٠٤هـ	أخبار الكندي القزويني
٣	الإيضاح في مسائل الدين الشافعي	جلال الدين سيوطي	٩٠٠هـ	نفسه الشافعي
٤	أحكام القرآن (مالكي)	محمد بن عبد الله الأندلسي	٥٤٢هـ	أخبار ابن العربي
٥	الجامع لأحكام القرآن (مالكي)	محمد بن أحمد بن روح القرطبي	٦٧١هـ	نفسه القرطبي
٦	حكم القرآن (شافعي)	مقداد بن عبد الله السيوري	٨٧٠هـ	الطبع طبري
٧	أحكام القرآن (شافعي)	يوسف بن أحمد اللواتي	٨٣٢هـ	نفسه اللواتي

## أشهر كتب التفسير الإشاري

الترقيم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	المشهور
١	أخبار القرآن الكريم	سجل بن عبد الله الغصيري	نفسه الغصيري
٢	حقائق التفسير	أبو عبد الرحمن الحنفي	نفسه الحنفي
٣	التكتم في بيان	أحمد بن إبراهيم السجستاني	أخبار ابن أبي
٤	— في محراب	محمد بن علي بن عربي	أخبار ابن عربي
٥	راج الحنفي	شهاب الدين محمد الأقبلي	نفسه الأقبلي

## أشهر تفاسير المعتزلة والشيعة

الرقم	اسم الكتاب والمؤلف	اسم المؤلف	تاريخ الوفاة	الشجعة
١	تزيه القرآن عن الطاعين (معتزلي)	عبد الجبار بن أحمد نعماني	١١٥هـ	تفسير نعماني
٢	أمان الله الشريف المرتضى (معتزلي)	علي بن أحمد الحسين	٤٣٠هـ	تفسير المرتضى
٣	الكشاف (معتزلي)	محمود بن عم الزعفراني	٥٣٨هـ	تفسير الزعفراني
٤	مرآة الأنوار ومنكحة الأسرار	عبد العظيم نكازاني	عمر معروف	تفسير المنكحة
(شيعي)				
٥	تفسير العسكري (شيعي)	أحمد بن علي الهادي	٢٦٠هـ	تفسير العسكري
٦	مجمع البيان (شيعي)	الفضل بن الحسن الطبرسي	٥٣٨هـ	تفسير الطبرسي
٧	المصابي في تفسير القرآن (شيعي)	محمد بن الشاه مرتضى النكاشي	١٠٩٠هـ	تفسير النكاشي
٨	تفسير القرآن (شيعي)	سيد الله بن محمد الطوسي	١٢٤٢هـ	تفسير الطوسي
٩	بيان المعادة (شيعي)	سعد الله محمد بن جابر الخراساني	١٣٩٥هـ	تفسير الخراساني

## أشهر كتب التفسير في العصر الحديث

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الشهرة
١	تفسير الميزان الكريم	محمد رشيد رضا	تفسير القرآن
٢	تفسير المرقئي	أحمد مصطفى المرقئي	تفسير المرقئي
٣	محاسن التأويل	جمال الدين القاسمي	تفسير القاسمي
٤	في ظلال القرآن	الشيخ سيد قطب	تفسير الظلال
٥	التفسير فواضح	محمد محمود الحجازي	التفسير الواضح
٦	تفسير الجواهر	عطاءولي جوهرى	تفسير الجوهرى
٧	نبر التفسير	الشيخ عبد الجليل عيسى	تفسير عيسى
٨	المصحف المفسر	محمد فريد وحدي	تفسير وحدي
٩	المبينة والعرفان	أبو زيد الدنهورى	تفسير الدنهورى
١٠	صفوة البيان	حسن بن مخلوف	تفسير مخلوف
١١	فتح البيان	صديق حسن خان	تفسير حسن خان

وهناك تفسائر أخرى غير هذه التفسائر السابقة، لم نذكرها خشية التطويل، والله الموفق،  
والهادي إلى سواء السبيل.

## الفصل الثامن:

## المفسرون من التابعين

إذا ذكر المفسرون من التابعين، فإنهم يعتبرون كثرة كثرة، ويعدون في العدد أكثر من أصحابه. ذلك؛ لأن الذين شتهروا بالتفسير من الصحابة لا يزيدون على عشرة - كما ذكر ذلك البيهقي في كتابه الإنفاد -، وقد تقدم معنا أسماءهم، وذكرنا بيضة عن ترجمة مشاهيرهم. أما التابعون فقد كثر فيهم المفسرون، واشتهروا شهرة واسعة، وبيع فيهم رجال أفاضوا، وعناية كبيرة بتفسير كتاب الله تعالى، وعينهم نقل المفسرون معظم لأربابهم، وقد انقسموا إلى طيقات ثلاث:

١- طبقة أهل مكة.

٢- طبقة أهل المدينة.

٣- طبقة أهل العراق.

## ١- أما الطبقة الأولى:

وهي طبقة أهل مكة، فقد أخذوا علومهم من شيخ المفسرين ورجل القرآن سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنه، وقد نقل البيهقي عن ابن تيمية رحمه الله أنه قال: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

وقد اشتهر فيهم عدد كبير، وظهر فيهم رجال أفاضوا على رأسهم: مجاهد وعطاء، وعكرمة، وطاوس، وسعيد بن جبر، وسعدي بن جبر، ورجل موهبة حياة هؤلاء العلماء الأعلام:

مجاهد بن جبر:

أما مجاهد: فقد ولد سنة ٢١. ونوفى سنة ١٠٣ هجرية. وهو: محمد بن جبر، وكنيته أبو الخجاج



المكي: كان من أشهر العلماء في التفسير، قال عنه الذهبي: "شيخ الفراء والمفسرين بلا مراء، أخذ التفسير عن ابن عباس"<sup>(١)</sup>.

وكان من أخص تلامذته، ومن أوثق من روى عنه، ولهذا يعتمد البخاري كثيراً على تفسيره، كما يعتمد كثير من المفسرين على روايته، تنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة، وكان لا يسمع بالمعجوبة إلا ذهب، فنظر إليها.

تلقى مجاهد تفسير كتاب الله عن شيخه الجليل ابن عباس، وقرأه عليه قراءة تفهم وتدير ووقوف عند كل آية من آيات القرآن، يسأله عن معناها، ويستفسره عن أسرارها، روى الفضيل بن ميمون عن مجاهد أنه قال:

"عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أوقف عند كل آية منه أسأله عنها: فم أنزلت؟ وكيف أنزلت؟".

وهذا العرض من مجاهد يك على شيعته الجليل، إنما كان طلباً لتفسيره، ومعرفة أسرارهِ ودقائقهِ، وتفهم حكمهِ وأحكامهِ، ولهذا قال الإمام النووي رحمه:

"إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به" أي يكفي هذا التفسير، ويعني عن غيره من التفاسير إذا كان راويه الإمام مجاهد.

### عطاء بن أبي رباح:

وأما عطاء بن أبي رباح: فقد ولد سنة ٢٧ هجرية، وتوفي سنة ١١٤ هجرية، نشأ بمكة، وكان مفتي أهلها وعندهم وهو تابعي من أجلة الفقهاء، وكان ثباته في الرواية عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، قال عنه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان: "ما لقيت أحداً أفضل من عطاء بن أبي رباح"، وقال قتادة: أعلم التابعين أربعة عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالناسك، وسعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير... الخ.

<sup>(١)</sup> انظر الأعلام: ١٦١/٦.

<sup>(٢)</sup> الأعلام للمزكزي: ٢٩/٥.

توفي رحمه الله، ودفن فيها عن سبع وأربعين (٨٧) سنة.

### عكرمة مولى ابن عباس:

وَمَّا عَكَرْمَةُ: فَقَدْ وَلَدَتْ سَنَةَ ٢٥ هَجْرِيَّةً، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٥ هَجْرِيَّةً.

قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله: ما بقي أحد أعلم بكذب الله من عكرمة، وهو مولى ابن عباس رحمه الله، تلقى عنه علي ابن عباس، وأخذ عنه القرآن والسنة، وكان رحمه الله يقول: لقد فسرت ما بين المرحومين<sup>(١)</sup> لكل شيء أحدثكم في القرآن، فهو عن ابن عباس جاء في تعريفه في كتاب: "الأعلام" ما يلي:

"عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي: حذف ابتداف، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعي، وخرج إلى بلاد المغرب، فاعتمد على أهلها، ثم عاد إلى المدينة المنورة، فطلبه أميرها، فتمسك به حتى مات، وكانت وفاته بالمدينة هو، والشاعر المشهور "كثير عزة" في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس، وأشعر الناس"<sup>(٢)</sup>.

### طاوس بن كيسان البصري:

وَمَّا طَاوُسُ: فَقَدْ وَلَدَ سَنَةَ ٣٣ هَجْرِيَّةً، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٩٠ هَجْرِيَّةً، وَهُوَ "طَاوُسُ بْنُ كَيْسَانَ الْبَصْرِيُّ" اشتهر بتفسير كتاب الله تعالى، وكان آية في الحفظ والتبوع والذكاء، وآية في الورع والتقشف والصلاح، أدرك من الصحابة نحو خمسين صحابياً، وتلقى العلم عنه خلق كثير، وقد كان عبداً زاهداً، ورد أنه حج بيت الله الحرام أربعين مرة، وكان مستجاب الدعوة، قال فيه ابن عباس رحمه الله: إني لأظن طاوساً من أهل الجنة.

<sup>(١)</sup> يزيد باللوحين. ما بين دفني المصعب.

<sup>(٢)</sup> الأعلام للزركلي: ٤٧٥.

جاء في تعريفه في كتاب "الأعلام" ما يلي:

"طائوس بن كيسان الخولاني الحمدي أبو عبد الرحمن، من أكابر التابعين تفقها في الدين، ورواية للحديث، وتفتشا في الحش، وحرأة على وعظ الخلفاء والملوك؛ أصله من النمر، ومولده ومنشؤه بالبصرة، توفي حاجا بالمزلفة، وكان هشام بن عبد الملك" حاجا تلك السنة، فصلى عليه، وكان يأوي للقرب من الملوك والأمراء، قال ابن عيينة: متعبو السلطان ثلاثة: أبو ذر، وطائوس، والثوري".<sup>(١)</sup>

سعيد بن جبير:

وأما سعيد بن جبير: فقد ولد سنة ٤٥ هجرية، وتوفي سنة ٩٤ هجرية، وهو من أكابر التابعين علما وورعا، وقد اشتهر بتفسير كتاب الله عز وجل، وكان صوفا شامحا، وعلمنا لامعا، تناقل علمه أرحال، وسرت بذكره الركبان،

وقد قال سفيان الثوري: أخذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير، وبجاهد، وعكرمة، والضحاك. وقال قتادة: كان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير.<sup>(٢)</sup>

كان آية في الحفظ، يحفظ ما يسمع، وقد شهد له ابن عباس بالحفظ حتى قال له: "أنظر كيف تحدث عني، فإنك قد حفظت عني حديثا كثيرا". وكان ابن عباس بعد أن فقد بصره إذا أتاه أهل الكوفة يسألونه قال: تسألوني، وفيكم ابن أم وهما، يعني - سعيد بن جبير - يفتي.

وقد كان عابدا زاهدا، يحتم القرآن في كل ليالتين، وقد قرأ ذات مرة القرآن كله في ركعة واحدة في الكعبة.

وجاء في ترجمته في "الأعلام" ما يلي: "سعيد بن جبير، الأسدي الكوفي، أبو عبد الله، تابعي، كان أعلمهم عنى الإطلاقي، وهو حششي الأصل، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر،

١١ الأعلام: ٣/٢٢٢

١٢ الإفراد: ١٨٩. "أي: أرى الطحاج أن يتركه يصلي متحيا إلى قبلة المسلمين.

ولما خرج عبدالرحمن بن الأشعث عنى عبدالملك بن مروان، كان سعيد بن جبير معه، فلما قتل عبدالرحمن ذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه وألبها "عالم القسري"، وأرسله إلى الخجاج مقلته، وكان الخجاج يخاطبه "بشقي" بن كسير<sup>١</sup> بدل سعيد بن جبير، قال أحمد بن حنبل: "قتل الخجاج سعيداً، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى عظمه".

وروي أن الخجاج لما أراد قتله أمر الجلود أن ينطلق به، فيضرب عنقه، فقال له سعيد: دعني أصلي ركعتين، قال الخجاج ماذا يقول؟ قال: يريد الصلاة، فأبى إلا أن يصلي إلى المشرق<sup>٢</sup> - فبة الصاري - ثم أمر أن تضرب عنقه، ووجهه موجه إلى غير القبلة، فأداروا وجهه، فقال سعيد عندئذ: ﴿فَأَنبَتْنَا نُوُؤًا فَفُتْمٌ وَحَنَّةٌ﴾ (مريم: ١٠٥)، ثم ضربت عنقه وهو يردد: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ودعيت نفسه أثربة الظاهرة إلى رها تشكو إليه ظلم الخجاج، وحاد بأنفاس في سبيل عقيدته ودينه، رحمه الله وأسكنه جنة<sup>٣</sup>.

## ٢- طبقة أهل المدينة:

وقد اشتهر منهم عدد، على رأسهم: "محمد بن كعب القرظي"، وأبو العافية الرباعي، وزيد بن أسلم<sup>٤</sup>.

ونحن نتحدث عن هؤلاء الثلاثة الذين اشتهروا بالمفسر من أهل المدينة المنورة، والذين كان لهم أثر عظيم في نقل علوم الصحابة، سواء كان ذلك في العقيدة، أو الحديث، أو التفسير، وإن كان هناك غيرهم ممن اشتهروا من التابعين، ولكن شهرة هؤلاء كانت أوسع، وأثرهم كان أظهر.

محمد بن كعب القرظي:

جاء في "مذهب المذهب" للعسقلاني في ترجمته ما يلي:

"هو محمد بن كعب القرظي، أبو حمزة المسلمي من حلفاء الأوس، سكن الكوفة، ثم المدينة،

<sup>١</sup> انظر طبقات الكوفي لأبي سعد: ١/٢٧٦.

روى عن جمع صغير من الصحابة وخاصة عن علي بن أبي طالب، وسئل الله بن مسعود رضي الله عنه قال ابن سعد: كان ثقة عالمًا كثير الحديث، ورعا صالحًا قال عون بن عبد الله: ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن منه، وبذكر شذاري في سبب تسميته بمأخرظي أن أنه كان ممن لم يثبت يوم فريضة هزرك، وذلك أن النبي ﷺ قتل أرحامًا من بني قريظة حينما خانوا العهد، وعدوا بالرسول، فأمر بقتل مائة منهم، وترك الأهل والنساء. وقد كان من أفاضل أهل المدينة علما وفقها، وكان يحدث في المساجد، فسقط عليه النصف وعلى أصحابه، فمات تحت الحدم، وكان ذلك سنة (١١٧) هجرية رضي الله عنه.

### أبو الحالبية الرباحي:

اسمه ربيع بن مهران، وكنيته أبو الحالبية وهو مولى امرأة من بني رباح، وهو تابعي ثقة من أهل البصرة، اشتهر بالفقه والتفسير، رأى ثياب بكر، وقرأ القرآن على أبي بن كعب وغيره، وسمع من عمر، وابن مسعود، وعيسى، وعائشة، وغيرهم رضي الله عنه روي عنه أنه قال: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم عشر سنين. وكان منذ حدثه منه رابعا في العلم، مكث على صلبه حتى تيج فيه وفاة الأئمة، وخاصة في التفسير، وقد كان من علماء العلم برفع علمي سريره وفريش أسفل منه ويقول: هكذا العلم يزيد اشريف شرفا، ويجس لمعلوك عني الأميرة، مات سنة ٩٣ هجرية عن عمر يناهز الثمانين، رضي الله عنه.

### زيد بن أسلم:

هو زيد بن أسلم البغدادي العمري، يكنى أبا أسامة، وهو فقيه محدث من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبدالعزيز أيام خلافة، واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق

مستباً في أمر، وكان ثقة كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي، واه كذب في "التفسير" رواه عنه ولده "عبد الرحمن"، وقد كان رجلاً مهيّباً.

قال ابن محلان: "ما هبت أحدٌ قط هبتي يزيد بن أسد".

وحدث ذات يوم بحديث ولم يسنده، فسأله رجل يا أبا أسعد! عمن هذا؟ فقال: يا ابن أخي! ما كنت بأناشئ أسندها.

وكان له حلقة كبيرة في المسجد النبوي الشريف، وكان علي بن الحسين يجلس إليه، فيجتمع له ويترك مجلس قومه، فبقي له في ذلك؛ ترك مجلس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب - حيث كان مولى لعمر - فقال عبي: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، توفي بحد باندنية المورة سنة ١٣٦ هجرية.<sup>(١)</sup>

### ٣- طبقة أهل العراق:

وقد اشتهر منهم عدده وعلى رأسهم: الحسن البصري، وسروك بن الأجدع، وقادة بن دعامة، وعطاء بن أبي مسلم الحراساني، ومرة المهداني.

وحس تحدث عن ترجمة هؤلاء الأعلام مشي من الإنجاز، فنقول: ومن الله نستمد تعاون.

#### الحسن البصري:

هو الحسن بن يسار البصري، إمام أهل البصرة، وحر الأمة في زمانه، يكنى: أبا سعيد، وهو أحد العلماء، والفصحاء، والشجعان، وأشك، ولد باندنية المورة، ونسب في كنف<sup>(٢)</sup> علي ابن أبي طالب، واستكته الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، فسكن البصرة، وعضمت هيبته في القلوب، فكان يدخل على الولاة، فأمره وينهاهم، لا يخاف في الحق قومة لائم، رأى مائة وعشرين صحابياً، وكان من أقصاح أهل البصرة، وأعيدهم، وأقبحهم.

<sup>(١)</sup> بحكمة الحفاظ للذهبي. ٦٦/١.

<sup>(٢)</sup> الكنف: حاد، المشي، الظن، جمع أكفاف، يقال: كنفت في كنفه أي أحاط به.

قال الفرغاني: كان الحسن البصري أشبه الناس بكلام الأنبياء، وأقرهم هدياً من الصحابة، وكان في غاية من الفصاحة، تصيب الحكمة من فيه.

قال أيوب: ما رأيت عيناى رجلاً قط كان أفقه من الحسن البصري، كان يعني<sup>(١)</sup> الحكمة، ويطلق بها، وكان إذا وعظ، أبكى الحاضرين كأنما كان في الآخرة، ثم جاء منها، فهو يخبر عما رأى وعاش، ولهذا فقد اشتهر بالوعظ، وكان رفيق القلب، فصيح اللسان.

وكان يحدث بالأحاديث لنوية، فإذا حدث عن علي بن أبي طالب لم يذكره خشية من بطش الحاج، قال يونس بن عبيد: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد! إنك تقول قال رسول الله وإنك لم تذكره؟ قال يا ابن أخي! لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك مني ما أنكرتك، إني في زمان كما ترى - وكان في عمل الحاج - كل شيء سمعته أقول: قال رسول الله فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً.<sup>(٢)</sup>

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الأمر، فانظر لي أعواناً يعينوني عليه، فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا، فلا تريد، وأما أبناء الآخرة، فلا يرشدونك، فاستعن بالله على أمرك.<sup>(٣)</sup>

توفي بالبصرة سنة ١١٠ هجرية، ودفن فيها راحة واسعة.

### مسروق بن الأجدع:

مسروق بن الأجدع الحمصاني، كوفي، تابعي ثقة، من أصحاب ابن مسعود الذين نقلوا لنا هدي الرسول ﷺ، وهو عابد فقيه يكنى: أبا عائشة، وقد اشتهر بالتفسير، ورواية الحديث، كان أبوه أقرس فارس باليمن، وكان حاله عمر بن معديكرب.

<sup>(١)</sup> يعني: وعياً، وعى الشيء: جمعه في الوجد، ووعى الحديث: حفظه وفهمه، ووعى الأمر: أدركه على حقيقته.

<sup>(٢)</sup> تصيب تصيب: ٢/٢٦٢.

<sup>(٣)</sup> الأعلام: ٢/٢٤٢.

وقد نولي القضاء فلم يكن يأخذ على القضاء رزقا، وكان قائما زاهدا، راضيا بما قسم الله مع أنه كان صاحب عيال، جاهدته امرته يوما فقال: يا أماه عائشة! إنه ما أصبح اليوم بعالم رزق، فبسم، ثم قال: والله ليأتينهم الله برزق، فرزقه الله رزقا واسعا. روي عنه أنه لقي سمرا ابن الخطاب رضي الله عنه، فسأله ما اسمك؟ قال: مسروق بن الأجدع، فقال له عمر: الأجدع شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمن، فكان بعد ذلك يقول: أنا مسروق بن عبد الرحمن.

قال عمي بن الدين - شيخ البخاري -: ما أقدم على مسروق من أصحاب عدل الله من مسعود أحد، صلى خلف أبي بكر، ولقي عمر وعثمان رضي الله عنهم.

شهد القادسية مع إخوته الثلاثة، فقتلوا يومئذ بالقادسية، وخرج مسروق، فسلت يده، وله طريقة لطيفة في الصبح والوعظ، خرج يوما ومعه بعض تلاميذه، فارتقوا هم على كساسة في الكوفة، فقال: ألا أرىكم الدنيا؟ هذه هي الدنيا: أكلوها فأفقرها، لبسوها فأفقرها، ركبوها فأفقرها، سبكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وفتحوا بها أرحامهم.<sup>١</sup>

سئل يوما عن بيت شعر، فقال: أكره أن أرى في صحيفتي شعرا.

فتادة بن دعام:

وأما فتادة: فهو أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد في البصرة سنة ٦١، وتوفي سنة ١١٧ هجرية، وعمره ٥٥ سنة. روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، وجمع من الصحابة رضي الله عنهم. وكان قوي الحفظ، شديد الذكاء، يروى عنه أنه قال: "ما قلت لمحدث قط: أعدل علي، وما سمعت أذناي شيئا إلا وعاه قلبي". ويروى أنه دخل على سعيد بن المسيب، فجعل يسأله أباها، وأكثر عليه من السؤال، فقال له سعيد: أكل ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم، فتعجب منه، فقال له فتادة: سألتك عن كذا، فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا، فقلت فيه كذا، حتى أورد

<sup>١</sup> القديب التهذيب: ٦/٥٦.





## مرّة الهذلي:

هو مرّة بن شراحيل الهذلي. أدرت عددا من الصحابة غير الذين، ويكنى: أبا إسحاق، وهو المعروف مرّة الطيب، ومرتة الخير. لقب بدلت لعبادته، كان عبدا ورعا، ور هذا صاحبا. قال الثعلبي: كان يصلي في اليوم والليلة خمسين ركعة، وهم تابعي ثقة، توفي سنة (٧٦) هجرية، رحمه الله رحمة واسعة، وأمكنه فبح حياته.

هؤلاء هم أعلام المفسرين من التابعين، استمدوا علومهم، وقبوا معارفهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأخذ تابعوا التابعين. ومن بعدهم من العلماء العاملين، وهكذا حفظ دين الله، وكتابه، وشرعيته، وعلومه ومعارفه، سليمة كاملة عن ضريق الشك والظن، جيلا عن جيل. مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنْزُ رَبِّنَا إِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: ٢).  
ولقد صدق الرسول نكرهم فيما نبأ عنه، وأخبر حيث قال: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدويه، يعمون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتؤويل الباطنين".

وهكذا حفظ الله كتابه بحفظ هؤلاء الرجال الأعلام، والثقات الأفاضل، الذين كرسوا جهودهم في خدمة العلم والدين، فحزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الحزاء، وأسكنهم فسيح جناته. آمين.

## تنبيه:

يلاحظ على تفسير التابعين رضي الله عنه، ودخبت إلى أقوالهم بعض الروايات الإسرائيلية، واختلط الصحيح بالضعيف، ونقل على أسانهم بعض الروايات التي لم تثبت، فبهي شبه عند نقل أقوالهم إلى الصحيح منها، وأن ترجع الإنسان إلى المراجع الموثوقة من كتب التفسير، كتحقيق من جدير وغيره من التفاسير الموثوقة.

قال السيوطي في كتابه "الإتقان" بعد أن ذكر أشهر المفسرين من التابعين ما نصه:

"فهؤلاء مدعاء المفسرين، وعلم أقوالهم تنقوها من الصحابة، ثم بعد هذه الصفة أنفت  
فناشر يجمع أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وسبعة  
من الحجاج، ويزيد بن هارون وأخري، ثم جاء بعدهم ابن جرير الطبري، وكتبه أهل  
التفسير وأعظمها".<sup>١</sup>

\*\*\*

## الفصل التاسع:

## إعجاز القرآن

العناية بدراسة القرآن العظيم:

لما يحدث في تاريخ البشرية أن أمة من الأمم اعتنت بكتاها السماوي كما اعتنت هذه الأمة المحمدية، ولم نسمع عن كتاب مقدس نال من الحفظ والرعاية، والإجلال والإكبار، كما نال هذا الكتاب المجيد، معجزة "محمد" الخالدة، وحقته الباقية، ودعوتة إلى الناس أجمعين.

ولا عجب أن ينال القرآن العظيم هذه المسرة الرقيقة، ويختل من نفوس المسلمين تلك المكانة الجليلة، ذلك لأن الأحداث التي راقت نزول هذا الكتاب المقدس، تجعله نبؤاً مكان الصدارة بين جميع الكتب السماوية، ويفوق كل ما جاء به الأنبياء والمرسلون، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من هداية وإصلاح، ونزيرة وتعليم، وسمع وتطهير، وتقد أحسن وأبدع من قال:

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أهدى وأقوم قبلاً  
لا تذكروا الكتب شتوانف عبده طليح الصباح فأطفيء القنديلاً

القرآن معجزة "محمد" الخالدة:

وقد جرت حكمة الله الأزلية أن يزيد أياته ورسله بالمعجزات الباهرات، والدلائل الواضحات، واتحجج رسله بالدمعة التي تدش على صدفهم، وعلى قلوب أنبياء مرسلون من عند الله العزيز القدير، وقد خص الله تبارك وتعالى نبينا ﷺ بالمعجزة العظمى "القرآن الكريم". "ذلت النور الرباني، والوحي السماوي، الذي ألقاه على قلب نبيه قرأنا عربياً غير ذي عوج، يتلوه أثناء الليل وأطراف النهار، ولقد أحببنا به أحبلاً من العدم، كانت في عداد الموتى، فأحياها الله نور هذه المفسرين،

وهداهم أقوم طريق واتخذها<sup>(١)</sup> من الخصيص<sup>(٢)</sup> فجعلها خير أمة أخرجت للناس، وصديق الله حيث يقول: ﴿أَوَمَنْ كَانَ نَبِيًّا فَآخِيْنَاهُ وَحَقْلُنَا لَهُ نُورًا يَنْصِيْبُهُ فِي النَّاسِ كُنُوزٌ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَنُورٍ يَخْرُجُ مِنْهَا كَمَا يَخْرُجُ النُّورُ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ (النمل: ٢٥).

لقد أحببنا القرآن أهله، وأوحد بجمعه، وألف جيله لم يعرف له التاريخ مثيلاً، فأخرج من العرب الذين كانوا رعاء الإبل والعصاة سادة الشعوب والأمم، فملكهم الدنيا حتى حكموا أفاضل المعمورة، ولكن ذلك تفصيل هذا القرآن معجزة عظام الأنبياء والمرسلين، وفي ذلك يقول أمير الشعراء:

أخذك عيسى دعا ميتاً عظام له وأنت أحييت أجيالاً من اهدم

وبن كانت معجزة الأنبياء السابقين معجرات "حسية" تناسب مع العصر والزمان الذي بعثوا فيه، كمعجزة موسى عليه السلام حيث كانت اليد، والعصا؛ لأنه بُعث في زمنٍ كثر فيه السحر، واشتهر فيه السحر. وكذلك معجزة عيسى عليه السلام حيث كانت إحياء الموتي، وإبراء الأكمه<sup>(٣)</sup> والأرصر، والإخبار عن بعض الغيبات؛ لأنه بُعث في عصر كثر فيه الطب والحكمة، وظهر فيه الأطفاء ليلاد عون، فأناهم عيسى بن مريم بما أدهشهم وأعجزهم من شفاء المرضى، وإحياء الموتي، وإبراء العمى، الشكها النصم

أقول: إذا كانت معجرات الأنبياء السابقين معجرات عادية حسية، فإن معجزة محمد بن عبد الله معجزة روحية عقلية، وقد حوته الله بالقرآن، معجزة العقل الباطني على الزمان؛ نوراها وهو الظلم، والبصائر، فسبحروا بضائها، ويسعدوها بالهدى. في المستقبل والحاضر، فقد ورد عن سيد المرسلين ﷺ أنه قال:

<sup>(١)</sup> المشي الشريفة يشبه المشي البشري، أسرع وأقرب، هذا مثل الجمع من الفقر ويشل الخرج من الماء.

<sup>(٢)</sup> الخصيص، من سبط من الأرض.

<sup>(٣)</sup> الأكمه: العمى، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ (النمل: ٢٥).

"ما من شيء من الأنبياء إلا أعطيت من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا" (دواء السحري).

أجل... هذا الوحي السماوي الذي ألقاه الله على قلب نبيه الأمين؛ ليكون ضياءً ورحمة للعالمين، هو معجزة الإسلام الخالدة؛ وحجته الباقية، تقوم على فم الدنيا هذه بصدى الرسول، فاعلمت بعظمة الإسلام، وخلود هذا الدين، بينما ذهبت المعجزات الحسية، ومضت مع أحداثها الزمنية، وتلاشت من الوجود بعد وفاة الأنبياء الكرام، الذين أتوا بها، فلم يعد لها وجود وبيان إلا في هذا القرآن الذي أخصر عنها؛ فكان له الفضل الأعظم عليها، سابقاً ولا حقاً، والله در القائل حيث يقول:

جاء النبيان بالآيات فأنصرفت وجئنا بكتاب غير متصرف

آياته كلها طال المدى جدد بزئنه جمال العبق والقدّم

الآيات: المراد بها المعجزات، جمع آية بمعنى المعجزة. أنصرفت: أي ذهبت بدهانهم.

قال العلامة الزرقاني: <sup>(١)</sup>

"وهنا نلفت النظر إلى أن القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة، قد كتب له الخلود، فلم يذهب بذهب الأيام، ولم يمت بموت الرسول ﷺ، بل هو قائم على فم الدنيا يحاج كل مكذب ويتحدى كل منكر، ويدعو أئمة العالم جمعاً إلى ما فيه من هداية الإسلام، وسعادة بني الإنسان، ومن هذا يظهر الفرق جلياً بين معجزات نبي الإسلام ﷺ ومعجزات إخوانه الأنبياء عليهم أركى الصلاة وأتم التسليم، فمعجزات محمد ﷺ في القرآن وحده آلاف مؤلفة، وهي متمدة بالبقاء إلى اليوم، وإلى ما بعد اليوم، حتى يرت الله الأرض ومن عليها؛ أما معجزات سائر الرسل: فمحدودة العدد، قصيرة الأمد، ذهبت بذهاب زمانهم زمانت بموتهم، ومن يطلبها الآن لا يجدها إلا في حجر كان، ولا يسلم شاهد له إلا هذا القرآن.

<sup>(١)</sup> انظر "معامل العرفان": ٢/٢٢٢.

«نبت نعمة بئله القرآن على سائر الكتب والرسول، وما صنع من الأدب ان كافة، قال تعالى: «ذُرِّيَّتًا لِّلَّذِي فِي لَهْفِكَ الرَّسُولُ يَدْعُوهُ إِلَىٰ ذِكْرِ الْمَلَكِ وَمُتَّبِعًا عَلَيْهِ...» (١٨: ١٨) وقال عز اسمه: «... مِنَ الرُّسُلِ سَاءَ أَتَرَىٰ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ أَنْ تُنَادَىٰ مِن كُلِّ أُمَّةٍ مِّن دُونِ رُسُلِهِ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا إِلَّا هُوَ يُزِيلُهُ...» (٢٨: ٢٨).

فقد لم تكن معجزة سيد الأنبياء معجزة حصيد: نفع الجسم وتمنوي على النفوس، فلم يكن عصا تنقلب حبة كدهس، موسى يمشي، أو نار تصور به دا، وسلاما كاللدار التي انقي فيها لخليل، أمية، أو ناقة تخرج من صخر اسم ولها رغاء كغافاة صاخطة، أو مريضاً يشفي، أو أعمى يبرأ كما فعل عيسى -، وإنما كانت معجزة "شفلية خالدة" لأنها خاتمة الرسالات، فهي حادثة خلود الدهر، ببقية بقاء الإنسان.

ويقول الشيخ محمد البنا ما نصه:

"وإذا كان قد جرت حواشي سماعات على يد النبي ﷺ غير القرآن، كما ورد في صحيح الترمذ، فإن النبي ﷺ لم يتحدث بها من كان الصحابي بالقرآن وحده، وبهذا كان القرآن معجزة برسول النبي نوبد رسالته، وتشرق في قلوب الذين سمعوه من المؤمنين.

ورسالة النبي ﷺ شاملة خالدة لأنها خاتمة الرسالات، فكانت الحكمة أن تبقى معجزة مع نوع رسالته، إذ كل شيء سبق، كذا يأتي رسالة تقوم بأعيانهم، ونهتج يد يأتي بعدها من الرسالات، ولم يكن من الممكن أن تكون معجزة حاتم الأبياء أمراً حسيماً يراه جماعة حين يضع، فإذا لم يوافق الرسول بالترتيب الأعلى، انقضى ذلك الأمر انقضاء، ولا يراه أحد من بعده، لأن الأمور انقضية لا تبقى مع نوع هذه الرسالة، ولا مع خلودها، لقد كان القرآن معجزة لمن جميعه، ولذلك جاء من نوع آخر غير نوع المعجرات السابقة، وقد جاء للعالم بعد أن اكتسبت اندراك البشرية، وانقضى الحكم الإسلامي؛ لأن رسالة سيدنا محمد ﷺ وافقت البشرية بعد أن أدركت رشدها، وبكامل النمو انقضى في مجموعها، فكانت معجزة تدرك "بالعقل"، ولا تحتاج

إلى أي نوع من الحرس، فهي معدن خائفة، يدرك سموها الإنسان في كل الأحيان، وهي معطرة  
بمخاض هذا العالم جميعاً.<sup>(1)</sup>

• عبيد اعجاز القرآن.

[illegible]

وإن عَجَارَ الْفُرَادِ معناه: زَيَّاتٌ عَجَزَ الْبَشَرُ - مَتَرَفُونَ وَعَشَمَعِينَ - عَنِ الْإِتْيَانِ كَمَثَلِهِ، وَلَيْسَ الْقَصْدُ مِنْ «عَجَارَ الْفُرَادِ» هُوَ تَعَجُّيزُ الْبَشَرِ لِذَاتِ التَّعَجُّيزِ، أَيْ تَعْرِيفُهُمْ بِعَجْزِهِمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمَثَلِ الْفُرَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْرُومٌ فَدَى كُلِّ عَقْلٍ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ: إِظْهَارُ أَنَّ هَذَا الْكُتَابَ حَقٌّ، وَأَنَّ الرَّسُولَ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولٌ عَمَلٌ، وَهَكَذَا سَنُفْرَضُ مَعْرَاضَ الْأَنْبِيَاءِ الْأَكْرَامِ الَّتِي يَعْمَزُ الْبَشَرُ عَنْهَا. لَيْسَ الْغَرَضُ مِنْهَا إِلَّا إِظْهَارُ حَقِّقَتِهِمْ، وَإِثْبَاتُ أَنَّ مَا جَاءَهُمْ بِهِ إِنَّمَا هُوَ بِرُوحِيٍّ مِنَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ، وَتَنْزِيلٌ مِنَ الْإِلَهِ الْغَفَّارِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَسْمَعُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ، وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْإِنْخِبَارُ وَالنَّبِيْغُ.

فالمعجرات إذا براهن من الله سبحانه إلى عباده، بصدق رسله وأنبياؤه، فكان الله تعالى - بواسطة هذه المعجزة - يقول: صدق عهدي فيما بئع عني. ولما أرسلته: ليطيعكم ذلك، وأنذيل على منصفه أن يجري على يديه خوارق العادات، مما لا يستطيع أحد منكم أن يأتي بمثله، ومما ليس بمفهوم أحد من الناس أن يجريه في مثل هذا الأمر المحجب ذلك هو معنى الإعجاز، وذلك هو مفهوم المعجزة.

مَنْ يَتَحَقَّقُ لِإِعْجَازِ؟

والإعجاز لا يتحقق إلا إن: توافرت أمور كلها معاً ولي:

١٢٤: ١٢٥



- أ- الأول: التحدي، أي: طلب الجائزة والمعجزة.  
 ب- الثاني: أن يكون الدافع إلى ردّ التحدي قائما.  
 ج- أن يكون الدافع متنفذا.

ولنوضح هذه الأمور الثلاثة ببعض الأمثلة، فنقول:

هذا القرآن العظيم 'معجزة محمد الكبرى' الذي تحدّى الله به العرب حاضرة، والمدام أجمعين، يأتي به نبي أمي. لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يدرس في مدرسة، أو يلقَ علومه في جامعة من الجامعات الكبيرة، ولم يثبت عنه أنه كان قد تلقى شيئا من العلوم والمعارف عن بعض النابغين من العلماء، أو المبرزين في صنوف الثقافة والعرفان، ولم يتصل بأحد من علماء أهل الكتاب 'اليهود والنصارى' حتى يطلع على آباء الأمم السابقين، وأخبار الأنبياء المتقدمين.

حازهم بهذا الكتاب الخيد متحديهم - وهم أئمة الفصاحة، وفرسان البلاغة - وطلب منهم معارضة القرآن بعبارة قوية، ولحقات وإحزاف، تستفز الغزوة، وتدفع إلى أليافه، وتزلّ معهم من التحدي بجميع القرآن إلى التحدي بعشر سور مثله، ثم إلى التحدي بسورة واحدة من مثله، وهم في كل هذا واجهون<sup>(١)</sup> لا يسيرون بينة شقة، وهم دعم هذا التحدي ينتقلون من عجز إلى عجز، ومن هزيمة إلى هزيمة.

أقبس في هذا أكرم شاهد وبرهان على إعجاز القرآن؟

### أسلوب القرآن في التحدي:

جاء التحدي في القرآن الكريم بصور متعددة، وأساليب متنوعة، فخر كيان العرب هرا، وتحجّهم إلى أمجاد هرا، وفي أسلوب منع أخادع يملك عليهم شعورهم، ويستحوذ على أئدّهم سحره وجمالته ورونقه.

'واجهون' من احم به وهما ووجهوا: سكت على عيط وسكت من الكلام لشده المراد، وسكت فزع.

فقد أعداهم على أن يأتوا بمثل القرآن، فعجزوا وولوا الأديار مع الله فرسان الفصاحة، وملوك  
ليبيا، فنزل معهم إلى "عشر سور" من مشه حفرات: فانقطعوا واندهروا، وعجزوا عن  
إتيان تلك السور العشر.

وَنَفَقَتْ مِنْهُمُ إِلَى مَا هُوَ أَهْلٌ وَأَيَسَرُ إِلَى الْإِتِّبَانِ عَشْرُ حُجُورَةٍ وَاحِدَةً فَقَطْ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَّا حَلِيَّةً لِيَدَارَ...، وَبِذَلِكَ مَحَلُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ الْعَجَزُ وَالْمُزَجَّجَةُ، وَنَفَقَتْ مَعِجَزَةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿وَرَأَيْتُ النَّشْرَ مِنْ رَأْسِ الْعَالَمِينَ ثُمَّ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ثُمَّ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ بِإِسْنَادٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الْبَقَرَةُ: ١٢٩-١٣٠﴾ وَصَدَقَ اللَّهُ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الْبَلَدِينَ﴾ أَمْثَلُوا وَهَدَى وَيُخْرِجَ لِلْمُتَمَلِّسِينَ ﴿(مَحَل: ١-٢)﴾.

أثروا مع الصلوات:

والله اعلم بالصواب الذي جاء في القرآن الكريم كان علمي نوعين:

۱ - اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى اَرْسَامِ

٢ - انشؤنى المأمور.

أما الأول: فقد ورد لجميع المخلوق عا فيهم العلماء، والعقوف، والعلماء، والحكاماء، وجاء لجميع البشر بدون استثناء عرغمهم، وأبعدهم، أبيضهم، وأسودهم، مؤمنهم، وكافرهم.

استمع إلى هذا التحدي الصارخ في سورة الإسراء: ﴿مَنْ لَنْ يَخْضَعِيَ الْإِنْسَانُ وَالْجِبُّ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ بَشْرًا هَذَا الْقُرْآنُ لَا يَأْتُونَ بَشِيرًا وَلَا نَذِيرًا بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَلْهَمُوا الْغَفْلَةَ بَيْنَهُمْ وَلَمْ تُخَالِفْ لَهُمْ فِئَةٌ مِّنْهُمْ وَلَهُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ الْوَاسِعَةُ﴾ (الإسراء: ٨٨)

وأما الثاني: التحدي الخاص؛ فقد جاء الثعرب خاصة، وعلى الأخص منهم لكفار قرين؛ وقد ورد هذا التحدي عليه نوعين أيضا:

١- التحدي المكفي : وهو التحدي لجميع القرآن في أحكامه ورواه وبلغته وبيان.

٢- التحدي الجزئي: وهو التحدي يمثل سورة من سور القرآن الكريم ولو من أقصر سورة كسورة الكوثر.

لذا أول مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (طور ٣٩) والمراد بالحديث في هذه الآيات الكريمة "قرآن مثله" أي: يأتوا بقرآن يشبه هذا الذي جاءهم به محمد رسول الله، والذي رغبوا أنه اقترأه، وتقول على الله، كما ورد التحدي بالقرآن كله في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِثْلِهِ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (القصص: ٤٩).

لقد طلب منهم أن يأتوا بكتاب كامل غير هذا الكتاب الكريم، فإذا لم يستجيبوا للدعوة، فإذا هم أناس متعنتون، يعبدون الهوى، ويسبون على غير هدى الله.

أما التحدي الجزئي: فقد ورد في سورة "هود" في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ: وَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (هود: ١١٢).

كما ورد التحدي بأقل من ذلك، تحديهم بسورة واحدة من أقصر سور القرآن، وجاء هذا التحدي مقرونا بالتعجير لقاضح، في الحاضر والمستقبل، مسجلا عليهم ذلك العجز بما يثير حينهم، ويفريهم بتكلف المعارضة، لا سيما بعد قولهم لفبيحة ودعوهم الكاذبة حين قالوا: ﴿قَدْ نَسِئْنَا فَمَنْ يَمُنُّ بِهَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنعام: ٢٥).

جاءهم التحدي في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ خَلْقِنَا فَأتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا لَنَا الْيَوْمَ وَقَدْ دُعَا النَّاسِ وَالنَّجَّارَةَ لَعْنَتُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

قال العلامة الفرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن": قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ يعني فيما مضى، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي: تصبوا ذلك فيما يأتي، وفيه إشارة لهم، وتحريك لفرسهم ليكون

مخبرهم بعد ذلك نُدخ. وهو من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها. <sup>(١٢)</sup>  
أما الأمر الثاني وهو: قيام النقضي للمعارضة عند العرب، فقد كان حاصلها وقائما، فإن  
الله ﷻ جاءهم بآيتين حديد، أبطل فيه دينهم، وسفّه أحوالهم، وسجّر من آمنهم وأصنامهم،  
وجعلهم أضحوكة بين الناس، دعاهم إلى اتباعه، وإلى اعتقاد أنه رسول من عند الله، وقال لهم:  
إن الحق على صدقي هذا الكتاب الذي أوحاه الله إليّ، فإذا لم تصدّقوني في ذلك، فلأنا أنحداكم  
أن تأتوا عظه، أو تنس سورة منه، وإذا عجزتم، فلذلك أبا صدق ومرهان رسائي إليكم.

فما كان أحوجهم إلى أن يأتوا بآية تثبت حاشية بعد هذا التحدي المسافر، والتهكم الشديد اللاذع  
بفعلهم، وأقنعتهم وأصنامهم.

أقول: ما كان أحوجهم إلى دحض ما ادّعاه، وإضاح أنه من عند الله، وذلك بسلوك أيسر  
الطرق، ولولوج اقرب الأبواب لرد دعواه، وذلك عن طريق ما برعوا فيه، واشتهروا بخودته  
ومغائره، ألا وهو "البيان في التلظ" و"المصاحبة" في اللسان، وكان ذلك أفع لهم من الحرب  
التي ذاقوا ويلاتها، وحضوا غمارها حتى شربوا كؤوس الأسى، وخرعوا القوت النورم،  
ولكنهم احتاروا طعن الرماح ووقع السال، ولم يدخلوا في الماراة.

يقول القاضي الباقلان رحمه:

كيف يجوز أن يقدروا على معارضة القرآن السهلة عليهم، وذلك يُدحض حجته، ويصد دلائله،  
ويظن أمره، فيعدون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور التي ليس عليها مزيد في الزيادة  
والمعاداة، ويتمكون الأمر الخفيف؟ هذا ما يمتنع وقوعه في المعادات، ولا يجوز انقائه من المعقلا.

وأما الأمر الثالث: وهو "انتفاء ما يمنعهم من معارضة القرآن"؛ فقلته نزل بنسبان عربي - هو  
لسانهم -، وألفاظه من أحرف العرب، وعبارته على أسلوب لعرب، وهم أهل نبيان واللسن،  
وأمره المصاحبة والدلالة، وقد دلت أشعارهم. وعطفت خطيبهم وحكمهم على براعتهم في ذلك.

وعنى أنه حرروا نصب السبق في مضمار الفصاحة والبيان، كما أثبت أدباء القم من ذوي القدرة والإسطة على أن يرووا في الشعر والنثر، وأن يحنوا في سماء المصاحف، ألا وهي لغتهم الأساسية لغة القرآن التي هان بها عربون وبشائرهم، ويعضون المشابك، ويعدون في الخاف، يستمعون أروع قصائد والمخطف، ويصنعوا أحلى الألطاف والعبارة، ولم يكونوا في عجز من قدرتهم، أو أقصى في عقولهم، بل كانت قدرتهم موفيرة، واستطاعتهم مشهورة، وهم أتوا شهي والأدباء، ومع ذلك فالقرآن دعاهم أن يستنبوا عن شأناهم، ويكملوا ما ينقصهم أهل الأديان، ويستحضروا خاتمهم بالآيات والسحرة والكهنة، ومن تداوا عن صوائد الأس والحان، فليس أمامهم إمامة مانع، والتي <sup>١</sup> لم يضرهم أجيالا

للمعاصرة، ولم ينددوا بالتصايف، حتى يقولوا: إنهم لا يسمون، وليس فيه سعة، كما أن القرآن لم يزل حجة واحدة حتى يذبحوا، بل نزل مفرقة في ثلاث وعشرين سنة، بين كل مجموعة وأخرى ومن توسع للمعاصرة والإتيان، بله، لو كان في مقدورهم ذلك، فلما عجزوا أن على أنه لم يزل رب العباد، وكفى بذلك دليلا وبرهانا.

### مثل على إعجاز القرآن:

وقد ذكر المرحوم "الشيخ الخزاعي" كلاما طيبا في كتابه "مناهل العرفان" نقله عنه، قال رحمه الله: بحث تعريف "المعجزة" ما هي:

"المعجزة: هي أمر خارج عن عادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي السعة عند دعائه، بإظهار شأنا على صفة، فإذا قام الإنسان ما، وأدعى أنه مدعوت من الله تعالى إلى خلقه، ورسوله إلى عباده، وقال: إلا أنه صديقي فيما أدعيه أن يعبر الله الذي لم يسمي خلقه من عباده على يدي، وأن يخرج الآن عن سب من سب العادة في وجوده، ثم قال: وسأبينكم الله فيما الأمر لعجاب من باب نزول أنكم فيه تابعون وعبيد فأترون، وإني أخذكم

- زر غات وو حلتا - أن نأوا، مثل هذه الآية، وأمامكم الباب مفتوحا كما تفضلون، وفيكم الخير موفورا كما تدعون، ثم أنتم مجتمعون وأنا وحدي.

قال ذلك بلغة النوال، وتحدثنا هذا المتحدثي الظاهر في وقت يشور فيه غفائنا وعادتنا  
والأخلاق؛ وبسقة فيه أحلامنا وأحلام أمتنا من ألتنا، ونحن أحرص ما نكون على تعجيزه ونهيه  
والعلمة عيه والظفر به دفاتنا عن كرامتنا، وانقصار لأمر شيء لئلا، ثم لم يلبث أن قام وقعد،  
وأجمع أمره وأجمعنا، وإذا نحن حمية بعد، عوللات ومصاولات: ثم نستطيع أن نأني بحمل ما أتى به  
فضلا عن أعظم منه، مع أننا أمة وهو فرد، ومع أنه قد دخل إلينا من أيسر الطرق في نظرياء، ومن  
أشهر فن في رمنا، ومع أنه قد أعطان الفرصة الكافية لما ظفرت، وأنصفا كل إصاف من معسه.  
هل يشك كل ذي مسكة من عقل في أن هذا الإنسان المنفوق المتذر صادق في رسالته، ومحق  
في دعواه، خصوصا إذا عرفنا قول ذلك كله: أنه نشأ فبنا على الصدق والأمانة، ومكارم  
الأخلاق من لدن حبيبنا وظفوانه إلى يوم مبعثه ورسالته.

لَوْلَا أَنَّهُ جَاءَ بِالْمَعْرُوفَةِ مِنْ بَابِهِ لَانْتَفَعَهُ لِقُلُوبِهِ رِجْلٌ حَقَّقَ فَنَا مِنَ الْعَمَلِ الَّتِي لَا عِلْمَ لَنَا بِهَا، أَوْ تَعَلَّمَ صِنَاعَةً مِنَ الْحَدِّاثِ الَّتِي لَمْ نَحْطُ بِخَمَرِهَا.

أما وقد حازنا من الناحية التي نشهد لأنفسنا فيها بالشوق والعشق، فلا يمينا إلا الإيمان به، والإيمان بما جاء به ما دمتا متصليين...

ولنضرب لك مثلاً: جاء موسى عليه السلامه عصا من الخشب، لا روح فيها ولا حركة، ولا  
لين ولا دطوبة، ثم ألغاها باسم الذي أرسله، فإذا هي حية تسير، بينما الأمة التي تحدثها بذلك  
كانت قد تقوفت في السحر وحذقته، وضربت فيه بأروفر سهمهم وأولى نصيب، خضوعاً لهم  
أمة وهو فرد وهم ناهيئون في السحر، وهو مع نشأته فيهم ثم يعرف يوماً من الأيام عناية  
السحر، فهل ينبغي لشكك ضد بعد أن ألقي موسى عصاه، فإذا هي تلفف ما يافكون؟

﴿يَرْفَعُ الْحَقُّ وَنُظْلًا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَعْبُدُوا هَٰذَا إِلَهَكُمْ وَإِنِّي أَخْشَى الشَّحْنَاءَ مَاجِدِينَ

فَلَمَّا أَتَاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْآلَمُ ١٦٨٠-١٦٨٢.

انلقأ أبلج، ولذلأ كلأ أول من آمن به هم السآرة أنفسهم لأهم أعرف بالسآر ومقدماته وتآآحه، وقد رأوا رأى العى أن ذلأ الإعآار لى من نوع السآر الذى عرفوه. قل مثل ذلأ فى معآرة كل رسول أرسله الله، قل فى عى بن مرزم مثلاً، وإبرآه الأكمه والأرمن، وإآباه العربى، وخلقه من الطى كهيئة الطير يآذ الله أمام قوم بعوا فى الطب إىما نبوغ، ومهوراً فى إى مهارة.

وقل مثل ذلأ وأكبر من ذلأ فى آام الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، وما آاء به من آيات بينات، ومعآرات واضآات، وحسيك القرآن وحده برهآاً ساطعاً، بل يزعم ساطعات، كل مقدار ثلاث آيات منه آجة قاطعة تقوم فى هم الدنيا إلى يوم الساعة، تتحدى العالم بما يكون فيها من أسرار الفصاحة والبيان، والمعجزة والمعرف، وأناء العجب وشواهد الحق<sup>(١)</sup>.

### شروط المعجزة الإلهية:

وللمعجزة شرائط خمسة به عنها العلماء، فإن احتل منها شرط لآ تكون معجزة:

١- الشرط الأول: أن تكون بما لا يقدر عليه إلا الله رب العالمين.

٢- الشرط الثانى: أن تغرق العادة، وتكون مخالفة للسنة الكونية.

٣- الشرط الثالث: أن يستشهد بها شاعرى الرسالة على صدق دعواه.

٤- الشرط الرابع: أن تقع على وفق دعوى الذى تتحدى بطلأ المعجزة.

٥- الشرط الخامس: ألا يأق أحد يحلل ذلأ المعجزة على وجه المعارضة.

فهذه الشروط الخمسة إن تحققت كآ ذلأ الأمر الخارج لمعادة معجزة دالة على نبوة صاحب الدعوى، لى ظهرت المعجزة على يده، وإن لم تتحقق غير ذلأ، عن كرها معجزة، ولم تدل

علي صدق صاحب الدعوى.

أما الشرط الأول: فإنه لا شيء - في زمن يصح فيه يحيى الرسل - وادعى الرسل، وجعل معجزته أن يقوم وينشد، ويأكل ويشرب، ويتحرك من مكان إلى مكان، ثم يكن هذا كذبي دعواه معجزة، ولا دلائل على صدقه لقدرته الخلق على منه، وإنما يجب أن تكون المعجزات مما لا يقدر عليها البشر: كخلق الحرة، واستفراق البحر، وإحياء الموتى... الخ.

وأما الثاني: وهو حرق العادة، فهو من المذهبي لسببه: معجزتي أن أطلع الشمس من المغرب، ومن المغرب، وأن يأتي النهار بعد الليل، لا يكن فيما ادعاه معجزة؛ لأن هذه الأمور، وإن كان لا يقدر عليها إلا الله، لكنها لم تفعل من أجله، وقد كانت من قبله، وليس فيها دلالة على صدقه.

وأما الثالث: وهو أن يستشهد لها داعي الشبهة، ونحصل عند طلب تصديق دعواه، فهو ادعى إنسان أن معجزته أن يقاتل الحماد في حيوان أو إنسان، ولم يلق لا يدل على صدق دعواه.

وأما الرابع: وهو أن تقع المعجزة على وفاء الدعوى لا على خلافه؛ لأنها حينئذ تكون تكذيباً له. روي أن مسيلمة الكذاب - عنه الله - طلب منه أصحابه أن ينقل في شرا ليكثر فيها أدلة، فعارت الشر، فدل على كذبه.

خامساً: ألا تُعارض المعجزة فإن عورضت بص كبرها معجزة، ولم يدل على صدق صاحبها، فهو استنطاق أحد فلق البحر أو شق البحر لم تعد معجزة، وهذا قال تعالى في خطاب المشركون:

﴿فَلْيَبْذُرُوا خِزْيَتَهُمْ مِنْهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (سفر: ٢٤).

بم كان إعجاز القرآن؟

إن القرآن العظيم كلام الله المعجز لخلق في أسلوبه ونظمه، وفي روحه وبيان، وفي علومه وحكمه، وفي تأثيره هديته، وفي كشافه الخصب عن غيوب الماضي والمستقبل، ولقد جاء العلماء في كشف أسرار البيان عن وجود إعجاز القرآن بعد أن شئت عندهم بالوحدان والبرهان، وقد أجمع أهل



العربية قاطبة، وأهل النسخ منهم والبيان سى أن القرآن المعجز بذاته" أي: أن إنحدود هذا كان بفساحة أطلعه، وروعة بيانه، وأسلوبه العريق، الذي لا يتناهيه فيه أسلوب، لا من لحن، ولا من تنوع، ومسحة المنطقية الخلاقة، التي تنجلي في نظامه الصوتي، وجماله المعنوي، وبراغمته الفنية.

### مذهب أهل الصرفة:

وقد ذهب بعض المعتزلة منهم "أبو إسحاق الطائفي" إلى أن إعجاز القرآن إما كان بـ "الصيغة" بمعنى: أن الله عز وجل صرف الشعر عن معارضة القرآن مع دارفه عليها، وعلى صيغ المعجز عن محاكاة في أصصهم وأصنتهم. ولولا أن الله صرفهم عن ذلك لاستطاعوا أن يأتيوا بمثله، ونعمري هذا قول من لم يتدقق في علم العربية، ولا حرف أساره، بل قول من لم يدرك من العلوم إلا قشورا لا تسمى. ولأنه من جوع، هو قول سافط مردول، يخالف لما أجمع عليه العلماء والمفسراء واستغناء في التفسير والحديث.

يقول حمزة لأدب عربي مصطفوي الزيداني يشرح: "وقد احتجبت أرواه المعجزة في وجه إعجاز القرآن، فذهب سلطان الشكوكين" أبو إسحاق الطائفي إلى أن الإعجاز كان بالصيغة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرهم عليها، فكان هذا صرف حارفا للعادة. وقال "المعتزلي" من الشيعة من معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعرفة؛ ليحيوا بحسب القرآن...

فكأنه يقول: إلهي دعاء، وقد رن على مثل المنظم والأسلوب. ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما تسته أقدار القرآن من المعاني، إذ لم يكونوا أهل علم، ولا كان العلم في إصمهم... وهذا رأيي بين الخلفاء كما نرى. ثم قال: وعلى الجملة: فإن القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه: "هذه قال إن هذا إلا سحر يورثه" السحر دهر، وهذا زعم زده الله على أحمه، وكذلكهم فيه، وجعل القول به ضررا من المعنى: "فإن سحر هذا أنه أنه لا يصبرون به" (المعنى: "...").

وعلى ذلك ينسحب العاسد يمكن أن يقال: إن المعجز ليس هو القرآن الكريم على حد زعمهم، إنما هو الصرفة التي سببها صجروا عن الإتيان بحقه: ﴿وَسَرَفَ اللَّهُ قَوْلَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقد أسلف "ابن حزم" الظاهري حين سلك ذلك المسلك المتروك، وذهب إلى ما ذهب إليه سلفه "النظام" من سُخْفِ الكلام، ولكن بأسلوب رقيق وحيث يقول في كتابه: "المقتل" في سبب الإعجاز ما نصه:

"لم يقل أحد: إن كلام الله تعالى غير معجز، ولكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له، أصاره معجزاً، ومنع من مماثلته، وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره".

فأنت ترى صاحب هذا الرأي يجعل القرآن الكريم معجزاً بمنع الله عز وجل من مماثلته، وهذا عين رأي النظام الذي يقول بالصرفة، وهو رأي باطل - كما أسلف -، والقوم محجوبون عن ضياء الحق الساطع، وما أجمل قول الفاضل:

قد تذكر العين ضوء الشمس من رَمِيٍّ وَيُنْكِرُ الْقَمَّ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَمٍّ

### آراء العلماء في الإعجاز:

بعد أن أجمع العلماء على إعجاز القرآن بقرائنه، وعلى عدم استطاعة أحد من البشر الإتيان بمثله، اختلفت آراؤهم في وجه إعجاز القرآن على آراء:

- أ- يرى بعضهم: أن وجه الإعجاز في القرآن، وهو ما اشتمل عليه من النظم الغريب المتخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعته، ومقاطعته، وقواصله.
- ب- ويرى البعض الآخر: أن وجه الإعجاز إنما يكمن في فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وجودة سبكها؛ إذ هو في النثرية العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلاًها.

ج- ويؤى آخرون: أن الإعجاز في علوه من التفاضل، واشتماله على المعاني الدقيقة، والأمور الغيبية التي ليست تخدور البشر، ولا في استطاعتهم معرفتها، كما أنه سليم من التناقض والتعارض.

د- وهناك من يقول: إن وحه الإعجاز هو ما نصّبه القرآن من أترايا للظاهرة، وأبتاع الرافعة في التواضع، والمفاد، والخواتيم في كل سورة، والعمول فيه عددهم ما يلي:

١- الفصاحة في الألفاظ.

٢- البلاغة في المعاني.

٣- صورة النظم الدقيق.

وهذه الأقوال كلها لا تخرج عن دائرة واحدة هي 'الدائرة لسانية' التي اختارها القرآن، وهي وإن كانت حقاً إلا أن إعجاز القرآن ليس في 'الفصاحة والبلاغة' فحسب؛ بل هناك وحه أخرى لإعجاز القرآن، وقد أحاد العلامة القرطبي 'ع' في سيره القيم المسمى: 'الجامع لأحكام القرآن'، فعدّ عشرة وجوه لإعجاز القرآن، كما ذكر فضيلة الشيخ 'أزرقاني' في كتابه 'مناهل العرفان' أربعة عشر وجهاً من وجود 'الإعجاز' منها ما ذكره القرطبي، ومنها ما لم يذكره، ونحن نذكر هذه أوجوه بالإيجاز، ثم نضيفها شيء من التفصيل، فنقول - ومن الله نستمد تعاون -

وجود إعجاز القرآن الكريم:

أولاً: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب.

ثانياً: الأسلوب المعجب المخالف لجميع الأساليب العربية.

ثالثاً: الجرنة التي لا يمكن المحنن أن يأتي بمثليها.

رابعاً: تشريع الدقيق الكامن، الذي يترك كل تشريع وضعي.

- خامساً: الإخبار عن انقيبات التي لا تُعرف إلا بالوحي.
- سادساً: هذه المعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.
- سابعاً: الوفاء بكل ما أُخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد.
- ثامناً: العلوم والمعارف التي اشتمل عليها: العلوم الشرعية والعلوم الكونية.
- تاسعاً: وناؤه بمحاحات البشر.
- عاشراً: تأثيره في قلوب الأتباع والأعداء.

### ١ - النظم البديع:

أما النوح الأول من وجوه إعجازه فهو "النظم البديع" المتخالف لكل نظم معروف في لسان العرب، فالقرآن الكريم لا يشبهه شيء في نظم، لا من شعر ولا من نثر، وذلك بشهادة أساطين البلاغة، وأئمة الفصاحة والبيان: "الوليد بن المغيرة"، و"عنترة بن ربعة" وغيرهما من فصحاء العرب ومشاهيرهم.

### أمثلة من التاريخ:

- ١ يروى أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكانه رافقه، فبلغ ذلك أبا جهل. وأتاه فقال: يا عم! إن قومك يريدون أن يجسموا لك مالا؟ ليعطوه لك، وإنك أتيت محمدًا لتعرض لما فيه - أي: لتتال من فضله -.
- فقال الوليد: لقد علمت فريش أبي من أكثرها مالا.
- فقال له أوجهل: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك مذكر له.
- فقال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برحز، ولا بقصب، ولا بياض، ولا بحمر، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لغوته لحلاوة، وإن عبه لطفلاوة، وإن أعلاه لشر. وإن أسفله لمغنى، وإنه ليعلو، وما يعلى عليه.
- فقال أبو جهل للذين: والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال:

﴿قَالَ إِنَّ هَذَا إِلَهٌ سِحْرٌ يُؤْتِرُكُمْ﴾، فَمَنْ فِيهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَدُرِّي وَأَنْ خُفْتُ وَجِئًا، وَخُفْتُ لَهُ تَدَلًّا مُعْلَمًا﴾ (١١٠: ١١١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لَكُمْ فَكْرًا وَقُلُوبًا فَفَعَلْ كَيْفَ قَبِلْتُمْ ثُمَّ تَبَلَّ كَيْفَ قَدَرْتُمْ ثُمَّ نَظَرْتُمْ ثُمَّ غَبَسْتُمْ سِحْرًا ثُمَّ أَفْزَرْتُمْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَهٌ سِحْرٌ يُؤْتِرُكُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْيَتِيمِ﴾ (١١٢: ١١٥).

٢- ويرى أن الله لما سمع القرآن من النبي ﷺ تأثر تأثراً بالغاً، فجاء بقومه "بني مخزوم"، وقال لهم: والله لقد سمعت من محمد أمراً - أي: ما بهما - هو من كلام الإنسان، ولا من كلام الحس، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة... الخ.

فقالت فريش: صبا والله الوبيد؛ لصبا بن قريش كنها.

فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فبعد إليه سريراً وكلمه بما انحاطه، فقام الوليد، وقام معه أبو جهل، فلما أتى قومه قال: تزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتموه يخفق؟ وتقولون: إنه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر؟ فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ وتزعمون أنه كتاب، فهل جرستم عليه شيئاً من التكذب؟

فقالوا في كل ذلك: اللهم لا... ثم قالوا: فما هو؟ ففكر، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يبرئ بين الرجل وأهله، وبين الوالد وولده، وما الذي يفعله إلا سحر يأثره - أي: ينقله - عن أهل بابل، فارفع النادي فرحاً، وتفرقوا متعجبين بملونه، ومتعجبين منه، فنزلت الآيات الكريمة. (١)

٣- وفي صحيح مسلم أن "أنساً الغفاري" أمراً أي ذراً، قال لأبي ذر: لقيت رجلاً ممكاً على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، ساحر، كاهن. وكان أنس أحد الشعراء. قال أنس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوافي على أنواء الشعراء - يريد أنوعه وبحوره -، فقام بلتيم على لسان أحد منهم أنه شاعر. والله إنهم لكاذبون، وإنه لصادق. (٢)

(١) زاد المعنى في فضائل النبوة.

(٢) الكشاف: ١/٢٤٩.

(٣) تفسير القرطبي ٧٣/٦.

١- وأخرج من إسحاق في السورة: "أن أب جهن قال في ملأ من فريش: الله انيس عليا امر  
عمدا، فهو المستقيم لنا رجلا مثنا بالشعر والكهانة والسحر، فكسبه، ثم أتانا سيان عن امرءة  
فقال "عبه من ربيعة" - وكان من أشرف نفوه وسادهم - "أنا أقوم إليه وأكسبه، فأتاه فقال:  
يا محمد! أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فم نشتم اغشنا  
وتفلسك، فإن كنت تريد، الرياسة: غفدنا لك اللواة؛ فكنت رئيسا، وإن كنت تريد: انبياء؛  
روحك ما تشاء، منهم: تختار من أي بذات فريش ما شئت، وإن كنت تريد: المال؛ جمعنا لك  
من أموالنا حتى تكون أغفنا، وأكثر مالا

وأخي ﷺ ما كنت لا بحيد، فما فرغ من عرصه، قال له امسي ﷺ: "ثم غت؟ قال: نعم، قال:  
واسمع إذا، فذلا عنه سورة نصت ﷻ: ﴿قَدْ بَيَّنَّ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا  
غَرِيبًا يُعْذِرُ الْغَافِلِينَ﴾، ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَوْنِهِمْ وَلَا يَتَمَنَّوْنَ﴾ (ص: ١٠٤) حتى سمع قوله  
تعالى: ﴿فَإِذَا أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْزَلْنَاهُ صَاحِدَةً﴾ (ص: ١٠٥) وأمسك عتبة على ﷻ، وأشابه بالرحم  
أن مكفرا

ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى فريش، فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عنه إلا قد صبا،  
فأظفروا إليه، وهالوا: يا عتة! ما حبست عنا إلا أنك قد صبا، فقصص: نعم فإن لهم: والله  
لقد كتبت، فأحاسي بشي، والله ما هو شعر، ولا سحر، ولا كهانة، وقد ماخذله بالرسيم  
أن يكف خشية أن ينزل بكم العذاب، وقد عتدتم أن تخذلوا: إذا قال شئنا به يكذب ﷻ

قال العلامة القرطبي رحمه:

"وإذا اعترف عتبة علي بن موضع من الفساد، وموضعه من العصاة والبلاغة، بأنه ما سمع ما  
سمع مثل القرآن قط، كان في هذا القول فقر: بإعجاز الفراءة، ونظريته من المتحفيين  
بالفساحة والقدرة على التكلم بجميع أحاسي لقول وأنوعه"

## ٢ - الأسلوب المعجيب:

لما أفرجه الثاني لإعجاز القرآن فهو 'الأسلوب المعجيب' المتخالف لجميع الأساليب العربية، فقد جاء القرآن بذلك الأسلوب الرائع الخلاب، الذي هو للعرب بروفته وجماله، وعذوبته وحلاوته، وقد كانت فيه من الخصائص العليا ما لم توجد في كلام بشر على نحو ما أحدث في القرآن حصيصاً، وأن النبي ﷺ نحى به، فأعجز أساطير الفصحى، وأنبأ عقول البلغاء، وأعجز ألفه فحول البيان، وذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت على الإحادة والتبريز في هذا الميدان، وفي أمة كانت مواهبها محسونة لتنفق في هذه التاحية.

يقول الزرقاني رحمه:

وها قد مرت على اللغة العربية - من عهد نزول القرآن إلى عصرنا هذا - أدوار مختلفة بين علم ونزول، واتساع وانقضاء، وحركة وجمود، وحضارة ونداءة، والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه، يطل على الجميع من سمائه، وهو ينشع نوراً وهداية، ويفيض عذوبة وحلاوة، وبسبب رقة وجزالة، وبرف حدة وطلاوة، ولذا زال كما كان غصاً ضرها، يحمل رايه الإعجاز، وينحدي أسم العالم في يقين وثقة، قائلاً في صراحة الحق وقوته، وسلطان الإعجاز وصولته: ﴿قُلْ نَبِيٌّ اخْتُمْتُ الْأَنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ هَذَا الْقُرْآنُ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ نَعْصُهُمْ لِنَعَصِ طَهْرًا﴾ (نور الهدى: ١١)

## خصائص أسلوب القرآن:

والقرآن الكريم في أسلوبه المعجيب المتخالف لجميع الأساليب البشرية: خصائص عديدة تجعلها فيما يلي:

الخاصة الأولى: مسحة القرآن اللفظية، التي تمنحني في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي.

الخاصة الثانية: إرضاءه لغامة والخاصة بمعنى أن الجميع يحسبون بجلاله، ويشعرون بروحته.

الخاصة الثالثة: إرضاءه العقل والعاطفة معاً، فالقرآن يخاطب لعقل والقلب، ويجمع الحق والجمال معاً.

الخاصة الرابعة: جودة سبك القرآن، وحكام سرده، فكأنه سبيكة واحدة، تلعب بالمقول وتأخذ بالأبصار.

الخاصة الخامسة: براعته في نصريف القول، وتفتته في ضروب الكلام بمعنى: أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ شتى، وطرق مختلفة، وكلها رائعة ذائقة.

الخاصة السادسة: جمع القرآن بين الإجمال والبيان.

الخاصة السابعة: الوفاء بالمعنى مع التقصد في اللفظ.<sup>(١)</sup>

أمثلة توضيحية على خصائص أسلوب القرآن:

يقول حجة الأدب العربي الفقيه "مصطفى الرانعي" رحمه الله:

١- "لو تدرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللحوية، تجري في الموضع والتركيب بحرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، ولم يحدّها إلا مؤلفة مع أصوات الحروف مُساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة، فلا تُعذّب ولا تُساع، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا... من ذلك لفظة 'الشُّدْرُ' جمع نذير، فإن الحزمة ثبيلة فيها لتواليها على التون والذال معاً، فضلاً عن جساءة<sup>(٢)</sup> هذا الحرف، ونوّه<sup>(٣)</sup> في اللسان، ولكنه جاء في القرآن على العكس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَلَدَّرْهُ بِطَبْخٍ فَسَارَوْا بِالشُّدْرِ﴾ (نجم ٤١)، فتأمل هذا التركيب، وأتعم، ثم أتعم على تأمله، وتدوّن مواقع الحروف، وأحرّح حركاتها في حسن السمع، وتأمل مواضع الغلغلة في دال "لقد"، وفي الظاء من "طبخنا"،

<sup>(١)</sup> انظر "محل الرغاب" للفرغاني.

<sup>(٢)</sup> عشوّة.

<sup>(٣)</sup> ما الشيء سراً ونبوءاً، ثم يستوف مكانه المناسب له. ويقال: كلمة نائية فلفة غير منسجمة.



وفي الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى اللواو من قوله: ﴿نَبِّئْنَاهَا نَجْمًا زَاوَا﴾ مع الفصل بالمد؛ ليكون نقل الضمة عليه مستحضرًا بعد، ولتكون هذه الضمة قد أصابت موضعها، كما تكون الألف في الأضمة.

٢- "وَلِى الْقُرْآنَ لَفْظَةً غَرِيبَةً، هِيَ مِنْ أَغْرَبِ مَا فِيهِ، وَمَا حَسِبْتُ فِي كَلَامٍ قَطُّ إِلَّا فِي مَوْجِعِهَا فِيهِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ ﴿غَبِيْرِي﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْكَ إِذَا قَسِمْتُ غَبِيْرِي﴾ (نجم: ٢٢)، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ حَسَنَهَا فِي نَظْمِ الْكَلَامِ مِنْ أَغْرَبِ الْحَسَنِ وَمِنْ أَعْجَمِهِ، وَلَوْ أُرِدَتْ اللَّفْظَةُ الْغَرِيبَةُ مَا صُلِحَ لِهَذَا الْمَوْضِعِ غَيْرُهَا، فَإِنَّ السُّورَةَ الَّتِي هِيَ مِنْهَا، وَهِيَ سُورَةُ النَّجْمِ مَفْصَلَةٌ كُلُّهَا عَلَى أَنْبَاءِ فِعَالٍ مِنَ الْكَلِمَةِ فَاصِلَةٌ مِنَ الْفَوَاصِلِ، ثُمَّ هِيَ فِي مَعْرِضِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْعَرَبِ؛ إِذْ وَرَدَتْ فِي ذِكْرِ الْأَصْنَامِ، وَزَعَمَهُمْ فِي قِسْمَةِ الْأَوْدَادِ، فَوَقَّعُوا جَعَلُوا الْفَلَاحِيَّةَ وَالْأَصْنَافِ بِتَاتِ اللَّهُ مَعَ وَأَدْهَمَ لَبَنَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أَنْذَرَكُمْ رَبُّهُ أَلْتَأْتِيَنَّكُمْ بِذَلِكَ إِذَا قَسِمْتُ غَبِيْرِي﴾ (نجم: ٢٢، ٢٣)، فَكَانَتْ غَرَابَةُ اللَّفْظَةِ أَشَدَّ الْأَشْيَاءِ مِلَامَةً لِرَغَابَةِ هَذِهِ الْقِسْمَةِ الَّتِي تُكْرَهُ، وَكَانَتْ الْحِمْلَةُ كُلُّهَا كَأَنَّهَا تَصُورُ فِي هَيْئَةِ الشُّطْرِ لَهَا الْإِنْكَارُ فِي الْأَوَّلِ، وَالتَّهْكُمُ فِي الْآخِرِ، وَكَانَ هَذَا التَّصَوُّرُ أَمْلَغُ مَا فِي الْبِلَاقَةِ، وَحَاصَّةُ فِي اللَّفْظَةِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي تَمَكَّنَتْ فِي مَوْجِعِهَا مِنَ الْفَصْلِ".

٣- وبما لا يسعه طوق إنسان في نظم الكلام البليغ، ثم مما يدل على أن نظم القرآن مادة فوق الصنعة ومن وراء الفكر، وكأنها صبت على الجملة صبا، أنك ترى بعض الألفاظ لم رأت فيه إلا مجموعا، ولم يستعمل منه صيغة المعرد، فإذا احتاج إلى هذه الصيغة استعمل مرادها، كلفظة "القلب"، فإنها لم ترد إلا مجموعة كقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (الرسم: ٢٣)، وقوله: ﴿وَلْيَذْكُرُوا آلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٤)، نحوها، ولم ترد فيه مفردة، بل جاء مكانها "القلب" في قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ص: ٢٥)، وذلك لأن لفظ "أنباء" شديد بجموع، ولا يفضي إلى هذه الشدة إلا من اللام الشديدة للتسريخ، فيما لم نحسن اللفظة أسقطها من نظمه به.

وكذلك لفظ "الكرب" استعملت فيه مجموعاً، ولم يأت بها مفردة؛ لأنه لا يتبها فيها ما يجعلها في النطق - من الظهور والرفعة والانكشاف وحسن التشابح - كلفظ "كواب" الذي هو الجمع، و"الأرجاء" لم يستعمل القرآن لفظها إلا مجموعاً، وترك المفرد وهو الأرجاء أي: بغائب لعله لفظه، وأنه لا يسوغ في نظمه كما ترى

وعكس ذلك نقطة الأرض، فإنها لم ترد فيه إلا مفردة. ولم ترد في القراء صيغة الجمع "أرضين"، ود احتاج إلى جمعها، أخرجهما على هذه الصورة التي ذهبت بسر الفصاحة، وذهب بها حتى خرجت من الروعة بحيث يسعد لها كل فكر سحنة طويلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ (الطه: ١١)، ولم يقل: "وسبع أرضين" لهذه الجملة التي تدعى اللفظ، ويختل بها النظم احتلالاً.

٤- ونأمل قوله تعالى: **يَخْفَرُنَا عَلَيْهِمُ الطُّورَانِ وَالْجُرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالِدَّمَ** **مُفَصَّلَاتٍ** (إعراب: ١٣٠)، فإنَّ خمسة أسماء: **نُحِفَتْ** في اللفظ: **"الطُّورَانِ، وَالْجُرَادُ، وَالِدَّمَ"** وانضم **"القُمَّلُ، والضَّفَادِعُ"** ففعل **"يَخْفَرُنَا"** **"الطُّورَانِ"** **"لُكَّانِ** **اَلَّذَيْنِ** فيها، حتى بأنَّ **النَّسَانَ** **بِخَفَّتِهَا**، ثم **"الْجُرَادُ"**، وفيها كذلك **مَدَّ**، ثم جاء باللفظين **الشَّديدين** مبتدئا **بِخَفَّتِهَا** في اللسان، وأبعدهما في الصوت لُكَّانِ **تِلْكَ** **الْعُقَّةَ** فيه، ثم جاء بلفظة **"الدَّمَ"** **أَحْرًا**، وهي أخف الخمسة وأقلها حروفاً، ليسرَّخ اللسان فيها، ويستقيم لها ذوق النظم، ويتمُّ هذا الإعجاز في التركيب.

وَأَنْتَ فَمَعَهَا قُلْتَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، فَلَا تَرَى لَهَا فِصَاحَةً إِلَّا فِي هَذَا الْوَضْعِ، فَلَوْ قُدِّمَتْ أَوْ أُخِّرَتْ لِمَا دُرِكَ التَّهَادُثُ وَالْبَعْثُ، وَالْأَعْتَدُ أَنْ يَجِيءَ مِنْهَا بِالْفِعْلِ، أَوْ نَظْمٍ مُصَحَّحٍ.

من ذلك بطلان أن القرآن الكريم إنما يعمد بأسلوبه؛ لأنه ليس وضعاً إنسانياً ألبتة، ولو كان من وضع إنسان، لجاء على طريقة تشبه أساليب من أساليب العرب، أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد؛ **ولمّا كان من بعد غير الله لم يجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** (النساء: ٨٢).

وَيَنْقُذُ أَحْسَنَ الْعَرَبِ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَاسْتَبْقَاهُ بِلُغَاؤِهِمْ، وَلَوْلَا مَا أَفْهَمُوا، وَلَا انْقَطَعُوا مِنْ دُونِهِ، لَأَفْهَمَ

وأما حسب من الكلام غير ما نردده ضاعوا، وكيف لهم في معارضته بطريقه غير مخلوقة؟<sup>١</sup>

ويقول المرحوم فضيلة الشيخ "أوردني" في موضوع خصائص أسلوب القرآن:

"والقرآن مسجود جلالة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي، وإيماله المعنوي... ويريد نظام انفراد الصوتي، اساق النواج والاختلاف في حركاته، مسكناته، ومبانيه، وغنائه، واتصالاته ومسكناته، تناسقاً عجيبة، والاتلاف رائع، يسرع الأسماع ويستهيوي الخواص بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومأثور.

ويريد جمال القرآن المعنوي تلك الصاعقة العجيبة التي تتلها النجرات في وصف حروجه وترتيب كلماته ترتيباً ذبونه كل ترتيب تعاطف البشر في كلامهم، وتنفذ وحل هذا الجمال المعنوي بل قوة الإعجاز، حيث لم يدخل في القرآن شيء من كلام الناس، لا عقل مذاقه في أنوار قاريه، واحتل نظامه في أذان سامعه.

ومن عجب أمر هذا الجمال المعنوي، وذلك النظام الصوتي: أهـ - كما كان - دليل إعجاز من ناحية، كما سورا متبعاً لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأن الجمال المعنوي، والنظام الصوتي أن يسرع الأسماع، ويثير الإثارة، ويحرك داعة الإقبال في كل تسال إلى هذا القرآن، ذكرهم، وبذلك يبقى ألب الدهر سائداً على ألسنة الخلق، وفي أذانهم، ويعرف مداه ومرباه بينهم: ولا بجرة أحد على تغييره وتبدله: مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿إِنْ يَحْكُمُ أَنْ يُكْفَرُوا مِنْهُ لَكُنْ يُكَفَرُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿إِنْ يَحْكُمُ أَنْ يُكْفَرُوا مِنْهُ لَكُنْ يُكَفَرُونَ﴾<sup>٣</sup>.

ومن خصائص أسلوب القرآن العظيم: أنه يخاطب العقل والقلب معاً، ويضع الحق والجمال معاً، اغتر به وهو في معبدان<sup>٤</sup> "قمة اللذات العنفي على البعث والشوق، وفي مواجهة التفكير المكبر، كيف يسرق سلاله سوراً يثير القلوب حراً، ويمنع لعاطفة امتناعاً عما جاء في ضي هذه الأكلة

<sup>١</sup> إعجاز القرآن للمعالي من ١٩٦٩، ص ١٨٦.

<sup>٢</sup> الصافات ٢٠/١٢.

<sup>٣</sup> الشورى: ٢٤، عز: ١٢، وقال: يوم ننفخ الصور وننطق بالحق.

المسكنة المقعدة، إذ قال سبحانه في سورة "فصلت": ﴿وَمِن آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنَّكَ إِلَيْهَا تُؤْتَى﴾ (ص: ٢٩).

واستمع إليه في سورة "ق" إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ خُلَاطِئَهُ فَأَخْبَتَ الْحَبِيبُ وَالتَّخْلُفَ بِاسْقَابِهَا تَطْعَمُ نَبِيذًا، وَرَقَالِحًا وَأُخْشِيًا بِهِ بَلَدًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق: ١٠-١١).

تأمل هذا الأسلوب البارع الذي قنع العقل، وأمتع العاطفة في آن واحد حتى في الجملة التي هي بمثابة النسخة من مقدمات الدليل؛ إذ قال في الآية الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِي أُخْبِتَ لَمْ يُخْبِ الْمَوْتَى﴾ (ص: ٢٩)، وفي الآيات الأخيرة قال: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ أي: الخروج من القبور، واسعت والشور.

يا للمحمل الساحر، ويا للإعجاز الباهر، الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً، بأنصع الأدلة، وأجمل البيان في هذه الكلمات للعدودات.

ثم انظر إلى القرآن، وهو يسوق قصة "يوسف" عجل - مثلاً - كيف يأتي في علاجها بالعظات البالغة، ويطلع من خلالها بالرايين الساطعة على وجوب الاعتصام: بالنعاف، والشرف، والأمانة، إذ قال في فصل من فصول تلك القصة الرائعة: ﴿وَرَأَوْهُ تُلَاحِي هُوَ فِي يَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَبَتِ الْآفَاتُ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَوْلَانِي إِنَّهُ لَا يَهْدِي لَفْظًا لَمَمُونٌ﴾ (يوسف: ٢٣).

فتأمل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي التعاليه الثلاث، بدواعي العفاف الثلاث؟ مقابلة صوّرت من الفصص المنسج جدالاً عبقياً بين "جند الرحمن" و"جند الشيطان"، وروصتهما أمام العقل المنتصب في كعبي ميزان، وهكذا نجد القرآن كله مزيجاً حلواً سائغاً، يخفف على النفوس أن تخرج الأدلة العقلية، ويرفعه عن العقول باللفحات العاطفية، فهل تسعد بمنزل هذا فيكلام البشر؟ لا، ثم لا، فكلام البشر إن رَفَى بحق العقل: عكس العاطفة حفيها، وإن رَفَى بحق العاطفة: يحس العقل حقاً، حتى لقد باتت العرف العام يقسم الأساليب البشرية إلى قسمين، لاثالث هما "أسلوب علمي"، و"أسلوب أدبي".

فغلاب النعم لا يرضيهم أسلوب الأدب؛ وطلاب الأدب لا يرضيهم أسلوب النعم، وهكذا نجد كلام العلماء والمحققين فيه من الخفاء والعري، ما لا يهز القلوب ويحرك النفوس. ونجد في كلام الأدباء والشعراء من الغزل والنعم العلمي ما لا يعذي الأفكار ويقنع العقول. أما القرآن فقد اتفرد بهذه المزية بين أنواع الكلام؛ لأنه تنزيل من القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن: ﴿فَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَعَالِيقُ﴾ (ص: ١٤).<sup>(١)</sup>

### ٣ - الإيجاز الرابع:

الوجه الثالث من وجوه الإعجاز ذلك الإيجاز الرابع، والمطالعة<sup>(٢)</sup> الحارفة التي ليس بإمكان مخلوق من البشر أن يحيط بها، أو يأتي بمثلها؛ لأنها فوق الطاقة البشرية، والقدرة الإنسانية، لقد كان البدوي - راعي النعم - يسمع القرآن فيحز ساجداً لله رب العالمين، وذلك لروعة هذا الكتاب المجيد، ولما يفعل به في نفوس السامعين، وهو دليل رقة الإحساس، ولطف الشعور من أولئك شريعة الخفاء.

#### قصة الجارية والأصمعي:

يروى أن الأصمعي خرج ذات يوم فقي جارية، حماسية أو سداسية، وسمعها تنشد أبياتاً من الشعر رائعة، فأعجب بتلك الأبيات وهزت منه النفس والقلب بحمال أسلوبها، وروعة بيانها، وفصاحة أنفاؤها، فقال لها: قاتلتك الله ما أفضحت؟ فقالت له: ربك! أوتيتُ هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذْ يَخْشَىٰ عَلَيْهِ فَخْفَتِي فِي الْمِصْرَ وَلَا تَخْشَىٰ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَادْنَاهُ الْإِلَهَ وَحَامِلُونَهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (قصص: ٢٧)، ثم قالت له: فقد جمعت هذه الآية على وجازتها بين أمرين، ونهين، وخبرين، وبشارتين إلخ.<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> ساجد العرفان: ص: ٢١٠.

<sup>(٢)</sup> المراد بالجزالة: النعاسة في الألفاظ، والإحادة في التعبير مع قوة المسبك وعدم الضعيف.

<sup>(٣)</sup> نسخة ذكرها القرطبي في تفسيره: الجزء الثالث عشر ص: ٢٥٦، وذكرها صاحب المنار في الجزء الأول ص: ٢٨. والمراد بقوله: "حماسية أو سداسية" أي: طوقاً حمسة أميل، أو ستة أشبار، أي أنها معتدلة القامة.

قال الأصمعي، فأعجبت بفهمها وإدراكها أكثر مما أعجبت بشعرها، فهي حاربة بدوية صغرة السن، ولكنها واسعة العلم والفهم، أما الأبيات التي كانت تنشدها فهي قولها:

أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُ لِدُنْيِي كُلِّهِ قَبْلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ  
مِثْلَ الْقَرَالِ نَاعِمًا فِي دَلِّهِ وَاتَّصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهِ

وقد أشارت هذه الجارية على الأصمعي بروعة ما في القرآن من بلاغة وفصاحة، وإيجاز وإعجاز، فالآية الكريمة جمعت بين أمرين وهما: ﴿أَرْضِيبِي﴾، و﴿فَالْقَبِي فِي أَهْمِي﴾، وقبين وهما: ﴿لَا تَخَافِي﴾ و﴿لَا تَحْزَنِي﴾ وخبرين وهما: ﴿أَزَحْنَا﴾ و﴿عَفِي﴾ وشارتين وهما: ﴿إِنَّا رَأَوْنَهُ بِعَيْنِنَا﴾ و﴿وَوَجَّعَلُونَهُ مِنَ الْمُرْضَلِينَ﴾، فالبشارة الأولى: برؤيه إليها سابعاً كرمها، والبشارة الثانية: وهي أن الله سبحانه وتعالى سيحمله رسولا هاديا.

فانظر - رعاك الله - كيف أدركت هذه الجارية البثوية بفطرتها العربية، سرا من أسرار هذا الإعجاز والإعجاز، وانتهت إلى ما لم يدركه هو من أسرار هذا القرآن، فكان الآية نظمت في عقد من اللؤلؤ والمرجان، فكانت لأفئدة بحيران.

ويروي أن ابن المنعم - الكاتب البليغ المشهور - حاول أن يعارض القرآن ذات مرة، فسمع صيا يقرأ قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ رَبَّنَا سَحَاءً أَفْلُجِي وَبَعْضُ السَّاءِ أَفْجِي الْأَمْرُ وَاشْتَوَتْ عَلَى الْحُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِتَتْرَفِ الْعُجْلُبِي﴾ (سورة هود: ٤٤)، فكسر الألفلام، ومزق الصحف التي كان قد بدأها في المعارضة، وقال: هذا والله مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها، فمزق ما جمع، واستحيا على نفسه من إظهاره. وهكذا رجع الأديب فكبح البليغ عن عزمه بعد أن حدثته نفسه بمعارضة بعض سورته؛ لأنه شعر بروعة القرآن.

ثم انظر إلى الجزالة والإعجاز في أسلوب القرآن، وفارنها بأروع أسلوب نطق به عربي، وهو أسلوب أفصح من نطق بالضاد، سيد المرسلين محمد بن عبد الله، الذي شهد ببلاغته وفصاحته تعدده قبل أنصاره، فإِنَّ بين "القرآن والسنة النبوية" تحد الفرق شامعا، والبين بعيدا، كتفرق ما بين السماء

والأرض، قبلاغة القرآن ونضارته وإشراقه في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإعجاز والبيان، تأمل قوله ﷻ في صفة الجنة وما فيها من نعيم وخلود: "فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" الحديث، وفازن بين هذه الألفاظ على روعتها وبين قوله تعالى في وصف نعيم أهل الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَبِه الْأَنْفُسُ وَفَلَذُوا الْأَعْيُنُ﴾ (نور: ٣١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ عِشْرَ مَا تُخْفِي تَهُ مِنْ قُرْءَانٍ خَبِيرٍ﴾ (المحمد: ١٧)، فهذا أمثل وزنا، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأجزل عبارةً، وأقل حروفاً.

ووزن بين قوله ﷻ: "كلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، الرجل راعٍ في بيته، ومسؤولٌ عن رعيته" الحديث.

وبين قوله تعالى: ﴿فَقُورَتِكَ لِنِسَاءَتِهِمُ الْخَبِيرِ﴾ عَمَّ كَانُوا يَقُولُونَ (نور: ١٧)، وقوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (المرج: ٢).

وكذلك فازن بين سائر أقواله ﷻ وبين القرآن الكريم، تجد أن كلام الرسول على بلاغته لا يخرج عن كونه كلام بشر في الذروة العليا من الكلام، أما كلام الله تعالى فلا ينسبه كلام لأنه كلام خالق البشر، انظر إليه وهو يتحدث في جزء آية من آياته المجددة عن أعمال الأمم السافيين، ومال الجاحدين، الكاذبين، وما حل بهم من كوارث ونكبات، نتيجة لطغيانهم ومردهم، ثم كيف انتقم الله منهم جميعاً بعد أن حاربوا الحد في الطغيان. فلم ينح منهم إنسان، يقول حل ناره: ﴿فَفَعَلْنَاهُمْ مِنْ أَزْوَاجٍ خَاصِيًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الضُّيُغَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانُوا لِنُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (نور: ١٤).

يقول القرطبي رحمه: نقلنا عن "ابن الخصار": وهذه الثلاثة أوجه من "النظم، والأسلوب، والجزالة" لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبما وقع لتحكي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تفرد بمدة ثلاثة من عمر أن يتضاف إليها أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة "الكوثر" ثلاث آيات فصلاً،

وهي أنصهر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن ميتين:

أحدهما: الإخبار عن الكثر - غر في آيته - وعصفه وسعته وكثرة أوائجه، وذلك يدل على أن المصدقين به أكثر من أتباع سائر لرسول.

والثاني: الإخبار عن الوليد بن المغيرة، وكان عند نزول الآية ذا مال وولد، ثم أهلته الله سبحانه بماله وولده<sup>(١)</sup> وانقطع نسله<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - التشريع الإلهي الكامل:

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم ذلك التشريع الإلهي الكامل الذي يسمو فوق كل تشريع وصفي عرفه بشر في القديم والحديث. فالقرآن الكريم هو الذي وضع أصول العبادات، وأحكام العبادات، وقوانين الفضائل والأدب، وقواعد التشريع الاقتصادي والسياسي، والفنني والاحصائي، وهو الذي نظم حياة الأسرة والمجتمع، ووضع العدل المباني، الإنسانية الكريمة التي يناهز بها دعوة إصلاح في القرن العشرين، ألا وهي المساواة، الحرية، العدالة - التي يسمونها الديمقراطية - الشورى إلى غير ما هنالك من أسس الحضارة والتشريع الذي تسعى إليه المدنية الحديثة، ففي العقائد دعا القرآن إلى عقيدة ظاهرة سامية، واضحة جلية، عمادها الإيمان بالله عز وجل والتصديق بجميع أنبيائه ورسله، والإيمان بجميع الكتب السماوية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغُوا بِلَاغًا بَلًّا مِنْ رَبِّهِمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَبِعُوا صُلُوبَكُمْ فَكُنْتُمْ لِلْعَالَمِينَ آيَةً﴾ (البقرة: ٢١٧).

ودعا أهل الكتاب - اليهود والنصارى - إلى كلمة سواء، لا يحرف فيها ولا التواء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا مَعَشَرًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وفي العبادات جاء القرآن العظيم بأسس العبادات ودعاكمها، فشرع الصلاة والصيام، والحج

<sup>(١)</sup> معنى الأمر المبدي لا ولده ولا نسل، والثاني: معناه الشخص. وقد قل مرعشي الحارثي في بعض من ذلك.

<sup>(٢)</sup> الجامع لأحكام القرآن لسفطيني: ٧٤/١.



والزكاة، وسائر أعمال البر والطاعة.

وليست 'العبادة' في الإسلام قاصرة على هذه الدعائم والأركان، بل هي تشمل كل عمل غير وفعل برا، أو طاعة، ولهذا فإن العلماء فرروا أن كل عمل يفتقد به الإنسان وجه الله يكون عبادة. وقالوا: "إن لنية الصالحة تغيب العبادة إلى عبادة". فإذا عمل الإنسان، واحترف له صنعة بقصد لتعفف عن الحرام، والإنفاق على أهله وحياله، وإذا أكل أو شرب بقصد التقوي على طاعة الله كان عمله عبادة يثاب عليها، والأصل في هذا قول النبي الكريم ﷺ: "وإنك لن تتفق نفقة تبغني بها وجه الله إلا أحرث عليها، حتى الممعة تضعها في في امرأتك" الحديث.<sup>(١١)</sup> وقوله ﷺ: "وفي بُشْع أحدكم صلعة، فقلوا: يا رسول الله! أيأمن أحدنا شهرته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرايتم لو وضعها في حرام أكلان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر".<sup>(١٢)</sup>

وإذا أعمد النظر في أصول العبادات المفروضة نجد أن الإسلام قد وسعها ونوعها، وحملها ضرباً متفاوتاً، فمنها ما هو "عبادة مالية" كالزكاة والصدقات، ومنها ما هو "عبادة بدنية" كالصلاة والصيام، ومنها ما هو يجمع بين الأمرين 'عبادة مالية وبدنية' كالجهاد في سبيل الله يكون بالمال والنفس، وهذا التنوع به مغزاه وحكمته السامية، وذلك؛ فلا تألف النفس شيئاً فتصبح لها عادة، أو عمل وتضجر من العبادة الواحدة.

وفي مجال "التشريع العام" نجد القرآن العظيم قد وضع قواعد عامة في التشريع المدني، والجنائي، والسياسي، والاقتصادي، ووضع أسساً للتعامل الدولي في حالة السلم والحرب على أكمل وجه وأعدل نظام.

<sup>(١١)</sup> الحديث من رواية البخاري في قصة "سعد بن أبي وقاص" حين دخل الرسول ﷺ بوزراء من وجه الشدة به.  
<sup>(١٢)</sup> الحديث من رواية مسلم، وهو في باب كثرة طرق الخير، وأولها: أن ما قالوا: يا رسول الله! ذهب أهل العنور بالآحور.

ففي أمر المعاملات، حرم القرآن أكل أموال الناس بالباطل ﴿فِيهَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَيْنَهُمْ فُتًى عَنْ تَرَاهِي مَتَّكُمُ﴾ (البقرة: ١٨٥).

ودعا إلى الاعتدال عند إبرام البيع وبكالة الدين ﴿فِيهَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا فَعَلْتُمْ بَيْنَكُمْ إِلَى أَهْلِ مَسْئَلٍ فَأَكْتُمُوا وَلِيَكُنْ بَيْنَكُمْ كِتَابٌ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة: ٢٨٢). وفي الأمور الخفائية شرع القرآن الحدود، وأوجب على الأمة تعديدا من أجل حماية المجتمع، وصيانة من القوضى والاضطراب، وتأمين الأمة على حياقتها ومستقبلها، وأموالها وأعراضها لتعيش الحياة الكريمة السعيدة التي لن تكون إلا عن طريق الأمن والاستقرار.

وقد نهر القرآن أنكرهم على أمهات الجرائم، وأعظمها عتوا على مستقبل الفرد والجماعة، ووضع لكل منها عقوبات مقدره لا تخور الزيادة عليها أو القصص منها، أو تشابه في نفيها، وترك ما سوى ذلك من "الجرائم الخفيفة" لحكام المسنم ينفذ فيها ما يراه من العقوبة على ضوء أسسة الشريعة المطهرة، وبالشكل الذي يخفى روح الإسلام من إرادة الخير للناس، وتطهير المجتمع من الفساد والمظالم الاجتماعية.

أما جرائم الكبر التي عَنَّ لها القرآن عقوبات رادعة، فهي خمسة: "جرمة الفحل، جرمة الزنا، جرمة السرقه، جرمة قطع الطريق، جرمة الاعتداء على كرامة الناس بالمفده".

وأهل أروع مثل للمقارنة بين "التشريع الإلهي القرآني" وبين "التشريع الوضعي" الذي هو من صنيع البشر، ذلك الأمر العظيم الذي تركه القرآن أنكرهم في دعوى العرب، بسبب تلك الطريقة الحكيمه التي سلكها في معاملة المعامد والأمراض الاجتماعية حيث قضى على كل فساد، واستصل كل جرمة من نفوسهم، وجعلهم يحرم أمة أخرجت للناس، فملكوا الدنيا وسادوا العالم.

أمتلة من واقع الحياة:

ومن الأمتلة على تفوق ذلك التشريع القرآني الحكيم على بقية التشريعات البشرية والنظم الأرضية: ما نلمسه في واقع الحياة، ويمكن أن نشر إنذاره حافظة إلى سمو الشريعة الإسلامية على بقية

النظم فيما يلي:

- ١ - منذ زمن قريب حوّلت "أمريكا" الحمر، ولكنها فنّشت، ولم تسمح؛ لأنها لم توفّق إلى الطريقة الحكيمة التي تشجع الإسلام في تحريم الحمر، فعادت إلى إناخته مع اعتقادها بضرره القادح.
- ٢ - أماحت بعض الدول الغربية وخاصة "أمريكا" الطلاق بعد أن كان ممنوعاً لديها بسبب تعاليم الكنيسة، ولكنها أسرفت فيه إلى درجة ضارّة، ولا تزال تأخذ بشريع الطلاق.
- ٣ - مصلحو أوروبا يرمون أصواتهم بضرورة السماح "بتعدد الزوجات" حتى بعض نساءهم ضابن بذلك نتيجة لكثرة العواصر من النساء، بحيث أصبحت المشكلة ذات أهمية خطيرة على المجتمع الأوروبي.
- ٤ - الحيوانات الزوجية نشرت في المجتمع الأوروبي "المتعدن" بشكل فظيع، وبصورة مذهلة، حتى أصبحت الأسر مهددة بانقضاء عراها، وكثر فيها اللقطة، وذلك بسبب السعور والتبرج، والاختلاط بين الجنسيتين.
- ٥ - إسبانيا؛ أصدرت حكومتها قراراً وسّعت قانوناً بمنع البغاء الرسمي في بلادها، ومنع النساء من المرور على الشوارع في ثياب الامتنعاص.
- ٦ - رجم فرنسا ندى غداة هزيمتها أمام الألمان في الحرب الأخيرة يقول: إن سبب هزيمة دولة فرنسا وسبب هزيمتها وانكسارها هو انقسامهم في الشهوات الجنسية، وإسرافهم في التماسك والفاتن.
- ٧ - وأخيراً نجد أن الجرائم تزداد في كل يوم في المجتمع التعدن "المجتمع الغربي" مع صرامة العقوبات المشروعة عندهم بأجناس والسجن السنوات الطويل، أو الإعدام بالشنق، ومع ذلك نجد الجرائم المروعة من حفظ اللغبات والفتيان، وإزهاق لألأرواح، وسرقة في وضع النهار لسيوت والنوك والمخلات الكبيرة حتى لقد أصبحنا نسمع عن وجود عصافيت عظيمة، فهدد أمن البلاد وسلامة العباد، وذلك من أنظم المراهقين على فشل النظم الوصمية، والنشريات البشرية. أما الإسلام فقد حقق الأمن والسلام، وفرض على الجريمة في مهدها،

[illegible]

أين ما نصبت عقولاً ضلالت من إظلم النظم النظم  
 إله عذر شعري ضلوك عصرا نير الوحى فسمع الإنسان  
 لست مؤثـر بل أنت تار وخلق مدح جعلت الإنسان كالحيوان  
 ذلك هو الفرق بين شعري الراسي وشعري الإنسان ولكن أكثر الناس لا يعلمون<sup>١</sup>

٥ - الإحبار غير النقيصة:

وَمِنْ مَعْرُوفَاتِهِ أَنْ يَخْتَارَ الْقَوْمَ الْكَرِيمَ إِعْزَازَهُ عَنِ الْمَغْضَاتِ. وَذَلِكَ بِرَهَانٍ سَاطِعٍ، وَدَلِيلٍ قَاطِعٍ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَاتِ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ مَسْرُورٍ، وَهِيَ عَمَّا كَذَّبَ عَلَيْهِ الْعُيُوبُ الَّذِي لَا تَغْنَى عَلَيْهِ حَافِيَةٌ، وَهُوَ كَانَ مِنْ صَنَعِ مُحَمَّدٍ كَمَا رَعِيَ - نَفْثِيَّتُهَا تَدُلُّهُمُ الْبُرْصُوعَ فِي نَفْثِ الْأَحْزَانِ الْعَبِيَّةِ بِوُقُوعِهَا عَلَى عَرُوفٍ مَا أُعْبِرَ، وَلَا تَفْصَحُ أَمْرَهُ بِالْكَذِبِ الْقَبِيحِ، وَجَاهِلَتُهُ بِالْكَذْبِ مِنْ كُذِّبَتْ عَلَى اللَّهِ.

ففس هذه الأعداء أغبية بخداه عن الحرب التي استطع بين الروم والفرس، وسكون  
أعليه فيها والانتصار للروم بعد أن انكسروا في الحرب السابقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ  
فِتْنَتَ الرُّومِ﴾ أي أفسد أوضاعهم من بعد غلبتهم سيفلئون. أي يصح سبيلهم للأمر من قبل ومن  
بعد وأولهم يدع السوفيون. ينصرون في انتظار من يشاء، وهو العرب الرجحون ﴿الرُّومِ﴾ (٥٠).

يذكر المفسرون في كتب الروا هذه الآية أن حرباً وقعت بين دولة الروم وهي "مسيحية" ودولة الفرس وهي "أولية"، فانتصر الفرس على الروم، ففرح المسلمون وشتوا، ودنوا المشركون، فزعموا أنكم أهل كتاب، وأن نصارى أهل كتاب، وأما فلا ظهر، فخرت على أفعالكم، وبظهرت نحن عليكم، فأنشدوا الملاحون، وحرر، لا فرار الروم، وهم دولة متدنية أمام دولة الفرس وهم "أشوي"، فترت الآية الكريمة تنشر المسلمين بانتصار الروم على الفرس.

في مدة وجيزة، تتراوح بين الثلاث والتسع من السنين ﴿فَبِضْعِ مَبِينٍ﴾، ولم يكن منظورنا وقت تلك البشارة أن الروم تنتصر على الفرس؛ لأن الحروب الطاحنة أهلكتها حتى غربت في عقر دارها، ولأن دولة الفرس كانت قوية منيعة، وزادها الظفر الأخير قوة ومتعة، فلما نزلت الآية الكريمة رآهن أبوبكر بعض المشركين وهو أبي بن خلف علي مائة ناقة إلى تسع سنين، ولم تقض المدة حتى وقعت الحرب بين الروم والفرس، فانتصر فيها الروم والفرس، وتحققت نبوءة القرآن، وذلك في سنة ٦٢٢ ميلادية، الموافقة لثلاثة أثنائية من الهجرة النبوية، وكسب أبوبكر الرهان، فأمره ﷺ بالتصدق به.

وفي الآية نبوءة أخرى، وهي أن المسلمين سيفرحون بنصر قريب في الوقت الذي ينتصر فيه الروم: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرَّحُ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾، ولقد صدق الله وعده في هذه كما صدقه في تلك، فكان ظفر المسلمين في بدر واقعاً في ططرف الذي انتصر فيه الروم، وهكذا تحققت النبوءتان في وقت واحد بفضل الله.

يقول الرخشري: وهذه الآية من الآيات البينة المشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله؛ لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يعنه إلا الله.<sup>(١)</sup>

ب- النسوة بدخول الرسوق وأصحابه مكة أميين مطمئنين. روي أن النبي ﷺ رأى رؤيا في منامه، وذلك قبل عروجه إلى الحديبية، رأى كأنه هو وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين، وقد حلقوا وفصروا، فقص الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا، وحسبوا إنهم داخلوها من عامهم؛ وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق، فلما كان صلح الحديبية عرجوا من المدينة عشرين يسوقون الهدى إلى مكة لا يفقدون حرياً، وإنما يفقدون العمرة والنسك، ولكن فريشاً صدقهم، وكادت تقع الحرب بين المسلمين والمشركين، لولا أن الرسول ﷺ رضي معهم بالصلح إيثارا منه للمسلم وحياً للسلام العام.

<sup>(١)</sup> نظر الكشاف: ٤/٣٤٥، في سبب نزول الآية الكريمة.

وكان من شروط ذلك الصلح أن يرجع الرسول ومن معه من ذلك العام على أن يدخلوا مكة في العام التالي، وأنفذ المنافقون تبعاء الإيمان من ذلك سبيلاً إلى الطعن والنميمة، حتى قال رئيس المنافقين عبدالله بن أبي: والله ما خلفنا ولا نصراً، ولا رأياً للمسجد الحرام، ولكن نزلت الآية الكريمة بحمل تلك الشهود الثلاثة المؤكدة وهي: دخول مكة، وقاء النسك، والأمن من غريش على رغم ما هو معروف من عدم غريش ومكثهم اليهود، وتقطيعهم الأرحام، وقد أنذر الله وعده فتم الأمر، ودخل المؤمنون مكة آمنين مطمئنين، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي أَنقَضَ إِلَهُ سُوْرَةَ لِرُؤْيَا بِالْحَقِّ فَنَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذْ شَاءَ فَقَا أَتَيْنَا مُخْلِطِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُعَصِّرِينَ لَا تَخَفُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجِئْنَا بِمِخْلَصٍ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَا فَرِحْنَا﴾ (البقرة: ٢٦).

ج- تنبؤ القرآن بالهزم المشركين قبل وقوع الحرب، وذلك في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿إِنَّمَا يَقُولُونَ أَخْزِ جَمِيعَ مُتَحَسِّرِينَ﴾ سيهزم الجميع ويقولون الذُّرُّ، قال الشاعر: نَزَعَهُمْ وَشَاعَهُ أَذْهَى وَأَمْرٌ (القمر: ٢١-٢٢)، وسورة القمر مكية، والجهاد لم يشرع إلا في السنة الثانية من الهجرة، فآين هي إذا فكرة الحرب؟ ومن الذي كان يحول نخطره أن يهزم جميع المشركين، ويتنصر عليهم المسلمون وهم قلة في العدد والعدد، ولكنه وعد الله لا يخلط. روي عن عكرمة أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿سَيَهْزِمُ أَخْخَعُ وَيُؤَلِّقُونَ الذُّرُّ﴾، قال عمر بن الخطاب: أي جمع هذا الذي سيهزم؟ فلما كانت غزوة بدر رأى رسول الله ﷺ وهو يقب في الدرع ويقول: ﴿سَيَهْزِمُ أَخْخَعُ وَيُؤَلِّقُونَ الذُّرُّ﴾، فصرح عمر تأويلها. (١) وروي عن ابن عباس: كان يبر بوزن هذه الآية وبين بدر سبع سنين.

د- تنبؤ القرآن بذلك المستقبل الأسود الذي ينظر كعمار فريش، وذلك في قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿إِنَّمَا يَنْتَظِرُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ تَتَغَشَّى السَّمَاءُ هَذَا غَدَابٌ أَلَيْسَ تَرَوُنَّ أَكْثَبَ غَدَابِ أَلَيْسَ تَرَوُنَّ أَنَّ لَهُمُ الذُّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلٌ مُّبِينٌ تَلُمُّ تَوَلَّوْا مُنْجِبَةً

وَاتْلُوا مِنْهُمْ مَخْرُوجًا - إِنَّا كَاتِبُونَ الْعَذَابَ قَلِيلًا لِمَنْ هُوَ عَنْشُرُونَ - يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِسُونَ ﴿١٠٠﴾ وَالصَّادِقُ ١٠٠: ١٠٠.

وسب نزول هذه الآيات الكريمة: أن أهل مكة لما كذبوا رسول الله ﷺ، واستعصوا وغردوا عليه، دعا عليهم فقال: اللهم أنصني عليهم بسبع كسيع يوسف فأخذهم من تحت كل شيء حتى كملوا المخلود والميتة من الخروع، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهينة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا عمداً إنك حئت تأمر بطاعة الله وبصنة إبراهيم، وإن قومك قد هدكوا فادعوا الله لهم، فنزل الله هذه الآيات الكريمة <sup>(١)</sup>

قال الزرقاني رحمه الله: وفي هذه الآيات عند التأمل خمسة تنبؤات:

أولها: الإعجاز بما ينشأهم من القحط والجوع، حتى يرى الرحمن بينه وبين السماء كهينة الدخان.

الثاني: الإعجاز بأنهم سيخرجون إلى الله حينئذ فيهم هذه الأرملة.

الثالث: الإعجاز بأن الله سيكشف عنهم ذلك العذاب قليلاً.

الرابع: الإعجاز بأنهم سيعدون إلى كفرهم وعتوهم.

الخامس: الإعجاز بأن الله سينقم منهم يوم البطشة، وهو يوم بدر.

ثم قال: ولقد حقق الله ذلك كله، ما أخرجه منه ولا نبوءة واحدة، فأصيبوا بالفتنة حتى أكلوا العظام، وجعل الرحمن ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهينة الدخان من شدة جوعه وجهده، ثم قالوا متضرعين: ﴿يَا أَيُّهَا كُتِبَ عَلَيْنَا الْعَذَابُ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، ثم كشف الله عنهم العذاب قليلاً، ثم عدوا إلى كفرهم وعتوهم، فأنقم الله منهم يوم "بدر"، فبطن بهم البطشة الكبرى حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون، وأدلى للمسلمين منهم. أوليت ذلك كله؟ هل يمكن أن يصبر مثله من محن؟ كلا، بل هو الله العزيز الحكيم.

٥- النبوة بإظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا رِسَالَاتِي﴾

<sup>(١)</sup> الحديث من رواية البخاري ومسلم.

بأنه نذرى ودين الحق يظهر على الدين كله ولو كره المشركون ﴿١٠٠﴾ (سورة هود).

وكذلك النبوءة بالمستقبل الجاسم الذي سيكون للمؤمنين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَبَعْدَ ذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ مَأْمُورُونَ بِالصَّالِحَاتِ فَاصْلِحُوا إِنَّمَا يُبَشِّرُ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ (سورة هود).

وقد غنق هذا الوعد الإلهي، فأظهر الله الإسلام على جميع الأديان، ومكن للمسلمين في الأرض في حياة النبي ﷺ حتى استولوا على جميع البلاد العربية، ولم يبق جزء منها إلا دان للمسلمين بالظلمة، ومن لم يدخل في الإسلام دخل في دمة المسلمين، وحضر لسطاق، ودفع الجزية لهم، ثم صار أصحابه من بعده إلى أرض كسرى، وأرض همل، فأزلقوا دولة الفرس، ودولة الرومان، ولم يبق من الرمان، حتى أصبحت رقعة الدولة الإسلامية، فصارت تحت من بحر الظلمات في المغرب إلى تخوم الصين في المشرق، فتحقق بذلك الوعد الكريم، وكان وعد الله مفعولاً.

وكل هذه - وأمثالها في القرآن كثير - أخبار عن المستقبل، وقد تحققت جميعها، وهذا أمر عارف للعامة، فكان وحدها من وحده الإعجاز، لأن منه لا يتفق إلا بأخبار من عند الله حل وعلا، ولا يغيب عن بئنا أن جميع القصص التي جاء في القرآن الكريم هو من باب الإنذار عن عيوب الماضي، الذي أطلع الله رسوله الكريم عليه، وما كان له علم بها، ولهذا ذكر الله جل ثناؤه قصة نوح، ثم أعقبها هذه الآية النكرية وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْبَأْ نِسَاءَكَ إِنَّمَا تُحِبُّهُنَّ مَا كُنَّ نَفْسُهُنَّ شَهِيدَةً لِّأَقْوَامِكُمْ مِنْ قَبْلُ هَذَا فَاذْكُرْنِي بِأَلَمَاتِكُمْ إِنِّي عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ (سورة هود).

وما أروع قصص القرآن الذي نزل على خاتم المرسلين؛ ليكون شيتاً لقلبه وذكرى للمؤمنين، وذلك أعظم برهان على أنه تنزيل رب العالمين، فبها لها من حكمة سامية، ومعجزة باهرة!

قال في عشرين: إنه النبي ﷺ مكث مع أصحابه بحكة عشر سنين، ولما هاجروا كانوا بالمدية بمسجون ويمسكون بهم في السلاح، حتى قال رجل منهم: ما يأتي على يوم نأس فيه وضع السلاح؟ فماتت الأمة الكوفة، وهم في عذاب شديد، فأنزله الله وعده، وأظهرهم على جزيرة العرب، وفتحوا بعد ذلك بلاد المشرق والمغرب، ورفقوا ملك لأكاسرة، وملكوا حجازهم، واستولوا على الدنيا كلها: ﴿١٠٣﴾ (سورة هود).



## ٦ - عدم التعارض مع العلم بالحديث:

ومن وجوه إعجاز القرآن ثلث الإشارات الدقيقة إلى بعض العلوم الكونية التي سبق إليها القرآن قبل أن يكشفها العلم الحديث، ثم عدم تعارضه مع ما يكشفه العلم من نظريات علمية حديثة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الناحية من نواحي الإعجاز بقوله جل شانه: ﴿وَسَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَهْلَ كُلِّ شَيْءٍ مُنْهَدِجًا﴾ (نمل: ٨٣)، ومع اعتقادنا بأن القرآن العظيم ليس كتاب طبيعة أو هندسة أو فيزياء، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد، وكتاب "تدريج وإصلاح"، ولكن مع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الدقيقة، والحقائق الخفية إلى بعض المسائل الطبيعية، والطبية، والجغرافية بما يدل على إعجاز القرآن وكونه وحياً من عند الله، فمن المقطوع به: أن محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب؛ وأنه نشأ في بيئة بعيدة عن مظاهر الحضارة، حيث لم تكن علوم ولا معرف ولا مدارس تُقرأ فيها العلوم الكونية؛ لأن قومه وعشورته كانوا أميين.

ومع ذلك، فإن النظريات العلمية التي أشار إليها القرآن لم تكن معلومة في عصره، ولم يكشف العلم أسرارها إلا منذ زمن قريب، وذلك من أصدق الدلائل على أن هذا القرآن ليس من تأليف محمد ﷺ - كما يزعم بعض المستشرقين - وإنما هو وحى من الله، أنزله على قلب سيد المرسلين بلسان عربي متين.

ولقد أجاد الأستاذ "عفيف طيارة" في كتابه "روح الدين الإسلامي"، فذكر بعض هذه الحقائق العلمية الدقيقة، ونحن نقل بعضها بشيء من الإيجاز مع التصرف.

## الفصل العاشر:

## معجزات القرآن العلمية

أولاً : وحدة الكون:

أظهر النظريات العلمية الحديثة تقول: إن الأرض كانت جزءاً من المجموعة الشمسية، ثم انفصلت عنها، وتبدت، وأصبحت صالحة لسكنى الإنسان، ويؤمنون على صحة هذه النظرية بوجود البراكين<sup>(١)</sup> والمواد المنهية في باطن الأرض، وقذف الأرض بين حين وحين لهذه الحسم<sup>(٢)</sup> من المواد البركانية المنهية... الخ.

هذه النظرية تتفق مع ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَوَّلَمْ يُرَ الْفُجُورَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الانباء: ٣٠).

يقول الأستاذ "طيارة": هذه معجزة من معجزات القرآن يؤيدها العلم الحديث الذي قرر أن الكون كان شيئاً واحداً متصلاً من غاز<sup>(٣)</sup> ثم انقسم إلى سداثم، وعالت الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات...

أما الشطر الثاني من الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ فهو من أبلغ ما جاء في تقرير حقيقة علمية أدرك العلماء سرها، فمعظم العمليات الكيميائية تحتاج إلى الماء، وهو العنصر الأساسي

<sup>(١)</sup> البركان: فتحة في القشرة الأرضية تخرج منها مواد منصهرة وعازات والحرق، بركن غالباً مخروطي الشكل. ويطلق كذلك على الجبل الذي يتكون من راكم هذا المواد.

<sup>(٢)</sup> الحسم: القضم، والرمدة وكل ما احترق من النار. واحده: حسم.

<sup>(٣)</sup> الغاز: حالة من حالات المادة الثلاث تكون في العادة شائعة، تتميز بأنها تشغل كل حيز نوضع فيه وتشكل بشكله، كالغاز والأوكسجين وثاني أكسيد الكربون في درجات الحرارة والضغط العاديين (وغار الفحم) مخلوط من العنرات يحصل في المواقد، إلخ.

لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات، ولقاء حوامس أخرى تدل على أن مدح الكون قد صممه بما يحقق صانع عظمته، والآن، ينعرض كميات كبيرة من الأوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة، وعندما يتجمد تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد الأحياء التي تعيش في البحار من أسماك وغيرها، فلما أعجب حكمة القرآن الذي بهي الكائنات، حيلة سر الحياة!

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير هذه الآية المكية: كانت السماء رنقا لانطر، وكانت الأرض رنقا لا تنب، فلما خلق للأرض أهلا، فنق السماء بالنظر، ونق الأرض بالنبات.<sup>(١)</sup>

أقول: هذا التفسير جميل وحسن، ويكون من باب "الاستدرة"، وهذا الذي ذهب إليه المفسرون القدماء، ولكن لا يمنع أن يكون في القرآن بعض هذه التواريخ العلمية التي كشفت عنها العلم الحديث، فالقرآن حملي وحوه، وليس هناك نكته في فهم أسراره، فربما فهم المتأخرون ما لم يفهمه المتقدمون؛ والله تعالى يقول: **يَسْتَرْبِيهِمْ** بِالْغَايَةِ **الْأَقَابِ** وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ لَهَا أَتَا لَخَقِّقَ (ص: ٥٢)، فنحل هذا من الآيات التي أصلهم الله عليها في القرن العشرين.

### ثانياً : نشأة الكون:

يقول العالم الفلكي جيزو: إن مادة الكون بدأت غزاً منتشر خلال الفضاء بانتظام، وإن المسام - المجموعات الفلكية - علفت من تكاثف هذا الغاز.  
ويقول المذكور حامو: إن الكون في بدء نشأته كان مموء بحار موزع توزيعاً منتظماً، ومنه جذات عميات.

هذه النظرية نودها في القرآن الكريم ما يؤيدها، ولولا أن القرآن أحرر عن ذلك لاستبعد

هذه النظرية - يقول تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا مَا كُنَّيْنِ﴾ (ص: ١١)، فالقرآن صوّر مصدر خلق هذا الكون "بالدخان"، وهو الشيء الذي يفهمه القرب من الأشياء الملموسة. أليكون في مفعول أمتي - منذ أربعة عشر قرناً - أن يدرك هذا في وقت كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون وعفاهاء؟.

ثالثاً : تقسيم الذرة:

ظل الاعتقاد السائد حتى القرن التاسع عشر أن الذرة هي أصغر جزء يمكن أن يوجد في عنصر من العناصر. وأنها غير قابلة للتجزئة لأنها الجزء الذي لا يتجزأ، وقد مصت قرون على هذا الاعتقاد. ومنذ عشرات استعين المأضية حول العلماء اهتمامهم إلى مشكلة "الذرة"، فأمكنهم تجزئتها وتقسيمها، وقد وجدوا أنها تحتوي على الدقائق الآتية:

(١) البروتون (٢) النيترون (٣) الإلكترون

وبواسطة هذه التجزئة اخترعوا القنبلة الذرية، والقنبلة الهيدروجينية، ونحو ذلك من قيام الساعة ومن شر إبليس العين.

استمع إلى قوله تعالى عند الإخبار عن الذرة: ﴿وَمَا يَخْزِبُ<sup>(١)</sup> عَنْ رَبِّكَ مِنْ يَغْثَالٍ دُرٍّ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يس: ٦١).

فكلمة ﴿أَصْفَرُ﴾ من الذرة في الآية القرآنية: نصريح جلي بإمكان تجزئتها، وفي قوله: ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ بيان بأن خواص الذرات في الأرض، هي نفس خواص الذرات الموجودة في الشمس والنجوم والكواكب، فهل درس محمد ﷺ خواص الذرة، وأمكنه تجزئتها، والوقوف على خواصها في الأرض والسماء؟ إنها لدليل قوي على أن القرآن وحى إلهي.

<sup>(١)</sup> يخرب: أي يغيث ويغني.

### رابعاً : نقص الأوكسجين:

منذ اكتشاف الطيراني، ظهرت للعلماء بادرة طبيعية، وهي: "نقص الأوكسجين في طبقات الجو العليا"، فكلما حلّق الإنسان وارتفع في أجواء السماء، كلما أدركته هذه الظاهرة، وشعر عند ذلك غسق الصدر وضيق التنفس، حتى ليكد ينزع بالاحتناق، ولهذا فإن طيّارين يعطون تعليمات للركاب بأن يستعملوا "الأوكسجين الصناعي" حين تنحدر بهم الطائرة إلى مرتفعات عالية تزيد عن ٣٥ ألف قدم. هذه الظاهرة العلمية أشار إليها القرآن الكريم قبل اختراع الطيراني، وقيل أربعة عشر قرناً، استمع إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضَلَّ يَحْمِلْ ضَلَالَتَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (١٠١: البقرة).

ولقد كان القدماء يفسرون هذه الآية حسب مفاهيمهم التي تنفق مع زمانهم، فكانوا يقولون ﴿كَأَنَّا يَضَعُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: كمن يحاول الصعود إلى السماء، وهو ليس بمستطيع، أو كمن يحاول عمل المستحيل.

وقد جاء هذا العصر، فأظهر معجزة القرآن، وسجل اتفاقاً رائعاً لقراءة مع الرفع العلمي، فكان تأييداً لصديق نبوة محمد ﷺ، قبله ما أروع هذا القرآن، وما أسمى؟

### خامساً : الزوجية مبنة في كل شيء:

كان الناس يعتقدون بأن الزوجية الذكورية، والأنثى "مبنة بين النوعين" الإنسان، والحيوان فقط، فعاء العلم الحديث، فثبت أن الزوجية توجد في النبات كذلك، وفي الجسد، وفي كل ذرة من ذرات الكون والوجود حتى الكهرمان، ففيها "الزوج"، وفيها "التسالب"، هذه بها شحنة كهربائية موجبة، وتلك فيها شحنة كهربائية سالبة، وحتى الذرة بها "البروتون" و"النيوترون"، وكل منهما يشبه للذكر والأنثى، وهذا الاكتشاف سبق إليه القرآن العظيم في عديد من الآيات الكريمة، استمع إلى هذه الروائع البينات:

ث- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس: ١٨)، فالعصاة هموا واثقوا  
﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

ب- ﴿وَاللَّهُ يَرَىٰ مَا تَكْمُلُ لَكُمْ مِن شَيْءٍ﴾ (يونس: ١٨)، الإشارة هنا للصفات  
ج- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي حَقَّ الْكُزُوفُ فَكُلًّا مَّا نَبَتْ الْأَرْضُ وَمِنْ أُنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا  
يَعْتَدُونَ﴾ (يس: ١٣).

فهذه الآية الكريمة عممت الروحانية في السموات والأرض، وفي كل شيء، ثم بعد ذلك لم تترك  
فصحاح الآية تقديم تعليل الذي أحاط علمه بكل الأركان، وأخصى كل شيء عدداً.

#### سادساً: أغشبية الجحيم:

ثبت علمياً أن الجحيم في بعض أمه تتخذ بثلاثة أغشبية، وهذه لأغشبية لا تظهر إلا عند شرح الدقيق،  
وتظهر بالعين المجردة كأنها غشاء واحد، وهذه الأغشبية هي التي تسمى: "الغشاء النباري"،  
والمعروف بـ "المفلفلي". هذا ما أثبتته أحاديث الحديث، وقد جاء القرآن الكريم مؤيداً هذه  
الحقيقة العلمية، وذلك في سورة الرعد في قوله جل وعلا: ﴿يَخْفِكُمْ فِي بُحُونٍ تَهْتَائِكُمْ خَلْقًا  
مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ يَبْذُلُهُ لِمَن يَشَاءُ﴾ (الرعد: ١٢)، ففي هذه الآية معجزة علمية  
للقراء، فقد أخبر أن الجحيم به ثلاثة أغشبية سماها: "الظلمات"، لأن الغشاء خارجي، وحجاب  
يخبر عنه النور والضياء، وهي في تعلم حديث ثلاثة أغشبية.

#### سابعاً: التفقيح بواسطة الرياح:

ثبت العلم الحديث: أن الهواء ينشئ الأعضاء الخفيفة في القوالب في النحل والبرق، وغيرها من  
الأممجار المعروفة فيكون التفقيح بواسطة الرياح "والهواء"، وهذه اسماوية العلمية تحدث عنها

﴿يَقُولُ الْمَسْكُوفُ الْمَسْكُوفُ الْأَسَدُ فِي مَعْرَضِهِ الْمَعْفُورَةِ فِي الْفَرْقِ الْفَاصِي. إِنَّ أَحَدَ الْإِنِّ نَدَّ  
عَرَفُوا أَنَّ نَرَجَ فَتَحَ الْأَشْجَرُ وَالشَّارِبُ لَوْ بِمَسْجِدِ الْفَرْقِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ نَوْبًا، يَتَمَّ بِذَلِكَ أَنَّ هَذَا مَا  
سَبَّحَ إِلَهُ الْقَرَارِ. وَالْمَعْلُومُ بِهِ شَهَادَةُ بِهِ الْأَعْدَاءُ

القرآن الكريم في قوله حلّ شالوه: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ فَرْفَاجًا فَنُفِثَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَاصْتَبَقَتْ شَجَرُهُ وَأَمَا أَعْيُنُهُمْ يَخْذُلُونَ﴾ (سجدة: ٢٠)، وهذا سبق للفرد في الحقائق العلمية الثابتة مما يدل على صدق النبوة.

ثامنا : الحيوان المنوي:

اكتشف الطب الحديث أن هذا لسائل من مفرّ الإنسان: يحوي حيواناً صغيرة تسمى: "الحيوانات المنوية"، وهي لا ترى بالعين المجردة، إنما ترى "الميكروسكوب"، وكل حيوان مهله رأس ورغبة وذيل، يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالويضة الأنثوية فيفتحها، فإذا ما تمّ المذاج التطبق علق الرسم. فلم يذعن شيء من بعده إلى الرحم، وأما بقية الحيوانات فتصور، وهذه الناحية العلمية وهي: أن السائل المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم، فقد أثبتها القرآن، استمع إلى قوله حلّ وعلّ: ﴿فَرَأَى اسْمَ ذَلِكَ الْبَاقِ خَسَنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (الشمس: ٢٠)، فهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن، وبقدر وقت نزولها ولا بعده ثبات المبرهن إلى أن اكتشف، الجهر الكثير "الميكروسكوب"، وعرف كيف يتكون الإنسان بقدرة الله!

ثاسعا : اختلاف بصمات الإنسان:

في القرن الماضي سنة (١٨٨٤م) سمعات في انكازا رسميا طريقة التعرف على الشخص بواسطة بصمات الأصابع، وأصبحت هذه الطريقة متبعة في جميع الدلاء ذلك، لأن بشرة الأصابع مغطاة بخطوط دقيقة، وعلى عدة أنواع: "القولس"، "مروء"، "دوامات"، وهذه الخطوط لا تتغير مدى أحياء، وجميع أعضاء الجسم تتساوى أحياء، ولكن الأصابع لها مميزات خاصة، إذ أنها لا تتعدى ولا تتقارب، وهنا المعجزة الإلهية، فلماذا اختار الله سبحانه سان الإنسان في إقامة الدليل على السمعة: ﴿فَرَأَى اسْمَ الْإِنْسَانَ أَنْ نَحْمِلَ عِظَهُمْ، بَلَى فَاذْهَبْ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِأَنَّهُ﴾ (القلم: ١٠).

## ٧ - الوفاء بالوعد:

ومن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم "الوفاء بالوعد" في كل ما أحرع عنه، وفي كل ما وعد الله سبحانه عباده به، وهذا الوعد ينقسم إلى قسمين:

أ- وعد مطمئن.

ب- وعد مفيد.

فالوعد المطلق كوعده بتعسير رسوله، وبخروج الذين أخرجوه من وطنه، وأهمل المؤمنين على الكافرين، وقد تحقق ذلك كله، اقرأ إن شئت قوله حل وعلا: ﴿وَأَنَّا لَنُنَزِّلُ لَكَ نَبَأًا مَّيْمِنًا، لِنُبَيِّنَ لَكَ مَا فَخَّرْنَا مِنْ قَبْلِكَ. وَمَا تَأَخَّرُ رَأْسًا نَعْتَمِدُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَنُبَيِّنُكَ لِقَوْمٍ يُفْزِرُونَ﴾ (الجم: ١-٣).

وقد تحقق هذا تنصر هؤلاء، ودخول الناس في الإسلام أئواماً فؤاجاً، وبذلك تمت التهمة على سيد الأئام محمد ﷺ وإمر الله عليه بصره على عاصمه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الصَّالِحِينَ وَرَأَيْتَ ثَمَامَ يُدْخِلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاحًا، فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَابِيًّا﴾ (الجم: ١-٣). وصدق الله وعده بصره لأسبته وأولاده: ﴿وَأَنَّا لَنُنَصِّرَنَّ رُسُلَنَا وَلَيَمِيزَنَّ أُمَّنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (عنبر: ٥١).

ومن الوعد المطلق قوله جل شؤد: ﴿وَرَأَى ثَمَامٌ ثَقَفًا عَلَيْهِ نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الرو: ٤٠)، وقد تحقق نصر المؤمنين في مواطن عديدة في بدر وأحد وغيرهما من المعارك العظيمة التي شهدتها تاريخ الإسلام، اقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذُنًا فَلَقَا وَاللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (السن: ١٢٣)، وقوله حل وعلا: ﴿وَلَقَدْ جَافَقْتُمُ اللَّهَ وَغَدَاةَ ذِئْبِجُوتِهِمْ فِي بَدْرٍ﴾ (السن: ١٢٣).

فجسولهم: أي تقبيلهم قداماً ورجعاً

ومن الوعد المطلق قوله سبحانه: ﴿وَوَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا اسْتَخْلَفَ السَّبِيحِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الرو: ٥٥).



وقد تحقق الوعد، فانتصر المؤمنون حتى فصحوا مشارق الأرض ومغاربها، وسارت جيوشهم حتى بلغت أقاصي المصورة، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه إذا أرسل جيوشه للفتوح عرفهم ما وعدهم الله: ليقيموا بالصبر ويستقيموا بالظفر، ومن الوعد المطلق قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَذِيں بِالْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُلِّى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الصحيح: ٢٨). أما الوعد المفيد فهو ما كان فيه شرط كشرط التفتوى، وشرط الصبر، وشرط نصرة دين الله وما شابه ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَصُروُا لِلَّهِ يُصْرِكُمْ وَيُثِّتْ أَقْدَانَكُمْ﴾ (عند: ٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (المائدة: ٢٠٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (المائدة: ١).

وقد وعد الله المؤمنين بالنصر بشرط الصبر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خُذْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغَيِّرُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغَيِّرُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال: ٦٥).

## ٨ - العلوم والمعارف:

ومن وجوه إعجاز القرآن: هذه العلوم والمعارف التي زخر بها القرآن الكريم، والتي بلغت من نصاعة البرهان وقوة الحجّة مبلغا يستحيل على محمد ﷺ - وهو رجل أمي شأ بين الأميين - أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعا من أدباء وعلماء وفلاسفة وحكماء، ومن مشرّعين وعيافة أن يأتوا بمثل هذه العلوم والمعارف، وفي هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن حجة دامغة وبرهان ساطع، يقسم ظهر كل أفكّ مُعاند، يزعم أن ما جاء به محمد ﷺ هو إلا تعاليم الكتب السابقة، استمدّها محمد ﷺ من بعض أهل الكتاب في عصره، ثم نسبها إلى ربه! ليستمد من هذه نسبة قدسيتها: ﴿كَثُرَتْ كَلِمَةُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الحجرات: ٥).

ولنحزن نقول لولاء النعشي: كيف يكون القرآن نسخة عن الكتب السابقة، وقد جاء متكررا على

من غریب و تبدیل؟

وكيف يمكن أن تنطق عقيدة "التوحيد" مع حقيقة التثليث، وببعضها كما بين السماء والأرض؟  
 آم بسمعوا الحكم القاطع الغازم بهم بأنهم كفرة فحرة، بعدون أبحارهم وببعضهم من دون  
 الله. ﴿وَقَالَ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ وَقَالَاتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْرَافِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتْلُوهُمْ اللَّهُ أَلَمْ يُولَدْ كُونَ - الْحَدِيثُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ بَابَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَنْ أَمْرُ الْإِلَهِ يُعْبَرُ بِهَا وَاجِبٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿وَاللَّهُ يَسِّرُ

حذاء اقرآن بالعلوم المتنوعة، والمعارف المتعددة في المعائد والعبادات، وتشريع والتنظيم. وفي الأخلاق والمعاملات، وفي حقوق شتى: في التربية والتعليم، وفي السياسة والاقتصاد، وفي الفلسفة والاجتماع، وكذلك في القصص والأخبار، وفي أصول المناظرة والجدل.

ولاشك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز فكيف استطاع رجل لم يقرأ ولم يكتب، ولا نشأ في بلد علم وتشرع، ولا في مدينة ذات حصار ومدينة: أن يأتي بمثل ما في القرآن من هذه العلوم والمعارف نخبها وكمالاتها، مؤيداً بالحجج والبراهين بعد أن قضى معظم حياته لا يعرف شيئاً عنها، ولم يتطرق بقاعدة أو أصل منها، ولا حكم يخرج من فروعها إلا أن يكون ذلك رغباً من الله تعالى؟ وأحب أن أقصر هنا على مثل من هذه العلوم المتروكة المهدف، وهو بحث العقيدة في القرآن، وأن أقارن بين تعاليم الإسلام، وتعاليم اليهودية والنصرانية على أعقابها. نرونها؛ ليشين المصالح الذي عيبي، ويظهر صيأ الحق الساطع، ونوره الباهر، وكما قيل:

«وأيضا تميز الأشياء».

$\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \int_{\mathbb{R}^n} |u|^2 dx = \int_{\mathbb{R}^n} u \Delta u dx = - \int_{\mathbb{R}^n} |\nabla u|^2 dx \leq 0$

جاء القرآن بعقيدة سمحة صافية، بيضاء نفية في ذات الله تبارك وتعالى، وفي حق رسوله لكرام.

ومنه عن جميع صفات النفس: لا ذاته تشبه الدوات، ولا حكمت صفاته انصافاً: "ليس كسنة شجرة وأخو السمع الصبرية" (مزمور ١٠٤) وهو جل وعلا يوم "لا تأخذوا سنة ولا تؤذوا" (الفردوس: ٥٥) ولا يشغله شأن عن شأن: "قوله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى" (سورة الحديد: ١٧) هو الخالق المتفرد بالخلق والإيجاد، وبه ناصية العباد، يحسن من يشاء ويهدي من يشاء، "وهو على كل شيء قدير" (آلة الله: ١٢١) الكل خلقه، والجميع عبده: "إن كل موالي السموات والأرض إلا أني الرحمن غلامه" (مريم: ١٣) أفرا إن خست هذه الآيات الروائع في صفات الله عز وجل:

- ١- "إنا أنزلناكم في الدنيا رب السموات والأرض وما بينهما من أنعام في كل الصدور" (سورة الحديد: ١٠٤).
- ٢- "وإنما أنزلناكم في الدنيا رب السموات والأرض وما بينهما من أنعام في كل شيء علماً" (سورة الحديد: ١٠٤).
- ٣- "وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تعفوا لله الأسماء العظمى ولا تخضع بصلواتك ولا تخاف من بها واتع من ذلك سعة، قل الحمد لله الذي لم ينجب ولداً ولم يكن له صريك في الملئ ولم يكن له ولي من الدن والأخره تكبراً" (سورة الحديد: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣).
- ٤- "يقول الله الذي لا اله الا هو الله والله هو الغني الاحيد، ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز" (سورة الحديد: ١٠٥، ١٠٦).

#### لعقيدة اليهودية:

وصل اليهود بعد موسى لحك، فقبلوا بعلا، وزعموا أن الله انا هو العزيز الحكيم، وشبهوا الله بالإنسان، فزعموا أنه نسب من خلق السموات والأرض، فاستراح يوم السبت، واستلقى على فناء، وركبوا رؤوسهم، فقولوا إنه - جل وعلا - ظهر في صورة إنسان، وصارح إسرائيل، فلم يستمع أن يسمع، ولم يتخلص منه الرب حتى داركه وذريته، فأملفه عند ذلك يعقوب، وأدعوا لهم الشعب المختار من بين الشعوب، والله أبناء الله وأحبابه، وأن الدار الأخرى خالصة

لهم من دون الناس، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، هي مدة عبادتهم المحلل أربعين يوما كما افتروا على السيد المسيح "عيسى"، فزعموا أنه ابن دنا، وأن أمه زانية، وأنهم صلبوه؛ ليظهروا بني إسرائيل من هذه الجرعة الشنيعة.

كل هذا - وأمثاله كثير - من أباطيل وأضاليل اليهود، حاء القرآن هادما لها وحربا عليها، فكيف يزعمون أن القرآن نسخة عن التوراة؟

### العقيدة النصرانية:

وصل النصارى، فزعموا أن لله ولدا، وذهبوا إلى عقيدة معقدة من الإيمان بالثلاث: "الأب، والابن، وروح القدس"، وسعوا بالأقاييم، فعبسوا هو "الآلوه" الثاني من ثلاث الإلهي الذي هو عين الأول والثالث، وكل منهما عين الآخر، الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، وخلقوا على رجال كهوتهم ما هو حق لله وحده من التشريع والتحليل والتحرير، وزعموا أن "من إله" صلب؛ ليخلص الإنسان من خطيئته، ويظهره من أوراده، والأعجب من هذا: أن كثيرين منهم يعتقدون بأن "عيسى بن مريم" هو الله، نزل إلى الأرض بصورة بشر. إلى غير ذلك من الأباطيل والمحاري التي نسبوها إلى الله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الاسراء: ١٢٠).

فانصر مدى اليون الشامع بين الحق الذي حاء به لقرآن، وبين الباطل الذي جاء به هؤلاء ومؤلاء على أن القرآن الكريم لم يكف بسرد هذه الأباطيل والإحار بها عن تحريف أهل الكتاب، بل رد على أولئك براهينه الباطلة، وأدلة القاطعة.

استمع إليه وهو يقول عن أهل الكتاب "النصارى": ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَفَافَا إِلَى مَرْئِمَ وَرُوحَ مَلَكٍ فَأَمَّا اللَّهُ وَرُسُلُهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَتَقَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ لَنْ يُشْكِكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَهُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ

أَتَعْمُرُونَ بِهِ مَنْ يَسْتَكْفِي عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ فَسَيُعَذِّبُهُمْ إِلَهِكُمْ جَمِيعًا ﴿١٧٧﴾ (النمل: ١٧٧).

واستمع إليه وهو يتكلم عن أهل الكتاب "اليهود"، فيقول: ﴿فَيَمِيزُ نَفْسَهُمْ مِنْ أُنْفُسِهِمْ وَتُكْفَرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَتُظْلِمُونَ الْأَنْبِيَاءَ بَعْضُ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قَوْلُنَا عُفْتُ كُلَّ طَلِيعِ اللَّهِ عَلَيْهَا يُكْفَرُ بِهِ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَتُكْفَرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْثَمٍ يُهْنَأُ عَطِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّا مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ كُلُّ رُفْدَةٍ اللَّهِ يَبْلُغُ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٧٨-١٨٠﴾ (النمل: ١٧٨-١٨٠).

ولقد صرح القرآن بالتحريف الذي وقع عند أهل الكتاب في "التوراة والإنجيل": وبين أن مهمة الرسول إنما هي في تصحيح ما ارتكبه أهل الكتاب من الكذب والشهاد، وفي كشف ما خفوه من آيات الله في التوراة والإنجيل: ﴿إِنَّمَا أَهْلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَمْلِكُكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي اللَّهُ مِنَ الْغُرُوفِ مَثَلًا لِلْعَالَمِينَ ۝ وَيَحْمِلُ خَثَمَهُمْ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْبُورِ يَذِيهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥-١٧٦﴾ (النمل: ١٧٥-١٧٦).

فهل بعد هذا اليوهان من حجة أوضح على صدق سيد المرسلين؟ ويرحم الله الموصي "حيث يقول:

كذلك يعلم في الأئمة معجزة في الجهمية والتأديب في التيم

## ٩ - وقاؤه بحاجات البشر:

وهذا الوجه من وجود الإعجاز ظاهر جلي؛ بل ذكره كل متأمل في شريعة الإسلام، فقد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة، شاملة واسعة، تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان، ويتجنى ذلك إذا استعرضت المقاصد النبيلة التي رعى إليها القرآن في هديته وارشاده وهي بإيجاز:

١ - إصلاح الأفراد. ٢ - إصلاح المجتمعات. ٣ - إصلاح العقائد.

٤ - إصلاح العبادات. ٥ - إصلاح الأخلاق. ٦ - إصلاح الحكم والسياسة.

٧ - صلاح الشؤون المالية. ٨ - صلاح الشؤون الحربية. ٩ - إصلاح النفاذ العسكية.

١٠ - تحرير العقول والأفكار من الخرافات.

ونقد أحسن من قال:

شريعة الله للإنسان نيلٌ      وكل شيء سوى القرآن خسراً<sup>١</sup>

١٠ - تأثير القرآن في القلوب:

ومن وجوه إعجاز القرآن ذلك التأثير البالغ الذي أحدثه في قلوب أتباعه وأعدائه، حتى لقد بلغ من شدة التأثير أن المشركين أنفسهم كانوا يخرجون في حلق الليل يستمعون إلى تلاوة القرآن من سجين، وحتى توصوا فيما بينهم ألا يستمعوا إلى القرآن، وأن يقرضوا أنفسهم بأنصحين فيما يملوه محمدًا، لما في من به الناس: **«إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ سُلُوكًا لِّلْكَافِرِينَ لَا تَسْمَعُوا لَّهُمْ قَوْلًا وَلَا تَنْصِتُوا لَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا يُبْذَلُونَ بِكُمْ لَعْنًا وَأَنَّكُمْ لَهُمْ صُلُبُ الْعِقَابِ يُصَلُّونَ فِي الْيَوْمِ بِسُوءِ الْحَالِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يُخَذَّلُونَ بِالْقَوْمِ عَلَىٰ كُلِّ بَلَاءٍ ۚ وَكُنْتُمْ لَهُمْ خِزْيَانًا مُّبِينًا»** (ص: ١٦).

ونقد بلغ من تأثير القرآن في القلوب أن بقي إلى ثلاثة أئمة أئمة الناس عداوة له، وأخصهم عداوة، فيقسم كثير من هؤلاء الأعداء، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وسعد بن عبد الله، وأبيد بن حصير رضي الله عنه. وغووه من نقادة ونزوم. هذا هو عمر بن الخطاب الذي بلغ من شدة قسوته على المسلمين أن يقول فيه أحدهم: **«إِنَّ اللَّهَ لَنْ يَسْلَمَ حَتَّى يَسْلَمَ هَذَا الْخَطَّابُ»**. والذي بلغ من شدة عداوته أن يثبته بيده الطاهرة، ثم يجره فيقتل من محمد ﷺ بنفسه، ثم لا يأتي النساء إلا وقد رجع معتقاً للإسلام بسبب ما أثبت سمعها في بيت أخته من "سعيد بن زيد" بجمته والقصة مشهورة.

وتأمل كيف أسلم سعد بن معاذ بجمته - سيد قبيلة الخزرج - هو وابن أخيه أبيد بن حضير.

زروي كتب أسيرة: أن رسول الله ﷺ حين كان في مكة جاءه وفد المدينة الذي يسمونه بيعة العقبة،

فأرسل معهم مبعوثين جليلين يعلمانهم الإسلام والقرآن، وهما: "مصعب بن عمير، وعبدالله بن أم مكتوم عليهما السلام، فمعا وصلا المدينة أخذا يعلمان الناس القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ رضي الله عنه - سيد القبيلة -، فقال لابن أخيه أسيد بن حضير: ألا تذهب إلى هذين المرجلين الذين جاءا بسفهان ضعفاءنا، فتنهاهما وتزجرهما عن هذا الصنيع؟

فسار إليهما أسيد، فلما انتهى إليهما قال لهما: ما جاء بكما؟ جئتما نسفهان ضعفاءنا، ثم نوعدهما وهكدهما فقال: اعتزلانا إن كانت لكما في أنفسكم حاجة؟

فقال له مصعب رضي الله عنه: لو نجس نسمع؟ فإن رضيت أمرا فنته، وإن كرهته كفضا علك ما نكره. فجلس أسيد وجعل مصعب رضي الله عنه يقرأ، وهو يسمع، لما انتهى من محاسنه حتى أسلم. ثم كرّ راجعا إلى سعد فقال له: والله ما رأيت بالرجلين بأسا، وأحصى أمامه إسلامه، فغضب سعد وقام بنفسه ثائرا متهاجا، فقال لهما: ما جاء بكما؟ أجئتما نسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا.

فقال له مصعب رضي الله عنه: أو تجلس نسمع؟ فون رضيت أمرا قبلته ما، وإن كرهته كلفنا عث ما نكره. فقال: أتصنئتما، فجعل مصعب رضي الله عنه يتلو القرآن عليه، وسعد يستمع.

يقول مصعب رضي الله عنه: والله! لقد كان وجه سعد يشرق بالإيمان وهو يستمع القرآن، فما انتهى مصعب من القرآن حتى أعلن سيد الأوس إيمانه، ثم كرّ راجعا فجمع قبيلته وقال لهم: كيف تعلموني فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا فقال لهم سعد: كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تستموا بحمض، فدخلوا جميعا في الإسلام... رضي الله عن سعد وأرضاه.

هكذا كان تأثير القرآن في قلوب الأولياء والأعداء، ولا ننس قصة الوليد بن المغيرة وعنه من ربيعة وغيرهما ممن تأثروا بالقرآن، ولمولا حب الزعامة، ولمولا حب الجاه والسلطان لدخلوا جميعا في دين الله، ولكن الهداية بيد الله ﴿يُخِيلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢٧: مد) ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النجم: ٥٦).

ذكر صاحب تفسير المنار أن فيلسوفا من فلاسفة فرنسا ألف كتابا رد فيه - ما زعمه دعاة

النصرانية من أن محمداً ﷺ لم يأت بمثل آيات موسى، وعيسى عليهما السلام، ولم يكن له من الآيات الخوارق ما كان لمن قبله - ففان ذلك الفيلسوف:

"إن محمداً كان يقرأ القرآن عاشعاً موثهاً مدحاً، صادعاً ومنضرعاً، فيجذب القلوب إلى الإيمان به فوق ما كانت تفعله جميع آيات الأنبياء السابقين"<sup>١١١</sup>. وذكر الرافعي كلمة قيسة في كتابه "إعجاز القرآن" هذه الكلمة نقلها عن الأمير شكيب أرسلان: "أن الرئي" و"كلقين" المصلحين المعروفين في التاريخ المسيحي، ذكرا مرة أمام "فولتير" فيلسوف فرنسا، فقال: "إنهما لا يهتمان هذا، بل لتعال محمد ﷺ".

سلامته من انتفاض:

وأخيراً فإن من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم سلامته من التناقض والتعارض، خلافاً لجميع كلام البشر، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْ عِبَادٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا﴾ (سجدة: ١٧). هذه بعض وجوه الإعجاز في القرآن، وهناك وجوه أخرى صربنا عنها صفحة خضية التطويل. ولا نزاع الزمن يكشف عن أسرار إعجاز القرآن، فكلما تقدم الزمن تجلت نواحي إعجازه، وقام البرهان القاطع أنه تنزيل الحكيم الخمد، ومع ذلك فإن هذه الأسرار التي ذكرها العلماء، إن هي إلا فطرة من بحر علوم القرآن، وبهما اتسع القول وعظم البيان، فإن كلام الله تعالى لا يحيط به أحد، كما لا يحيط أحد بعظمة ذاته، وجليل صفاته.

دفع شبهة القول بالصرفة:

وإذا قد انتهينا من وجوه إعجاز القرآن الكريم نرى لزوماً علينا أن ندفع تلك الشبهة التي ذهب إليها بعض المعتزلة وبعض الشيعة، وهي: "تمية القول بالصرفة".

وخلصتها: أن الله عز وجل صرف العرب عن معاوضته على حين أنه لم يتجاوز في بلاغته

<sup>١١١</sup> انظر تفسير المنير.



المستوى الذي يمتاز به البشر، ولولا أن الله صرف همهم عن معارضته لاستطاعوا أن يأتوا  
عنه... إلخ.

فأنت ترى أصحاب هذا القول يذهبون إلى أن القرآن ليس معجزة بانه، وإنما كان إعجازة  
بصيغته أمرين:

الأول: الفسارف الإلهي الذي زعمهم في المعارضة، فكمسكوا وقنعوا.

الثاني: المعارض المتعاضد الذي يحفظ مواهب البينة وقد تم البلاغة.

وهذا القول - بشقيه - باطل، لا يثبت أمام البحث، ولا يتفق مع الواقع، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لو كانت هذا القول صحيحاً، لكان الإعجاز في "المصرفة" لا في القرآن نفسه، وهذا باطل بالاجماع.

فلما: أو صرح القول بالضرورة نكاح قللك "تعجيز" (باعتبار)؛ لأنه حشد شبه ما لو فضا  
 لسان إنسان، لم كشفه بعد ذلك بالكلام، فهذا ليس من باب العجز، وإنما هو من باب التعجيز.

لَقَدْ هَمَمْنَا فِي الْيَمِّ مَكْرُونًا وَقَالَ لَهُ إِنَّكَ بِمَنْكَبٍ مُبِينٍ بِاللَّهِ

قَالَ: لَوْ كَانَ هُنَاكَ صَافٍ رَهْطُهُمْ فِي الْمَعَارِضَةِ مِنْ "كُلِّ أَوْ صُلٍّ" مَا وَقَفُوا فِي وَجْهِ بَيْتِ  
الْإِسْلَامِ، وَمَا أَتَوْهُ، وَأَصْحَابُهُ، وَمَا عَذَّبُوا الْمُسْلِمِينَ وَشَرُّوهُمْ، وَلَمَّا قَاطَعُوا، أَلَمْ يَمُوتْ وَعِشْرَتُهُ،  
وَحَاصِرُهُمْ فِي السَّعْبِ حَتَّى أَكَلُوا وَرَقَ النَّخْلِ، وَمَا ذَرَّصُوهُ وَمَا مَوَّهَ عَلَى أَنْ يَتْرَكَ الْإِذْعُوقَ،  
ثُمَّ اضْطَعُرُّوهُ إِنْ لَمْ يَمُوتْ، هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَّاكَ مِنْ دَوَافِعِ وَبَوَاعِثٍ، جَعَلْنَاهُمْ  
بِسُلُوكِ كُلِّ مَسِيلٍ مُقَضَّاءَ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وبعد: لو كان هناك عارض مفاجيء عطل مراهيهم الميانية لأعلموا ذلك في الناس ليلتمسوا  
العذر لأنفسهم، وبالحال: ليثبتوا من شأن القرآن، وكانوا بعد نزول القرآن أقل فصاحة  
وبلاغة منهم قبل نزوله، وهذا باطل واضح البطلان.

خاتمة: لو كان هذا العرض العاجيء صحيحا لأمكننا نحن الآن، وأمكن للمستعربين بالأدب العربي

في كل عصر أن يعارضوا القرآن، وأن يتبنوا الكذب في دعوى إصحاحه، وكل هذه الأشياء باطلة، فهل يرضى عاقل بنفسه أن يقول بعد ذلك كنه: إن العرب كانوا مصروفين عن معارضة القرآن ونبي القرآن، وأهم كانوا مغلدين إلى الصخر والكس، زاهدين في النزول لتلك المبدان؟ وحل يصح لإنسان يحترم نفسه وعقله أن يصدق بمثل هذا الافتراء، انقول "تعطيل المواهب والحوس" بعد أن يستمع إلى شهادة أعداء من صناديد قريش وهو "الوليد بن المغيرة" حين قال كتلت المشهورة: "والله لقد سمعت أنفاً كلاماً ليس من كلام بشر، ليس بشعر، ولا نثر، ولا كهانة، والله إن إله الخلافة، وإن عليه أطلاوة، وإن أعلاه لمصر، وإن نفسه معلق، وإنه ليخبر وما يعلى؟"

والفضل ما شهدت به الأعداء...، وأضحت هذه الكلمة بما ذكره العلامة القرطبي في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن" حيث قال: "فهذه عشرة وجوه. ذكرها علماؤنا بظهر في إصحاح القرآن: وهناك قول آخر ذكره النظام: أن وجه الإصحاح هو المنع من معارضته، والصرف عند السعدي بمثله، وأن المنع والصرف هو المعجزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف همهم عن معارضته مع تحديهم بأن باتوا بسورة من مثله، وهذا فاسد؛ لأن جماع الأمة أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: "إن المنع والصرف هو المعجز طرح القرآن أن يكون معجزاً."<sup>(١)</sup>

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلفين، ويظهر لك تصور البشر في عجزهم عن الإتيان بمثل سورة من تفسير سور القرآن مع التحدي اللاذع.

### هل حاول أحد معارضة القرآن؟

أجمع روافد التاريخ والأثار على أن أساطين البلاغة ونحو الشعراء من مشركي العرب لم تحدتهم أنفسهم بمعارضة القرآن، ولم يتغل عن أحد منهم أنه حاول أن يأتي بمعارضة القرآن مع شدة

(١) انظر تفسير القرطبي: ٧٥/١.

حرصهم على صدّ الناس عن الإسلام، والتكذيب برسالة محمد ﷺ.

ولكن نقل عن بعض السفهاء الحمقى أقم حاولوا معارضة القرآن، فكان ما أتوا به لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة، أحجلتهم أمام البشر، وجعلتهم أضحوكة لدى العفلاء، فباعوا بغضب من الله، وسخط من الناس، وكان مصيرهم هذا كسبا جديدا للحق، وبرهانا ناصعا على أن القرآن كلام الله الذي لا يستطيع معارضته إنسان.

١- فمن أولئك: "مسيلة الكذاب" الذي ادعى النبوة، وزعم أنه شريك لرسول الله في شأن النبوة، وقد كذب إليه في السنة العاشرة للهجرة للهجرة يقول: "أما بعدا فإن قد شورك في الأرض معك، وإنما لنا نصف الأرض، ولقريش نصفها، لكن فريضا قوم يعتدون". وقد زعم مسيلة أن له قرآنا نزل عليه من السماء، وأنه به ملك يسمى "رحمن"، وهذا نحن نقل طائفة من أقواله وفدائه؛ ليطهر كذب هذا الأحمق الدخال، ويضع أمره، فكفاه ذلك الوصف أنه كذاب.

قال - أخزاه الله - معارضا سورة العاديات:

(والطاحنات طحنا، والعاجنات عجننا، والحذرات حذرا، والثارذات ثردا، واللائعات لقعا، إمالة رسم... لقد فضلك على أهل الثور، وما سبقكم أهل المذر، ريفكم فامعموه، ولنغير فأووه، ولماغي فإوئوه) وقال: "والشاء وألوهاء، وأصحبها السود وألباهما، والشاة السوداء، واللين الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق فما لكم لا تمعمون).

ومن قرأه المتقري: (العقل ما العقل، وما أدراك ما العقل، له ذب وبل، وخرطوم طويل...) الخ. وقوله: (يا ضفدع بنت ضفدع، نقي ما تنقن، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكثيرين، ولا الشارب تمنعين).

وقد زعم أنه عارض سورة الكوثر، فخرج إلى الناس بهذا الهديان:

(إِنْ أَعْطَيْنَاكَ الْجَاهِلِيَّةَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَجَاهِرًا، إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْكَافِرُ).

وكل كلامه على هذا النمط وهو سخيف لا ينهض ولا يمتاسك، وأنت عير بأن مثل ذلك الإسفاف ليس من معارضة في قليل ولا كثير.

يقول الراجعي رحمه الله: "إن مسيلة لم يرد أن يعرض للقرآن من ناحية "الصناعة النبوية"، وإنما أراد أن يأخذ مسيلة إلى استهوان قومه من ناحية أخرى، ظنّها أمون عليه وأقرب تأثيراً في نفوسهم، وذلك أنه رأى العرب نظمه الكهّان في الجاهلية، وكانت عامة أساليب الكهّان من هذا السجع القلق، الذي يؤمنون أنه من كلام الجن كفولهم: "يا جليح، أمر نجيح. وحل فصيح، يقول: لا إله إلا الله"، فجعل بسجعهم ليبرهم أنه يوحى إليه على أنه لم يبلج في هذه الخيلة إذ كان أشباعه يعرفونه بالكذب والخسافة، ويقولون: إنه لم يكن في تعاطيه الكهانة حاذق، ولا في دعوى النبوة صادق، وإثما كان أشاعهم إياه على حد قول قائلهم: كذاب وبهية أحب إلينا من صادق مصرّ".

ب- ومنهم: "الأسود العمسي" ادعى النبوة في اليمن، وكان يزعم أن الوحي ينزل عليه، فيخفض رأسه إلى الأرض، ثم يرفعه، فيقول: قال لي كذا وكذا - يعني تعبطاه للذي يوحى إليه - وكان حاراً، ولكنه كان نصيحاً معروفاً بالكهانة والسجع، والخطابة، والشعر، والنسب. ولم يذكر أنه حاول المعارضة للقرآن، وإنما اكتفى بدعوى النبوة، وهرول الوحي عليه ﴿وَرَأَى الشَّيَاطِينَ لَیْوَ حُودٍ إِلَىٰ أُولِيَائِهِمْ﴾ (الأنعام: ١١٠).

ج- ومنهم: طليحة بن عويطة الأسدي ادعى النبوة، وكان يزعم أن "ذا النون" يأتيه بالوحي، ولكنه لم يدع لنفسه قرآناً، لأن قومه كانوا من المنصفين، ولكنهم ناعوه عصيةً وعلماً للحاه والشهرة، وقد ذكر صاحب "معجم البلدان" أن له كلاماً كان يزعم أنه نزل عليه بالوحي، ولم يظهر من كلامه إلا على هذه المقالة (إن الله لا يصنع بتغير وحرهكم، وقبح أدياركم شيئاً، فادكروا الله قياماً، فإن الرغبة موق للصریح) يريد: لا تركعوا ولا تسجدوا، واكفوا بالصلاة قياماً،

وبذكر الله في حالة القيام، وقد أرسله أبوبكر جيشاً بقيادة خالد بن الوليد، فلما التقى الجمعان، قتل عدد كبير من أساعه، وتزمل هو بكساء ينظر الرحي، فقال له "عينة"، هل أتاك بعد؟ فقال وهو من تحت الكساء: لا، والله! ما جاء بعد، فقال له عينة: لقد تركت أروح ما كنت إليه، ثم قال: يا بني فرارة! هذا كذاب ما يورك لنا وله فيما يطلب، ثم انفرم طليحة ولحق بنواحي الشام، ويقال: إنه أسلم بعد ذلك، وكان له في الفادسية بلاء حسن.

د- ومهم: "النصر من الحارث"، وهو من صناديد قريش، ورؤساء الكفر والضلالة، وهو لم يدع الشوة ولا الرحي، ولكنه رغم أنه يعارض القرآن، فلفق أخباراً من حوادث الفرس وملوك المعجم، وكان يجلس إلى قريش، فيحدثهم بهذه الأساطير، ثم يقول لهم: هذا حير بما أنزل على محمد.

هـ- ويروي أن "أبا العلاء المعري" و"المنشي"، و"ابن المنففع" حاولوا معارضة القرآن، ولكنهم ما كادوا مدأون هذه المحاولة حتى عجزوا واستحيوا، فكسروا الأفلام، ومزقوا الصحف. وقد ذكرنا فيما مضى محاولة "ابن المنففع"، وأنه بعد أن عزم على المعارضة، وبدأها فعلاً، سمع صبياً يقرأ قوله تعالى: ﴿يُؤْتِيْنَا أَرْضًا نَلْبِي مَا نَلْبِي مَا نَلْبِي وَيَا سَعَادَةُ أَفَلْبِي وَبَعْضُ السَّاءِ وَقَعْضِي الْأَمْرِ وَاسْتَوْت عَلَى الْخُودِيَّةِ وَقِيلَ بَعْدًا بَلْفُومُ الْعَالِيَيْنِ﴾ (مروء ١١).

فمزق ما جمع واستحبا من إظهاره أمام الناس بعد أن قال قولته المشهورة: هذا والله! ما يستطيع الشر أن يأتي بمثله، وهذه القصة عن ابن المنففع يذكرها الرافعي رحمه، ثم يعقب عليها بقوله: "إن ابن المنففع من أبصر الناس باستحالة المعارضة، لا شيء من الأسباب، إلا لأنه من أبلغ الناس، وإذا قيل لك: إن فلاناً يزعم إمكان المعارضة، ويحتج لذلك وينازع فيه، فاعلم أن فلاناً في الصناعة أحد رجلين اثنين: إما جاهل يصدق في نفسه، وإما عالم يكذب على الناس، ولن يكون ثالث ثلاثة."<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> انظر إجماع القرآن للرافعي.

فالرأسي يتكرر صحة هذه الرواية عن ابن المقفع كما يتكرر على المعري فكلاهما في نظره باطل واقتراء عبيها.

و- ونجدنا الأيام القريبة أن زعماء 'البهائية' والقاديانية' وضعوا كتباً يزعمون أنهم يعارضون بها القرآن، ثم خافوا - أو عجلوا - أن يظهروها أمام الناس، فأخفوها عن أمل أن يأتي الوقت المناسب، فيخرجوها بعد أن يكتر الجاهل ويغلب العقل.

شبهات حول إعجاز القرآن والرد عليها:

الشبهة الأولى: يقول أعداء الإسلام في معرض الخطن في القرآن، وفي بني القرآن: إن عمداً ﷺ قد تلقى هذا القرآن من "بحيرا الراهب"، ونسبه إلى الله عز وجل: نيوهم قدمينه. والجواب: أن هذه فرية ما فيها مزية، وهؤلاء الخبثاء من الصييين وأعدائهم من الملاحدة، إنما يروجون مثل هذه الأكاذيب ليشتتوا على المتقين من أبناء المسلمين، ويفسدوا عليهم عقائدكم بأمثال هذه الشبهات والاقتراءات، وهذه الشبهة بضعة لعدة أمور:

أولاً: إن الرسول ﷺ لم يثبت عنه أنه سافر إلى الشام إلا مرتين: مرة في صغره مع عمه "أبي طالب"، ومرة في شبابه مع "ميسرة" غلام السيدة خديجة رضى، ولم يحدث التاريخ إنه سمع من "بحيرا"، أو تلقى عنه درساً واحداً، وإنما غاية الأمر أن "بحيرا الراهب" رأى سحابة تظلل نمرسون ﷺ، فحدث عنه بأن هذا العلام سيكون له شأن، ثم طسب منه أن يعبده إلى مكة خوفاً عليه من اليهود، ثم من يعقل والرسول ﷺ في سن النصف أن يتلقى هذه العلوم ويتعارف؟ أو يأتي بمثل هذا القرآن المعجز، وهو لم يتجاوز بعد سن العاشرة؟ وفي المرة الثانية: كان غرضه التجارة، ولم يثبت أنه التقى بأحد من الرهبان في هذه السفرة، فمن أين لهم هذا البهتان والاقتراء؟

ثانياً: من المستحيل عقلاً على أي إنسان أن يتبحر في هذه المرتبة "استاذ العالم" خود مصادفته لراهب من الرهبان مرتين، مع أنه كان في الأولى صغيراً، وفي الثانية تاجراً، وأن يأتي هذا الكتاب المعجز وهو أمي يجرّد الثقلان بأحد الرهبان مرة أو مرتين.

ثالثاً: لو كان هذا الراهب يُسَمَّى "بحراً" هو مصدر هذا القرآن، لكان هو الأخرى بالبرية والرسالة، أو لكانت عبريته تفوق عباقرة الدنيا؛ لأنه أتى بكلام أعجز فيه الأولين والأخرين.

وأبها: نقول: إن المشركون من كفار قريش كانوا أعقل وأسلم تفكيراً من هؤلاء المجانين؛ لأنهم - مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول وقبيحته - لم يقبوا على أنفسهم مثل هذا الكذب الرخيص، ولم يفكروا أن يقولوا إنه تعلم من "بحر الراهب" مجرد الالتقاء به مرتين؛ لأن العقل لا يستسيغ ذلك.

الشبهة الثانية: يقولون: هذا القرآن من تعليم "بحر الرومي"، تعلم منه الرسول ﷺ في مكة... الخ.

والجواب: أن هذه الشبهة قد تولى الله عز وجل الرد عليها بأبلغ حجة وأتبع بيان، فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئَلَّا يُخَذَّ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِذَا تُخَذُّوا بِاللِّسَانِ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (احزاب: ٣٠). فهذا الرجل الذين يسمون إليه تعلم محمد ﷺ هو رومي أعجمي، لا يعرف اللسان العربي، فكيف بعلمه القرآن؟ وقد كان "بحر" هذا حذواً بمنهج الخدادة، وقد أسلم؛ فكان النبي ﷺ كثيراً ما يمر عليه، فيجلس عنده، فقال المشركون: والله! ما يعلم محمد! هذا القرآن إلا بحر الرومي، وكان سيده بضربه ويقول له: أنت تعلم محمد، فيقول: لا، والله! بل هو يعلمني ويهديني...

ومن الغريب أن هذه التهمة قد لاقت استحساناً عند بعض الأفراد مع أنها في منتهى الغرابة والهلل؛ إذ كيف يكون الأستاذ عبداً حذواً أعجمياً، لا يفقه شيئاً من اللغة العربية، ثم يعلم رسول لغة الضاد، وهل من المعقول أن يكون هذا الرومي الأعجمي مصفراً لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية، بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية؟ ولهذا كان رد القرآن مضحاً وقاطعاً: ﴿لِئَلَّا يُخَذَّ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِذَا تُخَذُّوا بِاللِّسَانِ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (احزاب: ٣٠).

المشبهة الثالثة: إن محمداً عبقرية فذة، وهذه العبقرية المخارقة، لماذا لا يمكن أن تكون هي منبع هذه الأحبار. وأن يكون هذا القرآن من تأليف محمد وترثيته؛ لأنه ذو شخصية رائدة؟ والجواب: إن هذا الكلام إنما يصدر عن جاهل لا يعرف شيئاً عن حياة النبي ﷺ. ولا عن تاريخ عشرينه وقومه، فالرسول ﷺ عاش أربعين سنة بين قومه وهو يشر إليه دأبهم في صدقه، وأمانته، ونبذته، وفضله حتى كان المشركون يلقبونه بـ "الصادق الأمين"، فهل يفضل بعد هذه الحياة الشريفة الطاهرة أن يأتي بأعظم هتان؟ فيزعم أن هذا القرآن من عند الله، وأنه رسول الله.

وبدأية الإنسان تدل على نهايته، فكيف يخلق هذا مع تاريخ الرسول الشريف، لظواهر، وحياته الغاضية المعطرة؟

وحير سأل هرف: منك الروم أنا سفيان عن رسول الله ﷺ: "أهل كنتم تصهونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟"

أجاب: ثم سفيان بغيره: لا، بل هو عندنا الصادق الأمين.

فقال له هرف: لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله!

ومن ناحية ثانية فقد ثبت في التاريخ ثبوتاً قاطعاً أن محمداً ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وقد أكد هذا القرآن بقوله عز من قال: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ يُرْسِلُ الرُّسُلَ أَنْ تُنْزِلُ السُّورَاتِ﴾ (الشعراء: ١٨١). فمن أين لرسول الله معرفة أحبار الأولين من الأنبياء والمرسلين؟ ومن أين له معرفة دقائق التاريخ، وأحوال الأمم الغائرة، وأنباء من سبق من البشر على وجه الدقة والتفصيل؟ وهو بعد لم يقرأ كتاباً، ولم يدرس علماً، ولم يثنى هذه الأنباء عن أحد من علماء أهل الكتاب؟

ثم مهما كانت عبقرية الإنسان فذة، وبوغه عظيم، وذكاؤه وفرد، فمن أين له معرفة أمور الخيب، وأحوال المستغل، وهل يمكن لبشر مهما سما أن يحصر عن انجيب بحيث لا يشد عن أعبار



وانحده من هذه المغيبات إلا أن يكون رسولا صادقا يوحى إليه من عند الله؟

إن العقل ليحرم بأن هذا ليس في طوق البشر، ومهما بلغت العبقريّة من النبوغ والذكاء، ومهما كانت الشخصية قوية ومتألّفة، فلن نستطيع أن نغرق أمثال العيب أو نحم عما ليس في مقدورها، وصدق الله: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَّحَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا لَكَ (ص ٩٥)﴾. الشبهة الرابعة: يقولون: إن عمر البسر عن الإتيان بمثل هذا القرآن لا يدل على أنه كلام الله، وما هذا إلا كمثّل عمرهم عن الإتيان بمثل الكلام النبوي، فهل يكون كلام الرسول من عند الله؟ لو يدلّ إنه كلام الله؟

واجواب: أن الحديث النبوي إن عمر عامة الناس عن الإتيان بمثله فلن يصحّر أحد الخاصة عن الإتيان بمثل بعضه، ولو تفحصنا حديث واحد أو سطر واحد من كلامه، وكلام الرسول ﷺ وإن كان في الدرّة العليا من الفصاحة والبلاغة، إلا أنه لا يخرج عن كونه كلام بشر، وقد يشبه كلام البسر بعضهم مع بعض حتى نحدد نسلها بين كلام أنسوة، وكلام بعض الخواص من فصحاء بني أمية، وسمع الحديث فيمنه عينا أميرة: «هو مرموع ينتهي إلى النبي ﷺ» أم هو مرموع عند انصحنق النبي، أي: من كلامه؟ أم مقطوع عند انصحنق النبي؟ ولا نستطيع أن نميز حتى يرشدنا السيد إلى عين قائله.

ومن أوتي حاسة بيانية يدرك هذا التسه كثيرا، وقد يلتبس عليها الأمر حين نسمع كلاما رائعا يليقا لأحد الفصحاء، فنفسه من كلام الرسول ﷺ، فإذا قد يكون هناك بعض الشبه بين كلام أفصح من نظير بالضاد، وبين كلام بعض السبعاء، واستمع مثلا إلى هذه الجملة الرائعة "المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دونه، وعوتوا كي جسم ما استند" فإن الإنسان إذا سمع هذه لم يشعده أن تكون حديثا لجملة، وصحتها، وأسلوبها الأخاذ، وإنما حزم بأنها حديث شريف مع أنها ليست بحديث، إنما هي من كلام طبيب العرب المشهور "ابن كدة".

ولما قرأنا فذاك له شأن آخر، لا يلتبس مع غيره من الكلام، ولن نستطيع أن نجد له شيئا

أو نداء، لأن الذي صنعه على عينه لم يستطع أن يجد له شبيهاً أو نداه، فكيف يقاس القرآن الكريم بالحديث الشريف في هذا المقام؟

ثانياً: ومن ناحية ثانية لو كان هذا القرآن من تأليف محمد ﷺ لكان ينبغي أن يكون الأسلوب في "القرآن والسنة" واحداً ضرورةً ألهما صادران عن شخص واحد، استعداداً واحداً، ومزاجاً واحداً، مع أننا نجد الفرق بينهما واضحاً، واليؤن شامعاً، فأسلوب القرآن ضرب واحد، فظهر عليه سمات الألوهية والربوبية التي تحمل عن المشاهدة والمعاينة، وأسلوب الحديث الشريف ضرب آخر، لا يحمل عن المشاهدة والمعاينة، بل هو محقق في جو الشبان بقدر الأساليب البشرية الرفيعة، ولا يستصعب بحال أن يصعد إلى مقام إعجاز القرآن، وهذا يدركه كل إنسان إذا ما قارن بين الأسلوبين بأبسط نظرة وصدق الله حيث يقول:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (نمل: ٢٧).

وصدق الله: ﴿فَإِنْ لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْأُنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).



## الفصل الحادي عشر:

### في التسمية على أحاديث وضعت في فضل سور القرآن

قال العلامة القرطبي في مقدمة تصحيحه "الجامع لأحكام القرآن" في باب التسمية على الأحاديث موضوعه في فضل سور القرآن ما يلي:

"لا تنفك لما وضعه الواضعون، واختلفه المنحلقون من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة في فضل سور القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال، قد أوتكتبها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في تركها.

١- فمنهم قوم من الرافضة مثل المعوية الكوفي، وعمد ناشأته المصلوب وغيرها وجعوا أحاديث، وحدثوا ما لا يوفقوا بذلك الثبوت في قلوب الناس، منها ما رواه النخعي عن أنس ابن مالك رضي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا ما شاء الله"، فزاد هذا الاستشهاد لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.

٢- ومنهم جماعة وضعوا الحديث "مروى" بدعون الناس إليه، قال شيخ من شيوخ الحنوز بعد أن تلبس: "إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هويتنا أسرا صيرناه حديثاً".

٣- ومنهم جماعة وضعوا الحديث "جسدة" كما زعموا، بدعون الناس إلى فضائل الأعمال كما روي عن أبي عبيدة المزوري قيل له: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس رضي في فضل سور القرآن سورة سورة؟

فقال: إن رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بغيره أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث جسدة.

قال ابن الصلاح: وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في فضلي القرآن سورة سورة، وقد بحث باحث عن محرقه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وإن أثر الرضع عليه ليضع، وقد أخطأ الواحدي المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه في تفاسيرهم.

٤- ومنهم قوم من الموال<sup>١١</sup> يقولون في الأمواق والمسانيد، ليضعون على رسول الله ﷺ أحاديث بأسمائهم صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسماء.

قال جعفر بن الطيالسي:

"صلى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهما فاص (محدث) فقال: حدثنا أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين: قالوا: أنانا عبد الرزاق، قال: أنانا معمر، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال: لا إله إلا الله، يخلق من كل كلمة منها طائر، متقاره من ذهب، وربته مراح، وأخذ في قصه نحواً من عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال: أنت حدثت بهذا؟ فقال: والله! ما سمعت به إلا هذه الساعة، فسكنا حتى فرغ من قصصه، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فقال: أنانا بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، راصعتا بهذا نطأ به حديث رسول الله ﷺ، فإن كان ولا بد من الكذب فعلى غيرنا، فقال له:

أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، وما علمته إلا هذه الساعة، فقال له يحيى:

وكيف علمت أبي أحمق؟ قال: كانه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيرهما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا، قال: فوضع أحمد كتبه على وجهه، وقال: دعه يفرم، فقام كالمستهزئ هما".

<sup>١١</sup> جمع سائل الذي يسأل الناس النعم.

قال القرطبي: "فهؤلاء الضوائف كذبة على رسول الله ﷺ، ومن يجري مجرىهم... ثم قال: فلو انحصر الناس على ما أنت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان لهم في ذلك عتبة، وخرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

فحذار مما وضعه أعداء الدين، ورتادقة المسلمين في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك. وأعظمهم صرراً أقوام من التمسوين إلى الزهد، رصعوا الحديث حسنة فيما زعموا، فقبل الناس مرصع عالمهم، ثقة منهم بهم، وركبوا إليهم، فضلو وأضلو<sup>١١</sup>."

### هل في القرآن ألفاظ غير عربية؟

من المنطوق به أن القرآن نزل بلسان العرب، وأنه كتاب عربي، نزل على أمة عربية بلسان عربي بين: ليكون منهاجاً خبيهاً، دستوراً لجمعهم، وليحتروا به ويذكروا بما فيه: ﴿يَذْكُرُوا آيَاتِهِ وَيُذَكِّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سجدة: ١٠٠). وقد تضاعفت النصوص القرآنية الكثيرة على أن القرآن "عربي" في مضمونه، وفي لفظه، وفي أسلوبه، وفي تركيبه: وأنه ليس فيه ما يخالف طريقة العرب في المفردات والمجمل والأسلوب والمخاطب من هذه النصوص الكريمة ما يلي:

- ١- قوله تعالى: ﴿يُؤَيِّدُ بِنُوحٍ ذِي الْيُسُوفِ﴾ (نوح: ١٢٨).
- ٢- وقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا نُصُحَاتِ آيَاتِهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣).
- ٣- وقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سجدة: ٢).
- ٤- وقوله جل وعلا: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (المر: ٢٨).

وقد أجمع العلماء على أن القرآن عربي ولكن احتجوا هل فيه ألفاظ مفردة من غير كلام العرب؟ على مذهبين:

المذهب الأول: مذهب الجمهور وعلى رأسهم القاضي أبو بكر ابن الخطيب، وشيخ المقرئ

<sup>١١</sup> انظر تيسير القرطبي: ٧٨٤/١

ابن جرير الطبري، والثعالبي، وغيرهم من العلماء الأعلام قالوا: إن القرآن عربي كله، وليس فيه ألفاظ أو مفردات من غير كلام العرب، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات، فإنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها، فتكسبت لها العرب والعجم، والحشد وغيرهم.

المذهب الثاني: مشبه طائفة من العلماء قالوا: إن في القرآن بعض ألفاظ ليست عربية، وأن تلك الألفاظ - لفظها - لا تُخرج القرآن عن كونه عربياً مبيهاً، فمثلاً لفظ: "المشكاة" بمعنى النكوة، ولفظ: "الكف" بمعنى تضعف، ولفظ: "قنطرة" بمعنى الأسد، كل هذه الألفاظ هي لسان الحبشة وهي الألفاظ عبر عربية.

وكذلك لفظ: "القسطنطين" بمعنى الميزان، لسان الروم.

ولفظ: "السجبل" بمعنى الحجارة والطين لسان الفرس.

ولفظ: "العساف" بمعنى اليباد المني لسان الترك.

ولفظ: "اليم" بمعنى البحر، و"الطور" بمعنى الجبل بلسان السريانية.

قال ابن عطية: "تحقيق عبارة أن هذه الألفاظ في الأصل "أعجمية" نكس العرب استعمالها وعربتها، فهي عربية هذا الوجه. وقد كاد للعرب محالطة خبرهم من سائر الألسنة، فتلقت العرب، ألفاظ أعجمية، تستعملتها في أشعارها ومعارفها حتى جرت عرى العربي الصحيح، وعنى على الخلد نزل بها القرآن" (١).

### أدلة الجمهور:

وقد استدلل الجمهور ببعض الأدلة التي تُثبت أن القرآن عربي، وليس فيه ألفاظ عبر عربية، وفيه أسماء أعلام من لسان غير لسان العرب، مثل: "إسرائيل" و"جبرئيل" و"عمران" و"نوح" و"لوط". وقد استدلل الجمهور بما يلي:

(١) نظم قصيد القزويني ٨/١ - تصرف.

أولاً: الآيات القرآنية السابقة التي أثبتت أن هذا القرآن عربي كله في لفظه وأسلوبه، ونظمه وثركيه، فقد أخبر الله عز وجل عن قرآن بأنه عربي، فقال تعالى: ﴿فَرَأَيْنَا عَرَبِيًّا﴾، وتكرر هذا اللفظ في آيات عديدة، ومعلوم أن لفظ القرآن عام، يشمل جميع السور والآيات، ويشمل كل الألفاظ والمفردات.

ثانياً: إن القرآن نزل بلسان العرب ليمعروا ويفقهوه، ويثبتوا معانيه، ويسمحوا أن يتخاطب الله تعالى قوماً بما لا يعلمون، كيف والآيات صريحة في إزاله لبقة العرب للاعتبار والعمل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف: ٢)، و﴿فَرَأَيْنَا عَرَبِيًّا يَقُولُ: ﴿سَمِعْتُ ٢٣﴾ وَهَذَا يَقْنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْفَطْ غَيْرِ عَرَبِيَّةٍ.

ثالثاً: إن الله تعالى قد رد على المشركين حين زعموا أن محمداً ﷺ تلقى هذا القرآن عن بعض أهل الكتاب "حجر فروسي"، وأقام الحجة عليهم باختلاف اللسانين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّإِنْسَانٍ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِنِسَانٍ عَرَبِيٌّ مُبِينٍ﴾ (الجم: ٣-١). فالقرآن عربي، وذلك أعجمي، وشكنا بينهما؟

رابعاً: لو كان في هذا القرآن شيء من لسان العرب، أو لا يفهمه العرب، أو ألفاظ "أعجمية" غير عربية، لأعلن المشركون اعتراضهم على قرآن، واحتجوا بذلك على عدم صدق الرسول، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا جِئْتَنَا قُرْآنًا وَعَجَبٌ أَتَقُولُ لَا مَوْلَا فَتَمْنَنَ فِتْنَتُنَا إِنَّهُ مُتَعَمَّجِيٌّ وَغَرِيْبٌ﴾ (سورة ص: ١٢).

خامساً: إن ما وجد في القرآن من ألفاظ تنسب إلى سائر اللغات، فإنما هو من باب تولد اللغات واتصافها، بمعنى أنه هذه اللفظة تكلم بها العرب، وتكلم بها الفرس والعجم، وتكلم بها غيرهم، فهي مما انفقت عليه اللغات، لا يعني أن هذه الألفاظ غير عربية، فإذا تكلم بها العرب

١١٠ ومعنى الآية: لو أنزلنا القرآن بغير لغتهم، وحضاه اللغة الأعجمية، لقالوا: هذا جئت آياته وولت كلماته بلغة العربية لمفهمه وفهمه؟ (الحق وعجبي؟) أي رسول عربي وقرآن تحمي، كيف يكون ذلك؟ وكيف نزل القرآن الأعجمي على الرسول العربي؟

فهى عربية، وإذا تكلم بها غيرهم أو استعملها الأعاجم فلا يخرجها عن كونها عربية.

الترجيح:

والصحيح ما ذهب إليه الطبري وجمهور العلماء من أن القرآن كله عربي، وهو ما تشهد له النصوص الكثيرة، والجميع الدامغة القوية التي اشتهر بها العلماء.

وقد انتصر العلامة القرطبي لرأي الجمهور، ورد الرأي الثاني، وقال - بعد أن ذكر المذهبين -: "إن الأول أصح، فإن العرب لا يخرج أن تكون مخاطبت بها أو لا، فإن كان الأول فهى من كلامهم، ولا يعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم.

وإن لم تكن العرب مخاطبت بها، ولا عرفتها استعمال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذ لا يكون القرآن عربياً، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم".<sup>(١)</sup>

....

<sup>(١)</sup> نسو القرطبي: ٦٩/١



## بحث ترجمة القرآن

معنى الترجمة:

ترجمة القرآن معناها: نقل القرآن إلى لغات أجنبية أخرى غير اللغة العربية، وضع هذه الترجمة في نسخ؛ ليطلع عليها من لا يعرف اللغة العربية "لغة القرآن"، ويذهب مراد الله عز وجل من كتابه العزيز بواسطة هذه الترجمة.

أنواع الترجمة:

ونقسم هذه الترجمة إلى قسمين:

الأول: الترجمة الحرفية.

الثاني: الترجمة التفسيرية.

والمراد بالقسم الأول: "الحرفية" أن يترجم القرآن بألفاظه ومفرداته وجمله وتركيبه، ترجمة طبق الأصل إلى اللغة الإنجليزية، أو الألمانية، أو الفرنسية - مثلا - يقال: "القرآن باللغة الإنجليزية" أو "القرآن باللغة الألمانية"، وهكذا... فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه، وبعض الناس يسمي هذه الترجمة "ترجمة لفظية".

وأما القسم الثاني: "التفسيرية" فهو أن يترجم معنى الآيات الكريمة، بحيث لا يتفقد الإنسان باللفظ، وإنما يكون هو المعنى، فيترجم القرآن بألفاظ لا يتفقد بها بالمفردات والتركيب، وإنما يعتمد إلى الأصل في فهمه، ثم يصي في قالب يؤده من اللغة الأخرى، ويكون هذا المعنى موافقا لمراد صاحب الأصل من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والوقوف عند كل مفرد من المفردات، أو نقضه من الألفاظ، وهذا النوع يسمى "الترجمة الحرفية" أو الترجمة المعنوية.

## شروط الترجمة:

وبشروط للترجمة سواء كانت حرفية، أو تفسيرية، شروط عدة، نوجزها فيما يلي:

١- أن يعرف المترجم بكسر الجيم اللغتين معاً: لغة الأصل، ولغة الترجمة.

٢- أن يكون ملماً بأساليب وخصائص اللغات التي يود ترجمتها.

٣- أن تكون "صيغة الترجمة" صحيحة بحيث يمكن أن تحمل على الأصل.

٤- أن تفي الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده وفاءً كاملاً.

كما يشترط للترجمة "الخرفية" زيادة على هذه الشروط شروطاً أخرى:

الأول: وعود معرّات كاملة في لغة الترجمة، مساوية للمعرّات التي هي لغة لأصل.

الثاني: تشابه اللغتين في الضمائر المستقرة، والروابط التي تربط الخمل تأليف التركيب.

## هل يجوز الترجمة الحرفية للقرآن؟

وعلى ضوء ما سبق من تقسيم للترجمة إلى حرفية وتفسيرية، ومعرفة معنى كل منهما، وشروط

التي ينبغي أن تتوفر في الترجمة يتضح لنا أن الترجمة الحرفية غير جائزة، وغير صحيحة. وذلك

لأسباب الآتية:

أولاً: أنه لا يجوز كتابة القرآن بغير أحرف اللغة العربية لئلا يقع التحريف والتبديل.

ثانياً: إن اللغات غير العربية ليس فيها من الألفاظ والمفردات والمضامير ما يقوم مقام

الألفاظ العربية.

ثالثاً: إن الاختصار على الألفاظ قد يفسد المعنى، وبسبب الخلل في التعبير والنظم.

ولنصرب بعض الأمثلة على ذلك؛ ليوضح الأمر، فنقول:

لم أردنا ترجمة الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْضِلْ بِهِ نَفْسًا﴾ إلى عَنَقِكَ وَلَا تَسْطِطْهَا كُنْ

تَسْطِطْ فَتَعْمَدُ مَلُومًا مَحْسُودًا (الاسراء: ٢٤)، فإذا أردنا ترجمتها حرفية، فإن الترجمة تكون

كالاتي: لا تجعل يدك مرسومة إلى عنقك، ولا تمدّها كُلَّ المد إلى اخره، وهو معنى فاسد لم يقصده القرآن الكريم، بل قد يستكثر المترجم له هذا الوضع، فيقول: ماذا ينهانا الله عن ربط اليد بالحق، أو مدّها غاية المد؟.

فالتعبير الذي جاء في القرآن إنما هو من باب التمثيل؛ لبيان عاقبة الإسراف أو الشح، وهو معنى من أروع المعاني؛ لا يدركه إلا من فهم أساليب العرب في التخاطب. بالأسلوب البليغ. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا خَافِضُ لَهُمَا جُنُوحَ الذُّنِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء: ١٢١)، فإن هذا اللفظ لا يمكن ترجمته ترجمة حرفية بوجود نوع خاص من التعبير البليغ يسمى بـ "الاستعارة المكنية"، وهذا لا يوجد في غير اللغة العربية، ومثله قوله تعالى: ﴿قَدِمَ صِدْقِي عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (يس: ١٠)، وقوله: ﴿تَنْزِيلِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (نمل: ١٠)، ومثله كذلك قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَأَتَمَرْتُمْ بِلِهَاقِكُمْ﴾ (نمل: ١٨)، فإذا ترجمناها ترجمة حرفية بمعنى شامع، وبصريح ضارب من الهديان في الكلام، وأمثال هذا كثير، وفساده واضح.

### ترجمة القرآن بالمعنى:

أما ترجمة القرآن بالمعنى فهي جائزة بالشروط المتقدمة، وهي لا تسمى "قراآنا"، وإنما نسمى تفسيراً للقرآن وذلك؛ لأن الله تعيدنا بالمعاهد القرآن، ولم يتعبدنا بعيره من الكلام. فكلام الرسول ﷺ يجوز روايته بالمعنى بأن يقول: قال رسول الله: ما معناه، ولكن القرآن لا يجوز روايته بالمعنى، فلا يصح أن نقول: قال الله تعالى ما معناه، بل لا بد من تلاوة النص بحروف والألفاظ؛ لأنه موحى به من عند الله، ولأنه معجز بلفظه ومعناه.

فالترجمة في الحقيقة ههنا ليست ترجمة للقرآن، وإنما هي ترجمة لغات القرآن، أو ترجمة لتفسير القرآن.

وقد أنزل الله كتابه إلى خلق الجمعين؛ ليكون مصدر هداية وإرشاد، وإسعاف لهم، فلا مانع لنا

أن تغفل معاني القرآن إلى الأسم الأخرى ممن لا يعرفون اللغة العربية؛ ليستنبوا بهذا القرآن،  
ويقتبسوا من هداه وإرشاده، وهذا ملائمت غرض من أغراض القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كِتَابِي  
لَيْتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الاسراء: ٩٠).

فترجمة القرآن بهذه المعنى يجيزها لعلماء، بل هي واجبة على المسلمين؛ ليلفوا الناس دعوة الله،  
ويحملوا إليهم هداية القرآن، وبغير هذه الترجمة لا يمكن أن يترك الناس عظمة هذه الشريعة،  
وزرعة هذا الدين، وجمال هذا القرآن، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

انتهى لكتاب بعونه سبحانه وتعالى

والحمد لله في البدء والختام



## فهرس القرآن في علوم القرآن

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مقدمة المطبعة الرابعة لمؤلف	٣	كيف نزل القرآن فكريم	١٧
مقدمة الطبعة الثالثة لمؤلف	٥	حكمه نزول القرآن سبحانه	٢٠
الفصل الأول		المرحلة الأولى	٢٣
علوم القرآن		المرحلة الثانية	٢٣
تمهيد	٧	المرحلة الثالثة	٢٤
ما المقصود بعلوم القرآن	٨	المرحلة الرابعة	٢٤
تعريف القرآن	٨	كيف نلقى النبي ﷺ القرآن	٢٩
فصل في القرآن	٩	هل السنة نبوية يوحى من الله	٣٠
آيات التكرية	٩	الفصل الثالث	
الأحاديث الشريفة	٩	أسباب النزول	
أسماء القرآن	١٠	فوائد معرفة أسباب النزول	٣٢
وجه التسمية	١٠	أمثلة على معرفة أسباب النزول	٣٤
من أين نزل القرآن	١١	توضيح معنى الآية التكرية	٣٥
رواية الصاري	١٢	ما هو سبب النزول	٣٦
أول ما نزل وأمر عاقل	١٣	كيف يعرف سبب النزول	٣٧
آية ثالثة حاضرة في النزول	١٤	هل يتعدد سبب النزول	٣٨
تنبيه	١٤	هل العبرة بمضمون اللفظ أو بمضمونه	
وينبغي عن هذا الحديث مأخوذة	١٥	الفصل الرابع	١٥
أول ما نزل في القتال والخمر والطهارة	١٦	نزول القرآن بحسب سعة أحرف	
الفصل الثاني		والعبارات المشهورة	
حكمه نزول القرآن معرفة		تمهيد	٤٤
نزول القرآن الكريم	١٧		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٢	اس كثر .....	٤٤	أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف .....
٦٢	عاصم فكوفي .....	٤٧	احكامه من نزول القرآن على سبعة أحرف ..
٦٢	أبو عمرو .....	٤٨	معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .....
٦٣	حرمة فكوفي .....	٤٩	اختلاف العلماء في تفسير الأحرف .....
٦٣	نقح .....	٥١	أثر جمع .....
٦٣	الكسائي .....		هل الأحرف السبعة موجودة في
		٥٢	المصاحف الآن .....
	الفصل الخامس	٥٢	حجتهم (جماعة من الفقهاء والفراء) .....
	النسخ في القرآن الكريم	٥٣	منافسة مذهب القطري .....
	وحكمته التشريعية	٥٣	الرد عليه .....
٦٦	كلمة لطيفة في النسخ للقاسمي ..		بعض الشبهات الواردة على
٦٧	تعريف النسخ لغة واصطلاحاً .....	٥٥	سبعة أحرف والرد عليها
٦٧	سبب النزول لآية النسخ .....	٥٥	الشبهة الأولى .....
٦٨	هل النسخ واقع في الشرائع المسقوية .....	٥٦	الشبهة الثانية .....
٦٨	أدلة الجمهور .....	٥٧	أقر بات المشهورة .....
٦٩	كلام الإمام القرطبي في جماع الأحكام ...	٥٧	تعريف القراءات .....
٧٠	أقسام النسخ في القرآن الكريم .....	٥٧	هل كان في عهد الصحابة قراء .....
٧١	الحكمة من نسخ الحكم مع بقاء تلاوة ..	٥٧	وتعود وتقول كيف نشأت القراءات .....
٧٢	هل يُسخ القرآن بالمتة النبوة المظهرة ...	٥٩	عدد القراءات وأسموعها .....
٧٣	هل يقع نسخ في الأخبار .....	٦٠	أول من صنف في القراءات .....
	الفصل السادس	٦٠	من اشتهرت قراءة السبعة .....
	جمع القرآن الكريم	٦٠	من دونت القراءات .....
٧٤	جمع القرآن في عهد النبوة .....	٦١	طريقته .....
٧٤	جمع القرآن في عهدوه .....	٦١	لقراء السبعة المشهورون .....
٧٧	جمع القرآن في المصطور .....	٦١	القراء السبعة .....
٧٧	طريقة الكتابة .....	٦١	من عامر .....

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	القسم الثاني	٧٨	جمع القرآن في عهد أبي بكر عليه السلام
١٠٠	تفسير بالدرية أو بأمر	٧٩	رواية البخاري
١٠٠	معنى التفسير بأمر	٧٩	استدلالات حول جمع القرآن
١٠١	أنواع التفسير بأمر	٨١	الحلة الرئيسية في جمع القرآن
١٠٢	شبهات التفسير	٨٢	مراء مصحف أبي بكر الصديق عليه السلام
١٠٣	أنصوم التي يحتاجها القصر	٨٢	خاتمة لم يجمع القرآن في مصحف واحد
١٠٥	نصه لطيفة	٨٤	جمع القرآن في عهد عثمان عليه السلام
١٠٨	مراتب التفسير	٨٥	سبب جمع عثمان للقرآن المكرم
١٠٩	المؤونة الدنيا	٨٦	أمر أبو بكر وجمع عثمان
١٠٩	أمره التفسير		التفسير بأمر
١٠٩	أقوال العلماء في مؤثر التفسير بأمر		التفسير بالمعروف
١١٠	أدلة المانحين	٨٨	لما نص القرآن
١١٠	أدلة الغيرين للتفسير بأمر	٨٩	الفرق بين التفسير والتأويل
١١١	أثر علي أدلة المانحين	٨٩	معنى التأويل
١١٣	كلمة الإمام القرطبي	٩١	أقسام التفسير
١١٣	كلمة الرازي الأصفهاني		قسم الأول
١١٣	كلمة الإمام القرطبي	٩٢	التفسير بالرؤية "التأويل"
	قسم الثالث	٩٤	أقسام ضعف الرواية بالتأويل
١١٥	العلم الإشاري وخرائب التفسير	٩٥	رأي الزرقاني في تناول التفسير
١١٥	معنى التفسير الإشاري	٩٦	أنه التفسير من الصحابة
١١٦	رأى العلماء في التفسير الإشاري	٩٦	عند الخطيب عن علي عليه السلام
١١٦	أدلة الحديث	٩٧	رواية البخاري
١١٧	مؤلف من أقوال العلماء	٩٨	شرح ابن عباس
١١٧	كلمة نزار كشي في الدرر	٩٨	لأدلة ابن عباس
١١٨	كلمة التفسير والتأويل	٩٩	عند الله بن مسعود عليه السلام



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٤	تفسير الطواغر .....	١١٩	كلام لسبوطي في الإتيان
١٢٥	تفسير لسبوطي .....	١١٩	معنى إسماعيل الورد في التفسير الإشاري .
١٢٦	منهجه كتاب التفسير بصرفه	١٢٠	شروط قبول التفسير الإشاري .....
١٢٦	أشهر كتب التفسير بالطريقة "نفرأئي"	١٢١	كيفية قيمة للتبجح المرزفاني .....
١٢٧	تعرّف بكتب التفسير مرأئي	١٢٢	كتبه حجة الإسلام الغزالي .....
١٢٧	تفسير الفجر المرأئي .....	١٢١	أنظمة على لتأويل الإشاري المختل .....
١٢٧	تفسير للبهضاني .....	١٢٣	خلاصة البحث .....
١٢٧	تفسير لخارود .....	١٢٤	فرائب التفسير .....
١٣٨	تفسير المنبهي .....	١٢٥	أشلة على هذه فرائب .....
١٣٨	تفسير النيسابوري .....	١٢٥	نماذج من تفسير الشيعة .....
١٣٩	تفسير أبي السموء .....	١٢٦	من تفسيرات الشيعة (أما عشرة) .....
١٣٩	تفسير أبي حيان .....	١٢٧	من تفسيرات السنية .....
١٣٩	تفسير الألوسي .....	١٢٨	تفسيرات الساطية .....
١٤٠	أشهر تفاسير إبان الأحكامه .....	١٢٨	وهم فرق متعددة مذكر لبعضها .....
١٤٠	أشهر كتب التفسير الإشاري .....	١٢٨	نماذج من تفسير الباطنية .....
١٤١	أشهر تفاسير معتزلة والشيعة .....		أشهر كتب التفسير
١٤١	أشهر كتب التفسير في العصر الحديث ..	١٣٠	لغزوان والديري والإشارة
	الفصل الثاني	١٣٠	أشهر كتب التفسير بالثور .....
	المصريون من التبجج	١٣١	تعرّف بكتب التفسير بالثبور
١٤٣	الصفحة الأولى .....	١٣١	تفسير ابن عرب .....
١٤٣	مخاض من حواء .....	١٣١	مرآيا هذا التفسير .....
١٤٤	خطأ من أبي رباح .....	١٣١	تفسير لسمرقندي .....
١٤٥	حكممة مولى ابن عبدس .....	١٣٢	تفسير لنعلي .....
١٤٥	الأمم من كتابان لحيدي .....	١٣٢	تفسير لحنوي .....
١٤٦	سيرة من حواء .....	١٣٣	تفسير ابن عطية .....
١٤٧	طرفة أهل ادمية .....	١٣٣	تفسير من كتب .....

الموضوع	المصحة	الموضوع	المصحة
محمد بن كعب القرظي .....	١٤٧	الأسلوب الصحيح .....	١٧٤
أبو الفعالية الرباعي .....	١٤٨	مختصر أسلوب القرآن .....	١٧٤
زيد بن أسلم .....	١٤٨	أشعة توضيحية على مختصر أسلوب القرآن ..	١٧٥
طليقة أهل العري .....	١٤٩	الابحار لرائع .....	١٨٠
الحسن البصري .....	١٤٩	قصة الجارية والأصمعي .....	١٨٠
سروى بن الأحنع .....	١٥٠	لتنمذج لأهل الكامل .....	١٨٣
قتادة بن دعامة .....	١٥١	أشعة من وضع أحياء .....	١٨٥
عصاة الخراسان .....	١٥٢	الإخبار عن المصنفات .....	١٨٧
مودة المدائني .....	١٥٣	عدم التعارض مع المصنف بالحديث .....	١٩٢
شبه .....	١٥٣	للفصل العاشر	
مختصر كتاب		مختصرات القرآن العلمية	
إعجاز القرآن		أولاً وسنة الكون .....	١٩٣
الصاية بمراسة القرآن العظيم .....	١٥٥	ثانياً نشأة الكون .....	١٩٤
القرآن معجزة عمدة الخلقة .....	١٥٥	ثالثاً تقسيم الفترة .....	١٩٥
سعي إعجاز القرآن .....	١٥٩	رابعاً نفح لأوكسجني .....	١٩٦
من شفق الإعجاز .....	١٥٩	خامساً شروحية منية في كل شيء .....	١٩٦
أسلوب فقرات في اتحدى .....	١٦٠	سادساً أغشية آيين .....	١٩٧
أبرار فتحدى .....	١٦١	سابعاً التنبع بواسطة الرياح .....	١٩٧
مثل علي بعجاز القرآن .....	١٦٤	ثامساً طرواف النوي .....	١٩٨
شروط المعجزة الإهية .....	١٦٦	ثاسماً اختلاف مصنفات الإنسان .....	١٩٨
م كك إنجاز القرآن .....	١٦٧	لوقد بالوعده .....	١٩٩
مذهب أهل المصرفة .....	١٦٨	لعلوم وأغوار .....	٢٠٠
أراء العلماء في الإعجاز .....	١٦٩	لعمدة الإسلامية .....	٢٠١
وجود إعجاز قرآن الكريم .....	١٧٠	للعقيدة اليهودية .....	٢٠٢
أنظم أمدع .....	١٧٢	للعقيدة النصرانية .....	٢٠٣
أشعة من التريخ .....	١٧١	وملازم بحاجات أنشر .....	٢٠٤

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تأثر القرآن في القلوب .....	٢٠٥	أدلة المفسر .....	٢١١
سلامته من التناقض .....	٢٠٦	الترجيح .....	٢١٣
دفع شبهة الخيال بالضرورة .....	٢٠٧	نكت ترجمة القرآن .....	٢١٤
حل حلول أحد معارضة القرآن .....	٢٠٩	معنى الترجمة .....	٢٢١
قال معارضا سورة العنكبوت .....	٢١٠	أنواع الترجمة .....	٢٢٤
شبهات حول إعجاز القرآن والمرد عليها ..	٢١٣	شروط لترجمة .....	٢٢٥
الفصل الخادي عشر		حل نموذج الترجمة لغوية للقرآن .....	٢٢٥
في التنبيه على أساليب وصفت		ترجمة القرآن بالمعنى .....	٢٢٦
في فصل سور القرآن			
حل في القرآن ألفاظ غير عربية .....	٢٢٠		



# مکتبہ الشریعی

مدرسہ عربیہ اسلامیہ دارالعلوم دیوبند

دروس نظامی اردو مطبوعات		سیرتیں	نورانی قاعدہ
خصائص نبوی شرح نمونہ زکری	غیر کا صوبہ (امولیات بیت)	امانی قاعدہ	بہار دینی قاعدہ
مجموع الفقہ	امولیات المذنبہ	ایجاز قرآن	تفسیر حنفی
آسان اصول فقہ	مجموع اصول	بیان قرآن	اقبال الخاتم الموعود
تیسرے لفظ	فرائد	بہار فقہیہ و فرائد	میانہ فقہیہ
فصل اکبر	تاریخ اسلام	ظلمات و اشعار	امت مسلمہ کی تاریخ
علم العربیہ (الین و آخرین)	علم الہ	نیک و بد	رسول خدا ﷺ کی فضیلتیں
عرفی مقدمات	جوانح الہم	مفاتیح: بین (الام غزالی)	اکرامہ نسیم: حقوق اسلامیہ
بذل القرآن	عرفیہ	عمادتہ تاملت	حلیہ اور بہانے
نویس	تسمیہ الاما	جزا اور نما	امری سیاست
میران مطلب (عرفی)	انجمنی گوہر	عظیم کتب	توبہ و عیبت
فصل دوم (مکمل)	تسمیہ الہم	مکمل	مکمل
عرفی زبان کا آسان قاعدہ	عرفی زبان کا آسان قاعدہ	الحجاب و مکمل (ایم)	الحجاب الاسلامی (مکمل)
نہم	کرم	افعال قرآنی	زاد المعید
پندرہ	تسمیہ الہم	نجات قبول	مستونہ دینی
عرفی (مکمل) (اول تا چارہ)	فائدہ جہر عرفی کا مکتوبہ	فوائد الاما	فوائد صدقات
کوشش (آخر)	آداب معاشرت	اکرام مسلم	فوائد درو اشرف
نیت السعید	تسمیہ الہم	فوائد م	فوائد ج
نعمت لفظ	عرفی القرآن (اول تا سہ)	فوائد مسرت محمد ﷺ	جواز اللہ
شرح لفظ القرآن (اول تا سہ)	برہم جات	مکتبہ احادیث	آرام نامہ
نکتہ زبور (نکتہ جہ)		نماز و نکی	نماز و نکی
		آیتہ نماز	مکمل انجمن
		نکتہ زبور (نکتہ جہ)	خطبات الامام محمد باقر علیہ السلام
دیگر اردو مطبوعات		مکتبہ احادیث	
قرآن مجید پندرہ مطبوعات	نکتہ زبور	مکتبہ احادیث	
نکتہ زبور	مکتبہ احادیث	مکتبہ احادیث	